الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة
وزارة التعليـــم العالـــــي والبحـــث العلمـــي
جامعـــــة قاصدي مرباح – ورقلـــــة
كليـــــة الآداب واللغـــــات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكـــــرة بعنـــــوان:

تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس الحمداني

مذكـــــــــرة من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
تخصص: البلاغة والأسلوبية

إعداد الطالبة :
عائشة عويسات

إشراف الدكتور:
د. أحمد بلخضر

السنة الجامعية:
1430-1431 هـ/2009-2010 م

فهرس الموضوعات

المحتـــــــــــوى	الصفحـــة
شكر وعرفان	02
المقدمة.....	أ– هـــ
التمهيد	
– مفهوم التواصل.....	07
– مفهوم الأسلوب.....	08
– الأسلوب في نظرية التواصل	10
– مفهوم التداولية وعلاقتها بالبلاغة العربية.....	11
– عناصر التواصل في البلاغة العربية.....	16
– تعريف الشاعر.....	27
– عرض المدونة.....	29
الفصل الأول: الإطار النظري للتحليل التداولي للخطاب	
مدخل.....	33
المبحث الأول : الإشاريات.....	34
1.تعريفها.....	35
– تعريف الإحالة.....	35
2. أنواعها.....	37
1.2.الإشاريات الشخصية.....	38
1.1.2.عند الغرب	38
– التعبير عن الذاتية في اللغة	40
2.1.2.عند العرب.....	41
أ. ضمائر الحضور.....	44
ب. ضمائر الغياب.....	45
2.2.الإشاريات الزمانية.....	47
3.2.الإشاريات المكانية.....	48
المبحث الثاني : الحجاج	50

1. تعريف الحجاج 51
1.1- لغة 51
2.1- اصطلاحا..... 51
2. الحجاج في الفكر الغربي المعاصر..... 53
3. الحجاج في الشعر العربي القديم 55
4. آليات الإقناع في الشعر..... 59
1.4.الآليات اللغوية 59
2.4. الآليات البلاغية..... 61
3.4. الآليات التداولية 64
أ. تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة..... 64
أ.1. الحجاج باستعمال الأغراض الشعرية 64
أ.2. الحجاج باستعمال المثل التاريخي 64
ب. التشخيص 65
المبحث الثالث : الأفعال الكلامية 67
1.نشأتها..... 68
2. الأفعال الكلامية عند الغرب 68
1.2. عند أوستن 68
2.2. عند سيرل 70
3. الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب (الخبر والإنشاء) 75
أ. الاستفهام 76
ب. التمني 77
ج. الأمر 79
د. النهي 81
هـ. النداء..... 81
و. خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر 82
ز. الأفعال الكلامية غير المباشرة في البلاغة العربية..... 82
الفصل الثاني : التحليل التداولي لروميات أبي فراس الحمداني 85
مدخل 86

المبحث الأول : الإشاريات في الروميات 87
1.الإشاريات الشخصية 90
1.1. ضمائر الحضور..... 90
أ. ضمائر التكلم 91
ب. ضمائر المخاطب 96
ج. أسماء الإشارة 100
2.1. ضمائر الغياب 102
2. الإشاريات الزمانية 105
3. الإشاريات المكانية 107
خاتمة المبحث 110
المبحث الثاني : الحجاج في الروميات 112
1. الآليات اللغوية (التكرار)..... 113
2.الآليات البلاغية 115
3. الآليات التداولية 123
1.3.تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة..... 123
أ. الحجاج بالفخر 123
ب. الحجاج باستعمال المثل التاريخي 126
2.3. التشخيص 132
خاتمة المبحث 135
المبحث الثالث : الأفعال الكلامية في الروميات 138
أ. الاستفهام 141
ب. النداء..... 145
ج. الأمر والنهي 148
د. التمني 151
هـ . خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر 151
و. التعبير الكنائي 155
خاتمة المبحث 158
الخاتـــــــــــــــــمة..... 161

.....
قائمة المصادر والمراجع **167**
فهرس الموضوعات **173**

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل خير وتمام كل نعمة والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،سيدنا محمد خير خلق الله أجمعين، وشفيعنا يوم الدين، أمّابعد:

تعد اللغة الوسيلة الأساسية للتواصل الإنساني، فهي تمثل اجتماعية الإنسان، وتجسّد تفاعله مع غيره مما يساعده على التعبير والتأثير والتأثر، وهي ترتبط في المنظور التداولي بمقاصد المتكلم، وبوضعه الاجتماعي وأهدافه انطلاقا من القصد والهدف الذي يسوق من خلاله خطابه، الذي يختلف تبعا لاختلاف العناصر السياقية، مما يفرض عليه أطرا معينة، ينبغي عليه أن يحترمها، من أجل تأسيس علاقة ناجعة بالخطاب مع الطرف الآخرفي العملية التواصلية، سواءا أكان هذا الطرف حاضرا حضورا فعليا أو متخيلا.

والخطاب الأدبي على غرار الاستعمالات اللغوية العادية، يحمل قصد وهدف منشئه، الذي يسعى لتأسيس علاقة بالخطاب مع المتلقي من جهة، والمحافظة على هده العلاقة، باستغلال الثّراء الذي تقدمه الاختيرات اللغوية التي يقوم بها من جهة أخرى .

من هذا المنطلق تم اختيارنا لشعر الأسر أنموذجا للدراسة، لأنه نوع شعري يظهر فيه القصد من كتابة الشعر، وهو محاولة التخلص من محنة الأسر، حيث يظهر جليا تمكّن الشعراء في هذا النوع من التواصل مع مخاطبين مختلفين، وفي مقامات اجتماعية مختلفة، وفي سياقات ومواقف مختلفة كذلك.فانطلقنا من إشكال رئيس هو:كيف استطاع أبو فراس الحمداني أن يعبّر عن ذاته ويمرّر قصده لمتلقّيه ويبلغ هدفه لمخاطبيه المختلفين؟ وما الوسائل اللغوية والبلاغية والحجاجية التي أعملها لمد جسور التواصل، على مساحات تطول من القول الشعري؟

ليأتي بحثنا موسوما بـــ"*تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس الحمداني*" حيث انطلقنا فيه من وقسّمنا هذا الإشكال الرئيس إلى إشكالات فرعية لنتمكّن من الإجابة عليه، ومعالجته من مختلف جوانبه، وهذه الإشكالات الفرعية تتمثل في:

1. كيف عمل أبو فراس على استغلال السياق الوجودي في التواصل مع متلقيه؟ وما الطريقة التي استغل بها الإشاريات في الخطاب، للتعبير عن قصوده وغاياته؟
2. ما هي مختلف الآليات الحجاجية التي لجأ إلى استعمالها في خطابه بهدف الوصول إلى إقناع متلقّيه وحمله على الإذعان؟
3. ماهي الأفعال الكلامية التي استعملها مع مخاطبيه؟ وكيف ساهمت في التفاعل مع المتلقي وتوجيهه نحو الفعل ؟

ومن خلال التماشي مع الإجابة على هذه الإشكالات كانت وراء اختيار الموضوع أسباب، تمثلت فيما يلي:

1- العلاقة الوطيدة بين الموضوع والتخصص الذي تنتمي له و هو البلاغة والأسلوبية. فنحن استعملنا مباحث البلاغة العربية من وجهة النظر التداولية على اعتبار أن البلاغة تداولية في صميمها. ثم عضدنا هذه

المباحث البلاغية بالعمل على استخراج الخصائص الأسلوبية ليساعدنا على استنتاجنا الخاص بالآليات المستعملة لتحقيق التواصل الناجع.

2- رغبتنا في الجمع بين تطبيق التحليل التداولي الذي يعد من بين المناهج الأخيرة التي وصل إليها الفكر النقدي المعاصر ،والنص الشعري العربي الأسري القديم ،الذي ينتمي إلى العصر العباسي.

المنهج المتبع:

إن تركيز البحث على كيفية التواصل من خلال الروميات. ومحاولة الشاعر التأثير في مخاطبه الأول، حيث يقوم هذا التأثير على قصد من كتابة القصائد وهدف واضح وغاية مبيّتة. وهي محاولة التخلص من غياهب الأسر إلى نور الحرية والحياة العادية.

لهذا اخترنا المنهج التداولي في تحليل الخطاب، الذي يعد مستوى تصنيفنا إجرائيا في الدراسات اللغوية المعاصرة يتجاوز المستوى الدلالي ، ليبحث في علاقة العلامات اللغوية بمؤوليها وعلاقتها بالسياق الذي وردت فيه، من خلال دراسة ما يعنيه الخطاب في سياق معين، ومعرفة أثر هذا السياق على لغة الخطاب عند إنتاجه، مع إيلاء عناصر هذا السياق أهمية ، وهي المتمثلة في مقاصد المرسل، وظروف الخطاب الخارجية (المكان والزمان)، والعلاقة بين طرفي الخطاب، ومدى استحضار طبيعة المتلقي الأول في الذهن عند كتابة القصائد.

وقد اعتمدنا طريقة التحليل التي اقترحها هانسون ، محاولة منه إلى تنظيم البحث في ميدان التداولية ، وجعله يخضع لضوابط ينطلق منها المحلّل، وهي تتم بالتدرج حسب درجات التداولية الثلاث: الإشاريات التي تستغلّ السياق الوجودي الذي ينتمي إليه المتخاطبون، الحجاج الذي يعتمد على السياق التأويلي الذي يعرض مختلف المعارف الثقافية لدى المتلقي ، كالقدرة على استحضار المثل الملائم في السياق الملائم، والأفعال الكلامية التي ترصد العلاقات الاجتماعية ومدى ظهورها وتجلّيها في الخطاب.

وابتدأنا البحث بتمهيد نفصّل فيه الحديث عن العلاقات القائمة بين عناصر العنوان؛ بداية من تعريف التواصل ، وتعريف الأسلوب ، والعلاقة بينهما، ثم التعرض للتداولية بمفاهيمها المختلفة، وعناصر العملية التواصلية في البلاغة العربية وعند الغرب، وختمناه بتعريف الشاعر وعرض مدوّنة البحث اللذين يمثّلان معينا على تفسير السياقات في غضون البحث.

وجاء الفصل الأول نظريا ، يعرض لهذه الدرجات عند الغرب باعتباره منبع النظرية ، وعند العرب لأنه يمنحنا الآلية الأصيلة للتطبيق، وكان في ثلاثة مباحث؛ تطرقنا في المبحث الأول للإشاريات؛ تعريفها ،وأهميتها في التحليل التداولي للخطاب من خلال عرض مفهوم الإحالة ، ثم أنواعها التي هي: الإشاريات الشخصية ، والتي تقوم على إمكان التعبير عن الذاتية في اللغة وتساعد على امتلاك الخطاب واكتساب السلطة به وتناولناها من خلال تعريفها عند الغرب ثم عند العرب القدامى والمحدثين حيث.

ركزنا على تقسيم تمام حسان لها حيث يقسها إلى ضمائر حضوروضمائر غياب. وهذا التقسيم ساعدنا على الخروج بنتائج تهم البحث ، ثم عرضنا للإشاريات الزمانية، و الإشاريات المكانية .باعتبارها عناصر تنتمي إلى السياق الوجودي ، وتقدّم تفسيرات له.

وفي المبحث الثاني تناولنا الدرجة الثانية من درجات التحليل التداولي وهي الحجاج وعالجناه من حيث مفهومه عند الغرب القدامى الذين يمثلهم أرسطو، والمحدثين الذين يمثلهم بيرلمان الذي يربط الحجاج بالبلاغة البرهانية ، وديكرو الذي ينطلق من وجود حجاج في كل لغة، ولا يؤمن بوجود خطاب بريء، ثم عرضنا لتناول العلماء العرب للحجاج انطلاقا من القدماء كالجاحظ ووصولا للمحدثين كطه عبد الرحمن. ثم عالجنا مسألة الحجاج في الشعر وارتباطه –في التراث البلاغي والنقدي –بمصطلح التخييل، وأثرذلك على قبول وجود هذا الحجاج،.وبالتالي مدى قبول الحجاج في الشعر، وختمنا المبحث بالصور الحجاجية في النص الشعري، والتي تنقسم إلى:

- آليات لغوية؛كاستعمال آلية التكرار لاسم الفاعل واسم المفعول وصيغة المبالغة، وصيغة أفعل التفضيل .
- آليات بلاغية؛وتتمثل في الصور البيانية، ودورها في حمل الذهن على القياس والاستنتاج، وهي تتمثل في التشبيه و الاستعارة وارتباط القياس بمفهوم السلم الحجاجي، ومدى إمكانية تطبيق السلم الحجاجي على الصور المختلفة واكتشاف الطاقة الحجاجية التي تحملها.
- آليات تداولية؛ وتتمثل في تأسيس الواقع على حالات خاصة، من خلال ارتباط غرض من الأغراض الشعرية بغاية حجاجية معيّنة،ومن خلال العرض إلى الغاية من استعمال الأمثلة التاريخية.والعرض للتشخيص الذي يهدف إلى إبراز حجاجية الاستعارة.

أمّا المبحث الثالث، عرضنا فيه الدرجة الثالثة من درجات التحليل التداولي للخطاب، المتمثّلة في نظرية الأفعال الكلامية ، من حيث نشأتها عند الغرب، وتطورها على يد فلاسفة اللغة، ثم جهود "أوستين" و"سيرل"، مع ذِكرنا لمقابل هذه النظرية في التراث اللغوي العربي، الذي يجسّده مبحث الخبر والإنشاء في البلاغة العربية، فعرضنا لتعريفهما ثم إلى أن الأفعال الكلامية تتمثل في مباحث الإنشاء الطلبي الخمسة؛ الاستفهام ، النداء ، الأمر ، النهي ، التمني ، وخروج الخبر لا على مقتضى الظاهر.

أما بالنسبة للفصل الثاني فكان تطبيقيا ،عرضنا فيه إلى التواصلية في الروميات، وذلك بفهم معنى التأثير من خلال البنية العميقة، أو ما يسمى في التحليل التداولي بالضمني، ودور كل من الدرجات الثلاث للتداولية تطبيقيا ، في التعاضد لتحقيق الأثر والفعل في المتلقي ،من خلال استغلال الشاعر لها في التعبير عن قصده على اختلاف المقامات التي يمر بها ورصد ومدى امتلاكه للغة أمام المخاطبين ومدى إعطائهم الكلمة، وكذا استيعابهم وإمكانية وجود لهجة التقريع في خطاباته على اعتبار أن الروميات نظمت في الأسر

في فترة تجاوزت الأربع سنين، وهذا ما يجعلنا ننطلق من أن الشاعر قام بالتواصل والتفاعل مع مخاطبيه ، بوساطة هذه القصائد التي مثّلت المنفذ الوحيد الذي عبّر من خلاله عن معاناته في الأسر.

وقد عالجناها كما يلي:

1.الإشاريات: تناولنا الإشاريات الشخصية، وكيفية توظيفه لضمائر الحضور والغياب من خلال استعمال الأمثلة ،واستخراج خواص استعمال الضمائر، في حالتي الانفصال والاتصال.

ثم الإشاريات الزمانية التي كانت عامة تعرض الدلالة الخاصة التي يقدّمها الشاعر للزمن، دلالة خاصة والتي تفهم من خلال السياق وتتجاوز الزمن الكوني، ثم الإشاريات المكانية التي تمثلت في تسميات الأماكن التي لا تفهم بدورها إلا في وضعها في سياقها الذي وردت فيه ، وربطها بحياة الشاعر وأهمية هذه الأماكن فيها.

2.الحجاج: وذلك من خلال استعراض الآليات اللغوية التي تتمثل في خاصية التكرار، والآليات البلاغية حيث عرضنا فيها إلى مختلف الصور البيانية مع تطبيق السلم الحجاجي عليها ، لمعرفة العمليات الاستنتاجية التي يقوم بها المخاطب بعد سماع القول،ثم الآليات التداولية ، والتي تقوم على مدى تأسيسه لواقعه الحالي على نفسه على اعتباره حالة خاصة ، من خلال الفخر بنفسه وإبراز أهميته لقومه من وراء ذلك الفخر، واستعماله للأمثلة التاريخية المستمدة من المعارف الثقافية المشتركة بينه وبين متلقيه، ومدى توفيقه في اختيار المثل التاريخي من جهة ، وملاءمته للمقام الذي أورده فيه من جهة أخرى، واستخراج مدى قيام التشخيص بدور حجاجي ، في الخطاب من خلال رصد دور الاستعارة في تشخيص ذوات، من جهة ، وقيامها بالتفاعل من خلال دفعها لعملية التحاور بين هذه الذوات وبين الشاعر ، وتبيان أثر تشخيص ذوات بعينها في سير العملية التواصلية .

3. الأفعال الكلامية: وذلك باستخراجها ،اعتمادا على ما تقدّمه البلاغة العربية التي تعدّ علما أصيلا للتواصل، وقد تمثلت في الاستفهام، والنداء، والأمر، والنهي، ، والتمني، وخروج الخبر لا على مقتضى الظاهر. وذلك برصد مدى تراوحها بين كونها أفعالا مباشرة ، تتماشى مع الغرض الأصلي الذي سيقت من أجله، وكونها غير مباشرة ، وتدخّل السياق لتفسير اختيارات الشاعر لاعتبارات تخص التعبير عن ذلك السياق ، في ذلك الموضع.وكون الكناية أسلوبا غير مباشر يقوم وفق إعطاء الخطاب بعدا تلميحيا، والنأي به عن التعبير الصريح لاعتبارات تداولية ، تخص الشاعر والمخاطب ، وتغيرات السياق الذي يجمعهما،وعلاقة الأفعال الكلامية بالمتلقين ومدى إمكانية القول أن فيها قوة إنجازية ما،وكذا دورها في توجيه المتلقي لفهم قصد المرسل.

وختمنا البحث بنتائج توصلنا إليها من خلال مرحلة التعايش مع البحث .

وكأي بحث فقد واجهتنا صعوبات، تمثلت في كيفية التعامل تطبيقيا مع طبيعة الموضوع، والتعامل مع المنهج المختار للدراسة، وكذا مشكلة ضبط المصطلحات.

ولتذليل هذه الصعوبات'أعانتنا بعض المراجع المتخصصة في ذلك،ومتمثل في –على سبيل الذكر لا الحصر –تحليل الخطاب الصوفي وفق المناهج النقدية المعاصرة لآمنة بلعلى، والحجاج في الشعر العربي القديم حتى نهاية القرن الثاني للهجرة –دراسة في بنيته وأساليبه– لسامية الدريدي، واللغة العربية معناها ومبناها لـــتمام حسان ،ومقالات مثل " عن الذاتية في اللغة " لإميل بنفنيست.

وأخيرا لا يسعني إلا التقدم بالشكر الجزيل للأستاذ رئيس المشروع الذي ينتمي إليه بحثي الدكتور أحمد بلخضر، وكذلك لتحمله مضنة الإشراف على هذا العمل، وفائق الشكر والامتنان للسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تفضّلهم بقراءة البحث، والعمل على تصويب ما فيه من أخطاء ومثالب.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيـــد

1. مفهوم التواصل
2. مفهوم الأسلوب
3. الأسلوب في نظرية التواصل
4. مفهوم التداولية وعلاقتها بالبلاغة العربية
5. عناصر التواصل في البلاغة العربية
6. تعريف الشاعر
7. عرض المدونة

تمـــــهيد:

1.مفهوم التواصل:يعد التواصل من المباحث المهمة التي شغلت فكر الإنسان منذ الأزل، وهذا لتدخله في كل العلاقات التي يقيمها الإنسان، ولابد من تعريفه الغوي والاصطلاحي لننطلق في البحث من الإدراك المعرفي له .

.1 لغة: تناولت المعاجم العربية التواصل من الجانب اللغوي ،فقد جاء في لسان العرب لابن منظور (ت911 هـــ): وصلت الشيء وصلا وصلة والوصل ضد الهجران.وينقل عن ابن سيدة تعريفه للوصل بأن : الوصل خلاف الفصل.وصل الشيء بالشيء يصله وصلا وصلة... واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع .فالتواصل لغويا لابد أن يكون بين شيئين، وهذا ما يعزّز مبدأ المشاركة في التواصل .

وواصل حبله: نحو صلة. والوصلة: الاتصال والوصلة: ما اتصل بالشيء، والتواصل ضد التصارم. والتصارم[1] التقاطع من صرمته الشيء صرما قطعته[2]. ،

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس(ت395هـــ) (صرم): الصاد والراء والميم أصل واحد.وهو القطع.[3] فعندما يفشل التواصل يحدث التصارم، الذي يعني لغويا القطع.

2. اصطلاحا:

1.2. عند الغرب:يعرّف جون ديبوا JEAN DUBOIS في قاموس اللسانيات التواصل بأنه:"التبادل الكلامي بين ذات متكلمة تنتج خطابا موجها إلى ذات أخرى ، والتواصل عملية تتطلب تعدد الذوات في الخطاب."[4] .

عند العرب:يورد طه عبد الرحمان تعريفا للتواصل ، على اعتبار تداوله في مختلف القطاعات المعرفية ، ويرى أنه مصطلح يكتنفه الغموض والإبهام، ويستعين لفك هذا الإبهام، بتوضيح الفرق بين استعمالاته المختلفة التي يمكن أن يدل عليها، وهي مصطلحات لهاوشائج وطيدة، من حيث البناء الصرفي بالتواصل ، وهي ؛ الوصل والإيصال والاتصال "أحدها نقل الخبر، ولنصطلح على تسمية هذا النقل بـــ" الوصل"، والثاني : نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، ولنطلق على هذا الضرب من النقل اسم" الإيصال"، والثالث : نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر، الذي هو المتكلم، واعتبار مقصده الذي هو المستمع معا، ولندع هذا النوع" الاتصال "[5]. فالتواصل يهتم بكل أطراف العملية التواصلية ، وبتفاعلها تحديدا،

---

[1] -ينظر :ابن منظور :لسان العرب، دار صادر بيروت ،ط5 1992 المجلد 11 مادة (وصل) ،ص726 .

[2] -ينظر: المرجع نفسه، المجلد 12، مادة (صرم)، ص335 .

[3] - ينظر:ابن فارس: مقاييس اللغة،تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل بيروت، المجلد 6 مادة (وصل)،ص 115.

4- voir JEANDUBOIS ETAUTRES DICTIONNAIREDE L'INGUISSTIQUE, Larousse 2002.pa94.

[5]- ينظر:طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 254.

وهذا ما يدعو إلى الاهتمام بكل من المتكلم، والمخاطب ، والخطاب ، والسياق اللغوي والواقعي الذي يتم فيه التواصل.وما يرتبط بهذه لعناصر من قصد للمتكلم ، وهدف صيغ الخطاب من أ جله، ليحدد الغاية .

وما يهمنا من تناول المحدثين للتواصل ،هو اهتمامهم بأطراف العملية التواصلية ، ومدى تجسّد هذه الأطراف في الخطاب.

وفي التراث البلاغي العربي نجد أن البلاغة العربية علم أصيل للتواصل،انطلاقا من أن اللغة تتسم عندهم بأنها خاصية جماعية؛ فابن جني (ت392هـ) يعرّفها بقوله" أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1].هذا التعريف يركز على أن اللغة تمارس من طرف متخاطبين في إطار تنظيم اجتماعي معيّن.

ويورد أبو هلال العسكري (ت395هـ)تعريفات عدة للبلاغة؛ من بينها أنها : "كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[2]؛ فالبلاغة تركز من خلال هذا التعريف على الفهم والإفهام ،وعلى مستوى الإمتاع ؛ الذي يقتضي زيادة على تقديم الإفادة المتلقي إمتاعه عن طريق القالب الحسن الذي تصاغ فيه التراكيب.

نستنتج من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للتواصل أنه مفهوم تناولته مختلف المجالات المعرفية نحو: اللسانيات والبلاغة العربية، و هو يقتضي التفاعل بين طرفين على الأقل ، ولضمان عدم انقطاع العملية التواصلية ، يجب أن يكون أطرافها يتعاملان بشيفرة لغوية واحدة ، يفهمان صيغها وتراكيبها.

2. مفهوم الاسلوب : style : يحتل الأسلوب مكانة أساسية في كل لغة، على اعتبار أنه لا وجود لكلام دون أن يصاغ في أسلوب أو طريقة معينة. ويمكن أن نعرّفه كما يلي:

1.2لغة: جاء في لسان العرب أن :"الأسلوب يقال للسطر من النخيل .وكل طريق ممتد فهو أسلوب (...) والأسلوب: الوجه والمذهب و الفن"[3]. فالدلالة اللغوية للأسلوب تتمثل في الاستقامة الواضحة و الاتحاد المميز للأشياء، فالاستقامة سواء كانت مادية أو معنوية تجمع بين عناصر سطر النخيل،و الاتحاد بين الأشياء حيث يكون متميزا و هو عامل مشترك بين هذه الأشياء حيث لا يمكن أن يستقل عنصر منها إلا إذا توفر فيه الاتحاد أو احتوى على نصيب منه.

---

[1]-ينظر : ابن جني، : الخصائص، تح : عبد الأمير هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـــان،ط2003.ج:1،ص:33.

[2]-ينظر: أبو هلال العسكري : الصناعتين-الكتابة والشعر، تح: ، تح : علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، د.ت.ط . ص:19.

[3]- ينظر: ابن منظور : لسان العرب، مج:1، ص: 473.

2.2اصطلاحا :

من النظرات العمومية للأسلوب ما قدّمه أحمد الشايب في تعريفه إذ يورد أنّه :"طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ و تأليفها للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح و التأثير".[1]

فهو بوجه عام : طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابة؛ إذ يمكن تحديده بكونه موقفا من الوجود، يتخذه المستعمل للغة كتابة أو مشافهة.

ويمكن أن نعبر عن الأسلوب بأنه موقف يتخذه الكاتب نحو موضوع فيعبر عنه، بحيث يشكل هذه اللغة في نظام له طرق مختلفة، تنتهي في النهاية إلى تكوين ما يسمى بالنص الفني شفاهة أو كتابة .

ويقدّم سعد مصلوح تعريفات تنظر للأسلوب من حيث الوظيفة ، وهو ينطلق من أن العمل الأدبي نمط متميز من أنماط الاستعمال اللغوي، وهو رسالة موجّهة من منشئ إلى متلق، يشتركان في نفس الشفرة اللغوية، ويقتضي أن يكون كل منهما على دراية بالعلاقات الصرفية والنحوية والدلالية للغة المشتركة بينهما.

على اعتبار أن اللغة قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير ، حيث تقدم لمستعمليها إمكانيات الاختيار للتعبير عن مقاصدهم وغاياتهم من إنشاء الكلام.لهذا يعرّف

الأسلوب على أنه:" اختيار choix أو انتقاء sélection يقوم به المنشيء لسمات لغوية معينة، بغرض التعبير عن موقف معين.ّ[..]وهو مجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين ، وهي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من المنشئين". [2]

وهناك اتجاه ، يتزعّمه ميشال ريفاتير،ينظر للأسلوب على أساس تأثيره في المتلقي، ويرى أنه "قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ، بواسطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام ،و حمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إذا غفل عنها تشوه النص، و إذا حلّلها وجد لها دلالات تمييزية خاصة، بما يسمح بتقرير أن الكلام يعبّر و الأسلوب يبرز".[3]

و هناك ملمح آخر يرى أن "الأسلوب مفارقة Departure أو انحراف Déviation عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري norme". أو هو:" إضافة addition نفترض ابتداء وجود تعبير محايد لا يتم بأي سمة أسلوبية محددة[..] ثم تكون السمات الأسلوبية إضافة إلى هذا التعبير المحايد لكي تنحو به منحى خاصا موافقا للعبارة عن سياق بعينه".

---

[1]-ينظر: أحمد الشايب: الأسلوب –دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط: 12،2003.ص:44.

[2]-ينظر:سعد مصلوح: الأسلوب-دراسة لغوية إحصائية،عالم الكتب ،القاهرة، ط3 ،2002.ص:39.

[3]-ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب-نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ،د.ط، 1977. ص: 79.

وأيا ما كان تعريف الأسلوب فإن القاسم المشترك بين هذه الآراء جميعا هو اعتبار الأسلوب:" استعمالا خاصا للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانات والاحتمالات المتاحة، و التأكيد عليها في مقابل إمكانات و احتمالات أخرى، لأن لها القدرة على التعبير عن ذلك القصد في ذلك الموضع، وذلك لغرض التأثير في المتلقي، مهما كانت درجته.

3.الأسلوب في نظرية التواصل: يرى رومان جاكوبسون " أن كل حدث لغوي يتضمن رسالة وأربعة عناصر مرتبطة بها؛ هي المرسل والمتلقي ومحتوى الرسالة "الكود" أو الشفرة المستعملة فيها، أما علاقة هذه العناصر ببعضها البعض فهي متنوعة متغيرة، فقد يحدث أحيانا أن تعمل الوظائف المختلفة لها بالشكل المنعزل، لكن المألوف أن نجد مجموعة من الوظائف متماسكة مترابطة لا تتكدس مع بعضها البعض، ولكنها لا تنتظم في مراتب، مما يجعل من الضروري أن تقوم بالتعرف على الوظائف الأساسية والوظائف الثانوية".[1]

وقد حدد جاكبسون(R.Jakobson) من رسم مستعار من نظرية الاتصال اللاسلكية، ست وظائف لسانية وبقي تحليله صالحا لكل طرقالتواصل، وأهم الوظائف التي يستند إليها هي:

1. الوظيفة المرجعية: وتعتبر قاعدة لكل اتصال، إنها تحدد العلاقة بين الرسالة والموضوع الذي تحيل إليه.
2. الوظيفة الانفعالية: تحدد العلاقة بين الرسالة والمرسل وهذه الوظيفة مصدرها يأتي من تنوعها الأسلوبي ومن الإيحاءات التي توحي بها هذه التنوعات الأسلوبية.
3. الوظيفة التنبيهية: وتهدف إلى شد انتباه المتلقي
4. الوظيفة الإفهامية: وتحدد العلاقات بين الرسالة والمتلقي ورد الفعل هو مدار اهتمامها وغايتها.

5. الوظيفة الانعكاسية: وتسعى إلى تحديد معنى الإشارات
6. الوظيفة الشعرية :يحددها بأنها علاقة بين الرسالة وبنية تكوينها، وتكلف الرسالة في الفنون عن كونها أداة للإيصال لتصبح موضوعا في ذاتها.[2]

وقد ميز بعض الباحثين بين اربعة انماط من الاختيار من بينها الاختيار قصد التوصل فعلى اساس بواعث محددة يظفر المتكلم بتحقيق قصده من الكلام سواء اكان توصيلا او فرضا او اقناعا او مجرد اعلام باعتماده على اختياراته التي يعقدها من بين ما تتيحه له اللغة من امكانيات .[1]

[1]-ينظر :صلاح فضل ،نظرية البنائية في النقد العربي الحديث، دار الشروق، القاهرة ،مصر، ط 1 ، 1998 ص:204.

[2]- ينظر :نور الدين السد :الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.ص: 217.

حيث تكون امكانية الاختيار مقيدة بقصده وبعوامل الموقف الذي ينتج فيه خطابه ومنها معارفه وتجاربه ورؤيته للوجود وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية والانسانية ".[2]

ان الحديث عن تموقع الاسلوب في نظرية التواصل يفرض علينا الانطلاق فيه من اللغة التي تمثل المجال الوحيد للتواصل اللغوي ومن حيث كونها تتميز بخاصيتها الاجتماعية التي تمنحها القيام بدورها الاساس وهو التواصل بين الافراد فـــ" اللغة هي الشيء الوحيد الذي لا يمكن تاميمه لانها تولد كملكة جماعية لاخاصة اذ لو كانت خاصة لفقدت قدرتها على التوصيل" [3].

ومكن للاسلوب القيام بدوره في التواصل من خلال كونه اختيارا من بين الاكانيات المتاحة للمتكلم لغرض التواصل الذي يكون موضوعيا اذا او ذاتيا يهدف الى التاثير في المتلقي باستغلال المادة اللغوية التي يقدمها النظام العام للغة وهذا ما يدفعنا الى القول بضرورة الاهتمام بالجوانب النفسية والاجتماعية والتي تمثل السياق العام الذي يولد فيه الاسلوب ليعبر عما وجهه اليه صاحبه .

3. مفهوم التداولية :pragmatiqueوعلاقتها بالبلاغة العربية:

لقد تعددت المداخل التي اهتمت بدراسة النصوص الأدبية حسب تركيز كل منها الاهتمام على عنصر من عناصر العملية التواصلية واختلفت كالآتي:

1. الاتجاهات التي اهتمت بالمتكلم وتتمثل في الاتجاهات النفسية والتاريخية والاجتماعية
2. الاتجاهات التي اهتمت بالنص البنيوية السيميائية التفكيكية
3. الاتجاهات التي اهتمت بالمتلقي تتمثل في نظرية التلقي والقراءة التي يتزعمها ياوس وأيزر

وقد جاء الاتجاه التداولي في مقاربة النصوص الأدبية وذلك من خلال اهتمامها بكل عناصر الموقف التواصلي من: مرسل ومتلقّ ونص وظروف محيطة بإنجاز هذا النص، فحول بهذا مجرى الدراسات التي كانت مقتصرة على البنية المجردة لكيفية استعمال العبارة اللغوية– وهذا ما تذهب اليه الدراسات البنيوية من إغراق في الوصف – إلى الاتجاه إلى الدراسة التي تأخذ بالحسبان دراسة هذه البنية للتمكن من انجاز العبارة .

وقد كان أول استعمال لمصطلح التداولية مع تشارلز موريسCharles Morris سنة 1938 حيث دل على فرع من فروع ثلاثة احتواها علم العلامات:

---

[1]-ينظر صلاح فضل علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1 ، 1998 . ص: 117.116.

[2]-ينظر نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1ص: 217.

[3]- ينظر :صلاح فضل ،نظرية البنائية في النقد العربي الحديث،ص:170.

1. **علم التراكيب**syntaxe: غايته دراسة علاقات شكلية تبين العلامات ليوضح الروابط الحاصلة بين الدوال والمدلولات التي تحيل إليها.
2. **علم الدلالة**sémantique: مهتمه البحث في العلاقة التي تجمع الدالة بالمدلول أي العلاقة بين الألفاظ ومعانيها.
3. **التداولية**pragmatique : تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها[1].

بمقاربتنا لمفهوم التداولية نتوصل إلى وضع مبادئ أساسية تبنى عليها هي:

- المادة: المراد بها تلك العلامات أو الخطابات المتداولة بين المتكلميين والمتلقين.
- العلاقة: تتمثل في الرابط الجامع بين الخطاب وغايته.
- التلقي: تجسده ردة فعل المتلقي بعد وقوع بعد وقوع الفعل الكلامي مثلا: الذي أراده منه مرسله مستخدما أدوات اقناعية معينة.

على هذا الأساس تكون التداولية محتملة لعدة تعريفات أهمها ما يربطها بالتواصل حيث يذهب أصحاب فلسفة اللغة الطبيعة مؤكدين أن: "توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية يكون من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها"[2].أو بالنظر لها بأنها لسانيات تداولية اهتمت بمعالجة كيفية استعمال المتكلمين للدلالات اللغوية في خطاباتهم؛ أي كيفية إرسال وتأويل هذه الخطابات ويمكن أن نضيف إليها شرط التواصل المتحقق ، من خلال كفاءة تواصلية تتمثل في استغلال الكفاءة اللغوية في تحقيق التواصل والفعل في المتلقي.

بناء على ما تقدم يتضح أن التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب إذ هي كما ترى فرانسواز أرمينكوFrançoise arminco: "تلك الإمكانيات التي تتيح لنا التواصل من خلال الإجابة عن أسئلة هي: ماذا نصنع حيث تتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من المتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ما الغاية من الكلام؟"[3]

وهي كما ترى أن ماري ديلرAnne marri diller وفرانسواز ريكانتيFrançoise recanati: "دراسة اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها التخاطبية".[4]

---

[1] -ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص: 09.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص :10 .

[3] -ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، المغرب، د ط، 1986، ص 07،08.

[4] -ينظر: المرجع نفسه، ص: 08.

ويعرفها الجيلالي دلاش بأنها: "تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للدلالة اللغوية في صلب أحاديتهم، وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث[1]".

وهذا ما يؤدبنا إلى تفسيرا للغة كما يراها هاليداي:" لا بوصفها مجرد استخدام للغة، بل بوصفه(الاستخدام) خاصية جوهرية للغة نفسها"[2]. ويرى المهتمون بالمجال التداولي أنه من الصعب تحديد مجال تخصص التداولية وتعيين موضوعها لما في التحديد من تضييف لمجال الموضوع ، إلا أن هناك من اقترح تحديدان لمجال تخصصها منهم: فان ديك(van dijk)الذي يرى أن التداولية تعنى بتتبع أثر القواعد التعارف عليها من خلال العبارات الملفوظة وتأويلها. كما تهتم أيضا بتحليل الشروط التي تجعل العبارات جائزة ومقبولة في موقف معين بالنسبة للمتكلمين بتلك اللغة ويحدد لها ثلاثة مهام:

1. صياغة شروط نجاح إنجاز العبارة
2. صياغة مبادئ تتضمن، اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الانجاز الذي ينبغي أن يستوفي في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة
3. الإجابة عن تساؤل: كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي وكمبادئ فعل مشترك الانجاز التواصلي مع بنية الخطاب أو تأويله؟[3].

وبهذا فهي تسعى الى ايجاد مبادىء تشتمل على اتجاهات مجاري فعل الكلام المعقد، من خلال اهتمامه بالعبارة من ناحية انجازها بنجاح ، حيث يحافظ على أهم شرط وهو المتمثل في جعلها مفهومة .

وتهدف الى صياغة مباديء تمكن المنشئين من إنجاز أفعال لغوية ناجحة، من خلال احترامهم للشروط والضوابط والتي هي مباديء للخطاب، في أي سياق تواصلي ينتجون فيه عباراتهم .

مما سبق يتضح بجلاء الإطار العام للهدف الذي تصبو إليه التداولية، فهي تسعى لتجاوز النظرة الصورية للغة التي كانت محل اهتمام المدارس اللسانية السابقة، لتدعو إلى ضرورة إيلاء العناية الكافية بالظروف المواتية والمناسبة عند استعمال اللغة. منطلقة في ذلك من اقتناعها أن اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها ، في إطار وظيفتها الأساسية وظيفة التواصل.

---

[1] -ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط،د ت، ص 01.

[2] --ينظر:هاليداي : وظائف اللغة، ترجمة: محمود أحمد نحلة، وقد ورد ضمن محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص: 271.

[3] -ينظر: فان ديك، النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، د ط، د ت، ص :256.

وقد انتقلت التداولية1 بمفاهيمها الغربية للفكر العربي المعاصر، ونجد طه عبد الرحمن الذي ترجم المصطلح بالتداوليات؛ يقول: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين "الاستعمال" و"التفاعل من خلال عناية التداولية بكل عناصر التواصل، لأنها تدرس اللغة وهي تدور بين ألسنة المتخاطبين ، ودراسة التفاعل بين طرفي العملية التواصلية لأن الأطراف كلها تنتمي الى ظروف مقامية سواء أكانت داخلية أو خارجية يجب مراعاتها عند الدراسة، وعدم إغفال أنها تنظر إلى المتكلم والمخاطب لتتمكن من دراسة التفاعل الذي يقتضي النظرة العامة لأطراف التواصل، وليس النظر لكل طرف على حدة أطراف الخطاب في مقام معين، ولا تعنيها اللغة وهي خارج الاستعمال"[2] ، ومن ثم ليخلص إلى أن المعنى الذي يحمله الفعل هو "التواصل" ومقتضى التداول –إذا– أن يكون القول موصولا بالفعل.

أما عن التراث اللغوي العربي فنجد أن العلماء سعوا إلى البحث عن مجال التداولية وهو دراسة اللغة أثناء الاستعمال فوجدوا ذلك في التراث اللغوي العربي ، خاصة في مجال أصول الفقه، والنحو، والبلاغة ؛هذه الأخيرة التي انطلقت معرفة وانتهت صناعة؛ أي أنها انطلقت من الملاحظات النقدية غير المنظمة ،وازدهرت في تنوّع رؤى تفسير الإعجاز القرآني ،وانتهت صناعة– على يد السكاكي– لها قواعد تضبطها كقواعد النحو، حيث تتبع إجراءات محددة للكشف عن المعنى.[3]

أما في العصر الحديث فيعرّف أمين الخولي البلاغة بجعلها "فن القول"[4] وهو عنوان وسم به كتابه الشهير في قراءة البلاغة العربية:ويورد صلاح فضل مفهوما له، بتعريف الفن ، ثم تعريف القول ، كما يلي:

---

[1] –يستخدم الباحثون مصطلحات عديدة لترجمة التداولية؛ فنجد من يسميها بـــ**الذرائعية** ؛ وهو ما قدّمه حامد أبو أحمد في ترجمته لكتاب "**نظرية اللغة الأدبية**"لـــ"**خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس** –ينظر : خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس: "نظرية اللغة الأدبية؛ ترجمة: حامد أبو أحمد،مكتبة غريب ، د.ط، د.ت ، ص : 88.و يسميها "**محمد محمد يونس علي**" بـــ"**علم التخاطب**"في كتابه: مقدمةفي علم التخاطب الإسلامي ، ينظر: محمد محمد يونس علي :مقدمة في علم التخاطب الإسلامي –دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المنار الإسلامي ، ط1. 2006. لكن يبقى المصطلح الأكثر استعمالا واطّرادا –على حد اطلاعنا– في المغرب العربي هو التداولية وهو ما سنأخذ به في هذا البحث.

[2]- ينظر: طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، د.ط، 1993.ص: 244.243.

[3] –ينظر: تمام حسان، مصطلح البلاغي القديم (في ضوء البلاغة الحديثة)، ضمن مقالات في اللغة والأدب، ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص: 142.

[4] – ينظر: صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، أدبيات مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط2، 1996، ص :123.

– **الأول: الفن:** وهو كل ما يرتبط بالذوق والاستخدام الشخصي للغة؛ أي أنه يقابل أثار المتكلمين على كلامهم، وكيف يمكن للمتكلم أن يعدّل من موقف السامع، وهو ما حدّده موريس بدراسة التداولية لعلاقة العلامات بمستعمليها.[1]

– **الثاني: القول:** ويشمل الأداء الفعلي للغة، نستنتج من هذا التعريف أن البلاغة العربية هي استعمال وأداء فعلي للّغة من طرف متكلم ، يترك آثاره الشخصية عليها، بغية التأثير على السامع، وهذا يتجلّى من خلال تغيّر في سلوك السامع. لذلك لم يفرق بعض الدارسين المحدثين بين البلاغة والتداولية حيث يرى ليتش leechفي سياق حديثه عن البلاغة الغربية أنها تداولية في صميمها[2]،إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع ، ويرى محمد العمري أنه تمّ إعادة الاعتبار للبلاغة العربية في الدراسات السيميائية الحديثة تحت عنوان جديد: "التداولية"[3] في سياق حديثه عن تأثير البلاغة في المخاطب عن طريق المقال. ويقول بعض الباحثين "بالبلاغة التداولية" التي تقف مهمتها على مطالبة المتكلم بأن يعي مقامات مخاطبيه ومستوياتهم المختلفة[4].

وإذا انتقلنا إلى دلالة "بلغ" لغويا وأصل استخدامها فقد ذكر أبو هلال العسكري أن :"البلاغة من قولهم بلغت الغاية: إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري: الشيء: منتهاه... فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه. وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها فتنتهي بها إلى ما فوقها .وهي البلاغ أيضا ويقال الدنيا بلاغ لأنها تؤديك إلى الآخرة. والبلاغ أيضا التبليغ في قوله تعالى: "
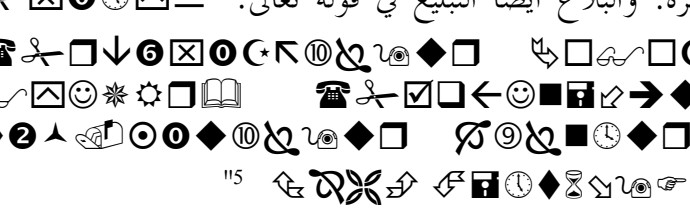
"[5]

أما ما ورد في مفهومها الاصطلاحي عند علماء العربية، فهو لا يختلف عن هذه الدلالات العامة التي يحيل إليها المعنى اللغوي ،وتتحدد في البلوغ الذي معناه الوصول والانتهاء إلى نفوس المخاطبين، نحو ما

---

[1] -ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع-العلمة-الجزئر، ط1، 2009، ص: 155.

[2] -ينظر: صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، ص:124.

[3] -ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، د. ط، 1999، ص: 294.

[4] -ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين، الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ع2، مارس، 2000 ، ص: 62.

[5] – سورة إبراهيم، الآية52.

ذكره أبو هلال العسكري "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن[1]".

ويرى تمام حسان "لو أننا رجعنا إلى النموذج الذي وضعه ياكوسبون لأركان عملية الاتصال فلربما كان ذلك عونا لنا على فهم المقصود بالبلاغة. فالنموذج كما يلي:

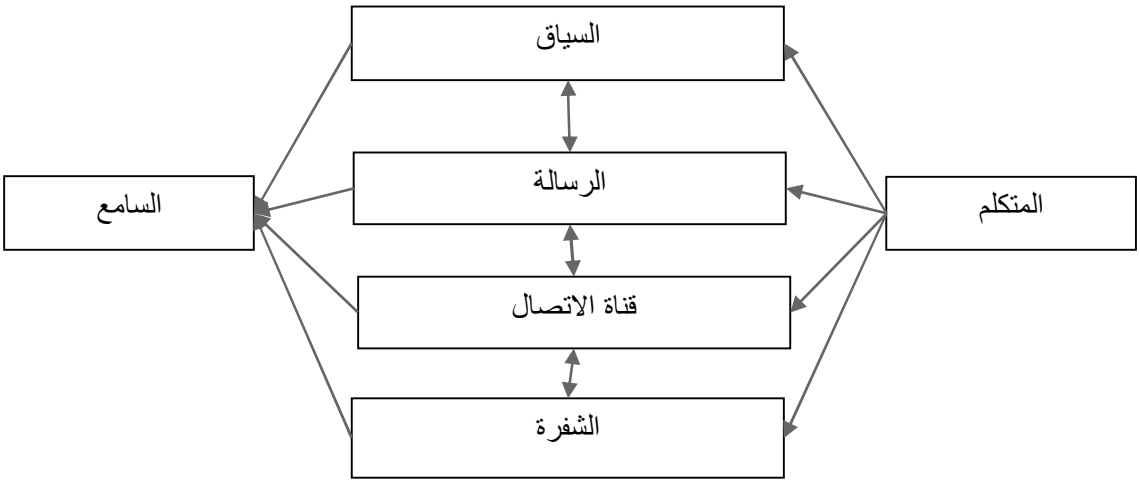

دعنا نفهم السياق جدلا بأنه: "المقام" والرسالة بالنص أو العبارة وقناة الاتصال مثلا بالمشافهة. والشفرة بالمعنى المقصود إذ صح لنا هذا فمن الممكن تحديد البلاغة بأنها عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة منطوفة خلال قناة اتصال مسموعة في مقام معين، وربما أضفنا جهد السامع في حل الشفرة[2]

4.عناصر العملية التواصلية :

1.4. المتكلم :

لقد أولت البلاغة العربية للمتكلم (المرسل) عناية فائقة باعتباره "فاعل الكلام"[3]، خاصة الشاعر والخطيب الذي كان يعتنى به أيّما اعتناء، فهو وحده من يستطيع تحديد المدلولات ومقاصدها، لارتباط المعنى في العديد من المرات بما يريده وينوي إبلاغه، شريطة إلمامه بمقتضيات الخطاب المختلفة، من درايته بأقدار السامعين و منازلهم، وامتلاكه السبل لإقناعهم وإمتاعهم بحيث يخاطب كل سامع بما يناسبه.

---

[1] -ينظر: أبو هلال العسكري : الصناعتين-الكتابة والشعر، ص: 18.

[2] -ينظر: تمام حسان، مصطلح البلاغي القديم (في ضوء البلاغة الحديثة)، ص :156.

[3] -ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة،علّق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط5. 2005.ص 47.

يقول الجاحظ "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1]. كما يشترط "بشر بن المعتمر" في المتكلم حسن مواءمته بين معانيه ومستمعيه، فينبغي عليه أن يلائم بدقة بين ملفوظه وموضوعه، ومن يوجه إليهم الحديث.[2]

وأول شرط يتوفر في المتكلم تلقائيا هو الكفاءة اللغوية والكفاءة التداولية وهما كما يلي:

الكفاءة اللغوية:compétence linguistique وتعد كفاءة أساسية يجب على أي متكلم امتلاكها وهي:" تستمد وجودها من وجود قواعد وأنظمة لغوية معينة، بمختلف مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية ".[3]وإذا كان تشومسكي قد استعمل هذا المصطلح في صيغة النظرية التحويلية التوليدية فإن ابن خلدون(ت729هـ) اصطلح عليها بالملكة إذ يقول:" اعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة ، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها، بحسب تمام الملكة أو نقصانها. وليس بالنظر إلى المفردات وإنما بالنظر إلى التراكيب فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الالفاظ المفردة للتنعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة ."[4] فنجده يقدم مفهوما للبلاغة اعتمادا على الكفاءة اللغوية من خلال تركيب الألفاظ المفردة لتدل على المعاني المقصودة ومطابقتها لمقتضى الحال، الذي يمر به المتكلم عند تلفظه بالخطاب.

الكفاءة التداولية: pragmatique compétence

أو تسمى الكفاءة التواصلية compétence communicative كما يقول هايمسhaïmes إذ يعد أول من لها عند الغرب من المعاصرين في دراسة نشرت له عام 1971بقوله انها بمعنى :" المعرفة بالقواعد النفسية والثقافية والاجتماعية التي تتحكم في استعمال الكلام في إطار جتمع معين "[5]،فعلى المتكلم أن

1 -ينظر: الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت.ط .ص: 75.

2 -ينظر:شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط12، 1965،ص46.

3-ينظر : هادي نهر: الكفايات التواصلية والاتصالية ، دراسات في اللغة والاعلام دار الفكر، عمان ، ط1.2003. ص:88.

4-ينظر: ابن خلدون : المقدمة : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط4، 1984. ،ص:222.

5-ينظر : هادي نهر : الكفايات: التواصلية والاتصالية ،ص 88.

يكون مدركا لبنية المجتمع، فيما يخص البناء الفكري له، ومدركا لدور هذه البنية في صياغة قواعد تتحكم في استعمال الكلام .

ويرى بيار بورديوP.bordieu أن الكفاءة التداولية هي :"قدرة المتكلم على معرفة متى وكيف يستعمل اللغة ، ومعرفة ما يجب قوله في ظروف معينة ومتى يجب عليه السكوت ومتى يجب عليه الكلام إنما هي المعارف التي تزاد على الكفاءة اللغوية الصرفية، المتمثلة في اثراء الرصيد المعجمي عند مستعمل اللغة ،وتمكنه من قواعد لغته والسيطرة على المعاني بوضوح في خطابه "[1]، وهذا المفهوم يلتقي مع ما قرره الجاحظ في البيان والتبيين على لسان ابن المقفع في تعريف البلاغة بأنها :" اسم جامع لمعان كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء". فالكفاءة التداولية تقتضي من المتكلم إيراد خطابه وفق المقام الذي يتواجد فيه من جهة، ومستوى المخاطب الذي هو أمامه ومعرفة الأوقات الملائمة للكلام أو السكوت ، وهي بهذا الطرح تحتوي الكفاءة اللغوية ، وتزيد عليها السيطرة على الطريقة استعمال المعنى طرف المتكلم بمراعاة المخاطب والمقام التواصلي وعليه فإن الكفاءة التداولية نسق متعدد من خمس ملكات على الأقل :

-ملكة لغوية:حيث يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول إنتاجا وتأويلا صحيحين، عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا ومعقدة جدا، في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة .

-ملكة منطقية : بإمكان مستعمل اللغة الطبيعية على اعتباره مزودا بمعارف معينة، أن يشتق معارف أخرى بواسطة قاعدة استدلال تحكمها قواعد المنطق .

-ملكة معرفية : بأن يستطيع تكوين رصيد من المعارف المنظمة ، واشتقاق معارف من العبارات اللغوية وتخزينها واستحضارها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية .

-ملكة ادراكية : تتأتى بإدراكه للمحيط واشتقاق معارف منه، يستعملها في إنتاج وتأويل العبارات اللغوية.

-ملكة اجتماعية : حيث لا يكتفي مستعمل اللغة الطبيعية بمعرفة ما يقوله فحسب، بل يعرف كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصلي معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة. [2]

ومن المفاهيم المرتبطة بالمتكلم والتي تؤخذ بعين الاعتبار في الدرس التداولي ونجد لها صدى في التراث البلاغي والأصولي **مفهوم القصد** ، لذلك سنقوم بتوضيح هذا المفهوم بالتعرض إلى التعريفات التي أعطيت **له** في مختلف البيئات كما يلي: فقد تناوله القدماء من اختلاف مذاهبهم واختصاصاتهم، جاء في أساس

---

[1]-ينظر : المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

2-ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب ، الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004. ص:57.

البلاغة للزمخشري (ت528هـ) في مادة (ق ص د) " قصدته وقصدت له وقصدت إليه وغليك قصدي ومقصدي وبابك مقصدي وأخذت قصد الوادي و قصيد الوادي (...) ورماه فأقصده وتقصده قتله مكانه (...) وعضته الحية فأقصدته وأقصدته المنية (...) ومن المجاز قصد في الأمر إذ لم يجاوز فيه الحد ورضي بالتوسط لأنه في ذلك يقصد الأسد، وهو على القصد، وعلى قصد السبيل إذا كان راشدا"[1].

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس في تقريبه بين القصد والمعنى والقول بوجود علاقة بينهما،: عنى: العين و النون والحرف المعتل أصول ثلاثة: الأول القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثاني دال على خضوع وذل، والثالث ظهور الشيء وبروزه، ومن هذا الباب معنى الشيء. ولم يزد الخليل على أن قال: معنى كل شيء: محنته وحاله التي يصير إليها أمره.

والذي يدل عليه قياس اللغة أن المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بحث عنه. يقال: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر، أي الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ[2] فابن فارس يكد على أن القصد هو المعنى ،

ويعرّف أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية المعنى اعتمادا على القصد في قوله:"المعنى هو القصد الذي يقع به المعنى على وجه دون وجه،وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلّق به القصد (...)وجعل المعنى القصد لأنه مصدر ، والكلام لا يترتب في الإخبار أو الاستخبار وغير ذلك لا بالقصد"[3]، فهو يشير غلى أن القصد يمكن أن يكون المعنى المتواضع عليه في اللغة ،وان تغير الاساليب له علاقة عميقة بالقصد .

و نلاحظ أن للقصد دلالتين: لغوية وتعني النية ونية الوجهة، ومجازية تعني تحديد المسار والوجهة.

وأحيانا جعلوا المعنى جميعا في القصد قال ابن فارس " فأما المعنى فهو القصد"[4] .

وجعل المحدثون القصد في العلامة في حد ذاتها:" إن العلامة تنطوي على القصد إذ يقتضي دستورها الدلالي توفر النية في إبلاغ ما تفيده"[5] .على الانطلاق من وجود علاقة بين ما تواضع استعماله في بيئة اجتماعية معينة ، وما يقصده المتكلمون بتلك اللغة ، وهو ما يتمثل في عدم خروج المتكلمين عن مبدأ **المواضعة**.

وللقصد مكانة بارزة في الدرس العربي عموما على تعدد معانيه في أنه أساس عملية التواصل والإبلاغ، ويقوم عليه تمييز المتكلم فيها حيث: :"إن المكلّم لغيره إنما يحصل مكلما له بأن يقصده بالكلام دون غيره

1 - ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة،دار صادر بيروت، ط1 1992، ص 509.

2 -ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، تح : محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1997 . مج 4، ص.148

3-ينظر:أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ،ص:45،46.

4-ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، مج 4، ص148

5-ينظر :عبد السلام المسدي :التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب ، ط2. 1986،ص:144.

ويكون آمرا له متى قصده بالكلام وأراد منه المأمور به ..."كما يرى القاضي عبد الجبارفي كتابه:" المغني في أبواب التوحيد والعدل".

ونلفي اهتماما بارزا بالقصد عند الأصوليين إذ هو ثابت عند المتكلم لا يتغير؛ والمتكلم _لذلك_ يتخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد ولكن مراتب السامعين تتفاوت في إدراك مقصود المتكلمين، تبعا لتفاوت قدراتهم العقلية واللغوية والثقافية [1].

والقصد مرتبط بالخبر لدى الغزالي يقول: " يصير الخبر خبرا بقصد القاصد إلى التعبير عما في النفس"[2]وقد حمل ابن القيم على من أفتى بطلاق امرأة قال لها زوجها: إذا أذنت لك في الخروج إلى الحمام فأنت طالق فتهيأت للخروج إلى الحمام فقال لها: اخرجي وأبصري. و لم يكن قصده بقوله الإذن بل التهديد، فكان ما أفتى به المفتي أخذا بظاهر اللفظ دون وقوف على قصد المتكلم، فأفتى كما قال ابن القيم بما لم يأذن به الله ورسوله، ولا أحد من أئمة الإسلام، لهذا حذر ابن القيم من مغبة إهمال قصد الكلام فقال:"فإياك أن تهمل قصد المتكلم ونيته وعرفه فتجني عليه وعلى الشريعة، وتنسب إليها ما هي بريئة، وتلزم الحالف والمقرّ والناذر والعاقد ما لم يلزمه الله ورسوله به"[3].

إن أهم ما يتولد عن القصد مفهوم رائد للفعل في الدرس العربي يعبر عن الأداء الفعلي للغة من طرف المتكلم، ابن خلدون:" اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام "ويقول" إذ لا يتم كون الفعل إلا بإرادته والقصد إليه، والقصودات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة، يتلو بعضها بعضا وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل". ويقول:" ويبقى من الأمور المكتفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين"[4] وعن دلالة الاحوال الشاهدة بالقصود الحالفة على ما في النفوس يورد ابن جني قوله بأنه:"ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب (ووجوهها) وتضطر الى معرفته من أغراضها وقصودها:استخفافها شيئا أو استثقاله ،وتقبله أو انكاره،والانس به او الاستحاش منهن والرضا به أو التعجب من قائله وغير ذلك من الاحوال الشاهدة بالقصود الحالفة على ما في النفوس ؛ألا ترى إلى قوله:

تقول– وصكّت وجهها بيمينها– أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس،من غير أن يذكر صك الوجه، لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال فقال: (وصكّت وجهها)علم بذلكقوة إنكارها ، وتعاظم الصورة لها ، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها ، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف،ولعظم الحال في نفس

1-ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص :73.

2 -ينظر :عبد السلام المسدي :التفكير اللساني في الحضارة العربية،ص:146.

3- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص:74.

4-ينظر :ابن خلدون ،المقدمة ص:712.

تلك المرأة أبين ،وقد قيل(ليس المخبر كالمعاين) ولو لم ينقل هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكّت وجهها ،لم تعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها ، وليست كل حكاية تروى لنا،ولا كل خبر ينقل الينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له، المقترنة-كانت-به،نعم ولو نقلت الينا لم نفد بسماعها ما كنانفيده لوحضرناها".[1]فالفهم من طرف السامع يكون بنسبةأقل عمّن كان حاضرا في الموقف، لأن الحاضر يكون أقرب فعليا لردّفعل هذه المرأة.

ويضم عبد القاهر الجرجاني(تـــ471هـــ) معنى القصد إلى معاني الكلم: " أن تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه ومعلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها (...) وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق (..) والأحكام التي هي حصول التعلق"[2]ويربطه أساسا بالمتكلم والمعاني النفسية التي يقيم على أساسها اختياراته اللفظية.

ويورد محمد مفتاح اهتماما بحال المتكلم الاجتماعية وما يعتورها من معتقدات ، تتدخل في إنجاز الكلام ويظهر اهتماما بالغا بالمتلقي المعاصر للمؤلف أو التالي له زمنيا ودوره في تأويل ما قاله من خلال تعريفه **المقصدية**intention بأنها:"ما يكون محركا للمنتج من معتقدات وظنون وأوهام ، لإنجاز كلامه سواء أكانت مشعورا بها، أم غير مشعور، وهي نفسها تكون لدى المتلقي في حالة وجود عقدة بينه وبين المنتج، وقد تكون مخالفة جزئيا أو كليا في حالة عدم العقدة .فالمقصدية ليست إلاّ :

.مقصدية المنتج والمتلقي الحاضرين، اللذين بينهما ميثاق متراضى عنه يحتوي على حقوق وواجبات .

.مقصدية المنتج المضمرة، التي يحاول المتلقي المعاصر له وسع جهده استكشافها بناء على قرائن خارجية ونصية وقد يوفق بعض التوفيق وقد يخيب مسعاه ولكن تاويله -في نهاية المطاف -هو نتيجة لمقصديته .

.مقصدية المنتج المعلنة، التي يحاول المتلقي الذي ليس بمعاصر ان يفهمها ويتاولها .

.مقصدية المنتج المضمرة ،التي يسعى المتلقي —الذي ليس بمعاصر له —ان يستخرج حساب تاويلها ولكن مهمته —حينئذ-عسيرة جدا.

وينبه الى ان مفهوم المقصدية يجب أن يكون مرنا ، وأن ينطلق من قدرة المتلقي على التأويل ومن مراعاة إمكانية وجود متلقين لا ينتمون زمنيا للمنتج. [3]

2.4- المخاطب:يطلق عليه مصطلحات عديدة منها: السامع، المتلقي، المرسل إليه

1-ينظر: ابن جني : الخصائص ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط2 ،2003،مج1،ص:260.

2- ينظر:عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز 'نص وتح محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ،د.ت.ط .ص: 116.

[3]-ينظر:محمد مفتاح :دينامية النص ، المركز الثقافي العربي المغرب ،ط3 ، 2006.ص :82. 83.

ويعد الركن الثالث من أركان العملية التواصلية بعد المتكلم والخطاب على اعتبار أن الكلام أنشئ من أجله، وهو يحمل مهمة فك رموز رسالة يرسلها إليه المتكلم فيفهمهما. ويعي دلالاتها ويتأثر بها.

والمتكلم واع بمسؤولية مراعاة مخاطبه في مقاله من حيث إفهامه الخطاب، فالمتلقي هو: "المتلقف الذي قصده الملقي بفعل إلقائه"[1] ،وهو الفاهم الذي "قصده المفهم بفعل إفهامه"[2]،فهو يقوم بمهمة السعي وراء فهم معنى المتكلم.

والمتلقي أهم حلقة من حلقات العملية التواصلية لأنه المسؤول عن نجاحها من خلال فهمه لقصد المتكلم أو عجزه عن فهمه عن طريق ارتكاب خطأ من طرف المتكلم ، فإن لم يتمكن المتلقي من فهم الرسالة الموجهة إليه تعامل معها (التأثر بها) باءت العملية بالفشل ، إذ هناك خصائص يقتضي توفرها في المخاطب لضمان إنجاح العملية التواصلية؛ مثل السلامة السمعية وصحة السمع ووضوحه تعينان على الفهم الذي عليه مدار الأمر في البيان العربي".[3] ثم توفر الكفاءة اللغوية لديه من حيث معرفته لنظام اللغة الصرفي والنحوي والدلالي، وفهمه للمستوى التأويلي الذي يعد سمة خاصة من سمات المتلقي الفني كالإسناد والإحالة.

وتلعب الكفاءة اللغوية دورا في فهم الكلمات في سياقات مختلفة، انطلاقا من أن كل خطاب هو لغة تقوم على التواصل اللفظي، الذي يستند على العلاقات النحوية، الحقيقة والمجاز، والصريح والضمني.

وأن يكون على دراية بالعالم وكيفية تواصل الناس فيه. فـــ: كلما كان السامع أعرف بالمتكلم وقصده وبيانه، وعاداته كانتن استفادته للعلم بمراده أكمل وأتم".[4]

من خلال تفريقه بين المعنى المباشر السطحي الحرفي الذي لا يقصده المتكلم، والمعنى النفعي التواصلي الذي لا يصل إليه إلا بعد إعمال للفكر وروية.

وعن مدى اهتمام الثقافة اللغوية العربية بالمخاطب ، يورد ابن فارس في الصاحبي: "أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب، كقول القائل: شربت ماء، ولقيت زيدا".[5]

فهو يقدم تعريفا للكلام اعتداد بالسامع وضرورة كون هذا الكلام واضحا ووفق سمت العرب والاهتمام بالسامع يكون في استحضاره ساعة الكتابة .

1- ينظر:طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص: 214.

2 -ينظر : المرجع نفسه ، ص: نفسها.

3 - ينظر: جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال،، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، 2000. ص: 123.

4 - محمد محمد يونس علي :مقدمة في علم التخاطب الإسلامي -دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المنار الإسلامي ، ط1. 2006، ص: 76.

5- ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1. 1997.ص: 116.

3.4- الخطاب:

الخطاب "هو كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا"[1]. وهو الرابط بين المتكلم والسامع ويتمثل هدفه في "دلالة السامع وإفهامه مراد المتكلم من كلامه ، وأن يبين له ما في نفسه من المعنى ، وأن يدله على ذلك بأقرب الطرق".[2]

فالخطاب ينطلق من بيان المتكلم لقصده وغايته من إنشاء الكلام بطريقة خاصة،و يمكن أن تحوي إيجازا أو مجازا. وأهم نوع للخطاب هو الخطاب الأدبي الفني الذي يتخذ من اللغة مادة خاما ينطلق منها، و"إذا كانت اللغة في الحديث العادي تؤدي وظيفة إخبارية، فإنها في الخطاب الأدبي المصوغ وفق أسلوب أدبي مخصوص، تؤدي وظيفة تأثير جمالية بالإضافة إلى الوظائف الأخرى."[3]

فللخطاب الأدبي إمكانية من الإمكانات المتاحة التي توفرها اللغة المتكلمين بها، وإذ هو يتجاوز الإخبار إلى مهمة التأثير فإنه "خلق لغة من لغة"[4]. وهو لا يصاغ عبثا بل له هدف وقصد ينشأ لأجله، وعلى اعتبار أنه "نظام لغوي خارج عن المألوف، وهذا الخطاب الأدبي مقصود في إنشائه، بمعنى أنه شكل بدافع إرادي، وهو خاضع لمبدأ الاختيار، أي اختيار الكلمات المناسبة للمقام، وتركيبها في سياق أدبي ليجعلها تتعدى الدلالة الأول ... فيجعل للدال إمكانية تعدد مدلولاته."[5]

4.4-.مقتضى الحال _ المقام:

أهم بيئة يهمنا التعرض لها في تعريف المقام هي البيئة البلاغية ، لأن أهل المعاني كانوا أكثر اهتماما ، بإجراء الكلام وفق ما يتلاءم مع مقتضى الحال، وقد أخذت هذه الفكرة في تطور النظر إليها عند القدماء ، كما لقيت اهتماما كبيرا لدى المحدثين .

يورد التهانوي في موسوعته "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"الحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى التكلم على وجه المخصوص أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام أن يؤدى به أصل المعنى خصوصية ما ، هي المسماة بمقتضى الحال مثلا كون مخاطب منكرا للحكم ،حال تقتضي تأكيد الحكم و التأكيد مقتضاه ،والتكلم على وجه مخصوص إنما يعد مقتضى الحال إذا اقترن بالقصد والاعتبار".[6]

---

[1] - ينظر: طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص: 215.

[2] - ينظر: محمد محمد يونس علي:مقدمة في علم التخاطب الإسلامي،ص: 175.

[3] - ينظر:نور الدين السد:الأسلوبية وتحليل الخطاب،ج 1، ص: 196.

[4] - ينظر : المرجع نفسه، ج2، ص: 11.

[5] - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 196.

6-ينظر: التهانوي: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تحقيق علي دحروج وآخرون مكتبة لبنان ناشرون، ط1 ،1996،ج1، ص: 610،611.

فإذا قال البلاغيون "مقتضى الحال" فالمعنى هو ما يتطلبه أحد الأنماط النوعية للمواقف من رعاية في الكلام، وهكذا للمرء أن يفكر في أنواع من المواقف لكل منها مطالب أسلوبية معينة، وهذه الأنواع قائمة في الذهن أولا قبل أن يكون لها تحقق خارجي، فهي أفكار لا وقائع ،مثلها مثل فكرة الفاعل أو المفعول، من حيث هي تصور ذهني صالح للتطبيق، وكما أن الفاعل غير المفعول نجد مقام التقديم غير مقام التأخير، كما أن التقديم نفسه قد يختلف بحسب مبرراته الأسلوبية بين مطالب المعنى ومطالب اللفظ.

ويورد السكاكي مبرزا أهمية المقام في الفهم والإفهام ، ومن ثمّ التواصل الناجع بين طرفي العملية التواصلية. "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر. ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق، وهو الذي نسميه مقتضى الحال، فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم."[1]

والمقام أو سياق الحال (non-linguistique contexte) يسميه كمال بشر ويصطلح عليه بـــ"المسرح اللغوي"في مقابل سياق المقال أو سياق مكونات النصcontexte linguistique يعني:" الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات ، وتتمثل عناصره الأساسية في شخصية كل من المتكلم والسامع والعلاقة بينهما والمكان وما فيه من شخوص وأشياء، ويضيف بعضهم الزمان وما يلفه من عوامل حياتية اجتماعية أو سياسية، أو ثقافية، ثم أثر الخطاب الكلامي في المشتركين في الكلام أو الحضور". وواضح أن المقام بهذا المعنى تصاحبه عادة بعض الحركات الجسمية من المشتركين في الخطاب؛ كالإشارات أو الهمهمة ، والغمغمة، ومص الشفاه، إلى غير ذلك... مما قد يصدر عن المرسل أو المتلقي أو كليهما، توضيحا وتفسيرا، وترحيبا وعدم ترحيب، أو قبولا واعتراضا...إلخ".[2]

والمقام على المستوى البلاغي ركن أساسي في الصحة الخارجية للنص، أي الانتقال من مستوى الفصاحة إلى مستوى البلاغة، المتمثلة في وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

[1]-ينظر:السكاكي :مفتاح العلوم ،تح :عبد الحميد هنداوي ،، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.ص: 253.

2 – ينظر: كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي – مدخل، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، ط3 ،1997 .ص: 96.

ولكنه العلامة الأولى على تواصلية الخطاب. إذ توفرُ عنصر المتكلم بمفرده (الكاتب)، أو توفر عنصر السامع بمفرده(القارئ مثلاً) لا يحقق لنا عملية التواصل الحية المباشرة، بل إن العنصر الوحيد الكفيل بنقل الخطاب إلى درجة التواصل الفعال والمباشر هو عنصر المقام، حيث يقوم بجمع عناصر العملية التواصلية(المتكلم، والسامع، والرسالة) ويبث فيها روح التناسق (الإيقاعية التواصلية)، وهو الذي يضمن (النجاح التداولي) للخطاب، في مقابل النجاح النحوي الدلالي الذي هو مسؤولية البناء[1]، بل إنه لا يمكننا –كما يقول تمام حسان– "فهم المعنى الدلالي بمجرد النظر إلى معنى المقال دون اعتبار المقام ،وهل يمكن بالمقال فقط أن نفهم المعنى المقصود من عبارة: زيارة الأصدقاء تسعد النفس، إننا لا نعرف من هذه العبارة ما إذا كان الأصدقاء زائرين أم مزورين"[2]. فمفهوم الحال يتضمن الثبات والسكون وعدم التحول إلا إلى حال أخرى مغايرة تماما والحال تدل على state ومن ثم يكون مفهومها statique أي سكوني يتضح من هذا النص ما يلي:

أن مقتضى الحال أو المقام فكرة معيارية ، انطلاقا من أن البلاغة علم معياري، ينطلق من أن الكلام يصاغ حسب البلاغة.

ومما يميز عنصر المقام ثبوته، وحياده، كما يرى تمام حسان وهذا ما يفرض على عناصر التواصل الأخرى أن تتكيف بحسبه، وتتشكل وفق ما يسمح به، وإن أخطأت ذلك باءت عملية التواصل بالفشل ، أو عدم النجاعة من العبارة اللغوية المنجزة، ولذلك كان عمدة البلاغة عند علمائنا هي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، حيث قالوا: لكل مقام مقال.

وإذا أردنا تحديد المقصود بالمقام. فإننا نجده بمفهومين، يختلفان باختلاف البيئة التي ورد فيها ما

فنجده عند القدامى من البلاغيين العرب يهتم بمراعاة المخاطب، وضرورة التعامل معه وفق ما يقتضيه مستواه الفكري ، وهو ما يفرض على المتكلم جهدا إضافيا ، يتجاوز به إنتاج الكلام إلى ضرورة كون هذا الكلام وفق ما يقتضيه حال المخاطب. أما عند المحدثين فالنظرة للمقام تنطلق من ملاحظة أن القدماء نظروا له نظرة سكونية، قالبية وهو ما يذهب إليه تمام حسان[3].

أما عند الغرب المحدثين ، فإن النظرة للمقام دينامية تنطلق من ارتباطه بالمناهج النقدية المعاصرة في تحليل الخطاب، كالسيميائية،وتداولية الأفعال الكلامية، فالجيلالي دلاش يطلق عليه مصطلح السياق المقامي وهوعنده خاص بـــ " المعطيات التي يشترك فيها كل من المرسل والمرسل إليه حول المقام الثقافي والنفسي، والخبرات والمعارف"[4].

1- ينظر: فان دايك، النص والسياق، ص:257.

2- ينظر :تمام حسان، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1982، ص:339.

3-ينظر: تمام حسان، الأصول، ص:338.

4 - الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص :58 .

-كما يعرفه جان ديبوا J.Dubois بقوله: "هو مجموع الشروط الطبيعية، الاجتماعية ، والثقافية التي يتموضع فيها ملفوظ أو خطاب ،وهو المعطيات المشتركـــة بين الملتـــقي والمرسل، والوضعية الثقافية والنفسية، والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما"[1].

وحصر فندريس Wunderlich عناصر المقام في:

- المشاركون في التبليغ.
- ترقبات attentes المتكلم والمستمع.
- المتكلمون والمستمعون .
- مساهمة المشاركين في الموضوع.
- مكان التفاعل.
- معارفهم اللغوية.
- القول (الصفات اللغوية، وشبه اللغوية، وغير اللغوية).
- المعايير الاجتماعية.
- مقاصد المتكلمين intentions.
- شخصياتهم وأدوارهم[2].

إن ما نخرج به من هذا التمهيد، هو ترابط كل تلك المفاهيم وتوظيف المعارف التي جنيناها منها في فصول هذا البحث ، فالتواصل مفهوم يربط بين عناصر لها تأثيرها على بعضها البعض –وهو ما نحاول رصده– والأسلوب هو ما لا يستغني عنه أيّ خطاب يروم فيه صاحبه الفعل في متلقيه ، مهما كان هذا التأثير بسيطا ، فهو الطريقة التي يعمل بها المتكلم على التعبير عن أفكاره وفق ماتتيحه له الإمكانات التعبيرية للغة ، ومن خلال ربط هذين العنصرين بالتداولية ؛ بالتعرض لمختلف الاتجاهات التي عرضت لتعريفها وتسطير أهداف لها ، عربيا وغربيا، وإيجاد ثراء في البلاغة العربية في تحديد وتوزيع أدوار عناصر العملية التواصلية ، وما يفرضه عليهم المقام من شروط ، تتظافر لتحقيق التواصل الناجع ، بأسلوب يعمل فيه المتكلم على عرض أفكاره وتمرير قصده وهدفه من الخطاب ، من جهة ، ودفع المتلقي للتفاعل معه وتقبّل أفكاره من خلال الإذعان أو التوجّه نحو تحقيق ما يصبو إليه المتكلم.

1- J.Dubois, Dictionnaire de linguistique Larousse 2002.p116, -

2- جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص:40.

6.التعريف بالشاعر:

هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمدوني، يعود بعمومته إلى تغلب وبخؤولته إلى تميم[1]، اختلف في سنة مولده فيكون بذلك قد ولد سنة 320 هـ أو 321 هـ بالموصل[2] وسماه والده الحارث وكناه أبا فراس[3] . وهي كنية غلبت عليه حتى لا يكاد يعرف إلا بها ، و أبو فراس كنية الأسد[4] فقد قيل الفراس هو الأسد ، وقد كنّوا بها من كانوا يتوسمون فيهم الشجاعة والبطولة، قتل والده وهو طفل لم يبلغ الثالثة من عمره لأسباب سياسية، حيث تذكر الروايات أن حمدان جد الشاعر قد عرف الطموح ولما رأى من تسرب الضعف إلى جسم الدولة العباسية في أيامه حدثته نفسه بالاستيلاء على بعض مقاطعاتها، على أن الموت لم يمهله فقضى نحبه قبل تحقيق أمنيته، فإذا بابنه عبد الله والد سيف الدولة يستولى على الموصل ويورثها لابنه ناصر الدولة الحسن، وماكان من سعيد والد أبي فراس إلا أن سعى مع الراضي بالله الخليفة العباسي لأجل توليه الموصل وديار ربيعة، ولكنه عندما أراد دخولها لم يتردد ابن أخيه ناصر الدولة في قتله[5].

وهكذا ربي أبو فراس يتيما تحتضنه أمه، ويعطف عليه ابن عمه سيف الدولة أخو ناصر الدولة، الذي قتل والده ، لكن الأمر اختلف معه، لأن سيف الدولة شمله بالرعاية التي كان لها بالغ الأثر في نضجه الشخصي والشعري فيما بعد.

وقد عدّ أبو فراس سيف الدولة مؤدّبه ومثقّفه ومثله الأعلى، وخصه برعايته واهتمامه دونا عن بني حمدان، لأنه كان يجد فيه تميزا في جوانب عدة منها؛ الشجاعة ،والقوة ، والفروسية ،والرغبة في التفوق.وهذا ما جعل:" سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام على سائر قومه، ويصطحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله".[6]ولعل من أهم الأمور التي عزّزت من احتفاء سيف الدولة بأبي فراس فقدان والده فأراد أن يعوضه ذلك الفقدان فشمله برعايته واهتمامه، وفي سنة 336 هـ قلده سيف الدولة إمارة منبج

1- ينظر :أبو فراس الحمداني :الديوان،- أبو فراس الحمداني : ديوان أبي فراس، رواية : أبي عبد الله الحسين ابن خالويه، تحقيق وشرح : كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د.ط، 1992 .ص:05.

2 -ينظر : المصدر نفسه ،ص نفسها.

3 -ينظر: المصدر نفسه ،ص نفسها.

4- ينظر :ابن منظور :لسان العرب، المجلد 6، مادة (فرس)،ص :162.

5 -ينظر: ابن خلكان :وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان ،تحقيق :إحسان عباس المجلد الثاني ،دار الثقافة ،بيروت،د.ط،د.ت ،ص:61،62.

6 -ينظر :أبو منصور الثعالبي :يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، المجلد الأول ، دار الفكر، بيروت لبنان، ط2، ص:35.

وما حولها وكان لها من العمر ستة عشر عاما، وعلى صغره إلا أن سيف الدولة وجد فيه أهلا لهذا المنصب القيادي، لما ظهر له من حسن إرادته وقيادته وقيامه بالمسؤولية والمهمات التي كان يلقيها على عاتقه[1] .

ثقـــافتـــــه:

ومن المصادر التي استمد منها ثقافته تلك المجالس الأدبية التي كانت تقام في ظل حكم سيف الدولة ،فقد شكل بلاط الأمير محور الحركة الأدبية في حلب ، إذ جمع نوابغ الأدب واللغة والفلسفة والشعر والعلماء، بالإضافة إلى أنه كان يجزل العطاء لهم، فقد كان شاعرا مجيدا وناقدا بليغا لهذا وصف الثعالبي مجالسه في حلب بأنها:" مقصد الوفود ومطلع الجود وقبلة الآمال ومحط الرحال وموسم الأدباء وحلبة الشعراء،ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك كما اجتمع ببلاط سيف الدولة.[2]"

وتذكر الروايات أن أبا فراس وقع في أسر الروم لكن الخلاف يكمن في الروايات المتناقضة فمن الرواة من قال أنه مرة واحدة ومنهم من قال إنه أسر مرتين،يورد ابن خلكان رأي الديلمي :"بأنه أسر مرتين- وينبّه ابن خلكان إلى نسبة هذه الرواية إلى الغلط – الأولى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة (348 هـــ) أسره الروم وما تعدّوا به خرشنة وهي قلعة بلاد الروم والفرات يجرى من تحتها، وفيها يقال أنه ركب فرسه وركّضه برجله، فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات ،والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة إحدى وخمسين، وحملوه إلى قسطنطينية ،حيث بقي أربع سنين، وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه وكانت مدينة منبج إقطاعا له ".[3]

ويذهب ابن خالويه أن الشاعر أسر مرة واحدة وكانت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة(351 هـــ)ويحدث صاحب اليتيمة "أن أبا فراس أسرته الروم في بعض وقائعها حيث خرج ابن أخت ملك الروم في ألف فارس إلى نواحي منبج وصادف الأمير أبا فراس يتصيد ومعه سبعون فارسا فأراده أصحابه على الهزيمة ،فأبى وثبت حتى أثخن بالجراح و أسر[4]".

يقول في هذا:

ولا كنت ألقى الألف زرقا عيونها بسبعين فيهم كل أشام أنكد[5]

فقد ذكر بشعره أن نصلا أصابه في فخذه في أثناء المعركة وكان السبب في أسره:

---

[1]- ينظر: المرجع السابق ،ص نفسها .

[2] -ينظر :المرجع نفسه ،ص:15،16.

[3] - ينظر: ابن خلكان :وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان ،ص:59.

[4] -ينظر :أبو فراس الحمداني :الديوان ،ص:05.

[5] -ينظر: المصدر نفسه ،ص :54 .

وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النصول إهابي[1]

ولعل الباحثين يميلون إلى الرأي الأول وهو أن الشاعر أسر مرة واحدة فقط ،وذلك لسبب مفاده أن ابن خالويه رواية الديوان والثعالبي صاحب اليتيمة الثعالبي أقرب زمنيا إلى الشاعر من ابن خلكان، غير أن الرواة يتفقون أنه خرج من الأسر بفداء عام دفعه سيف الدولة الحمداني عام خمسة وخمسين وثلاثمائة للهجرة.(355 هـ).[2]

عرض المدونة :

لقد نفح أبو فراس الشعر العربي برومياته وهذا الاسم نسبة إلى مجموع القصائد التي كتبها في أسره وبعث بها إلى ابن عمه سيف الدولة وأمه وأهله وأصدقائه.

ويفرد الثعالبي حديثا خاصا عن الروميات ويقول مختتما حديثه عنها: "قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس ومن محاسن شيء كله حسن، وذلك لتناسبها وعذوبة مشاعرها ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان وأصاب شاكلة الصواب، ولعمري إنها –كما قرأته لبعض البلغاء- مما لو سمعته الوحش أنست، أو خوطبت به الخرس نطقت، أو استدعيت به الطير نزلت".[3] وهي نقدم أسيرا له مستواه النفسي الرفيع وهذا راجع إلى نشأته القيادية واتشحت بالحزن و لم تتشح بالخوف.[4]

ونجد أن أهم مخاطب في الروميات هوسيف الدولة الحمداني وهذا أمر طبيعي وذلك لأنه الأمير والشخص الوحيد الذي يعود إليه قرار الحل والعقد في مسألة الفداء، و لم يكن أبو فراس يدرك الأخطار السياسية المحدقة بملك الحمدانيين خاصة بما أنهم مجاورون للروم

إلا أن أبا فراس كان ينظر لمسألة فدائه نظرة ذاتية ضيقة ويلح على ابن عمه في الفداء إذ لم يكن يرى غير معاناته وألمه في الأسر، وقد كان الروم يشجعونه على مكاتبه ابن عمه في أمر الفداء، وقد كان سيف الدولة يحتفظ بالبطارقة أسارى عنده ليستدفع بهم خطر الروم، فنراه في أول روميات يحمل سيف الدولة مسؤولية أسره إذ يقول:

دعوتك للجفن القريح المسهد لدي، وللنوم القليل المشرد[5]

ويدعوه إلى التشبث بمكرمة الفداء والتخلص من عار خذلانه يقول:

---

[1] –ينظر : المصدر السابق ،ص:43.

[2] –ينظر المصدر نفسه ،ص :5.

[3] – ينظر :أبو منصور الثعالبي :يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،ص:88.87.

[4] – ينظر:أحمد مختار البزرة :الأسر والسجن في شعر العرب"تاريخ ودراسة"، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ،بيروت ،ط1. 1985.ص: 586

[5] – ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان، ص: 82.

تشبث بها أكرومة قبل فوتها، وقم في خلاصي صادق العزم واقعد[1]

ولولا التجمل والمجاملة اتجاه سيف الدولة الذي رباه وأنشأه وصير منه فارسا، لأساء الظن به في عدم افتدائه؛ ففي الرومية التي رد بها على اهتمام سيف الدولة له بمكاتبة صاحب خراسان لافتدائه والتي مطلعها:

أسيف الهدى وقريع العرب علام الجفاء وفيها الغضب[2]

فهذه قصيدة يملؤها العنف وذلك يعود إلى طبيعة الشاعر الذي يظن أن سلوكيته فوق النقد ، فنحن لكنه نجده يغتلي ويهتاج ويرفع صوته بمر العتاب ثم يحني رأسه في خاتمة الرومية بالرضا والولاء والتضحية في سبيل أميره ،ونجده في بعض القصائد يبالغ في مجاملة سيف الدولة ويكتم مشاعره الحقيقية.

وتلي وهي القصائد التي تتجه إلى الأخ أو الصديق تطري سجاياه وإخلاصه ووفاءه ثم تسكب بين يديه الهموم، والأحزان والخوف والتشاؤم من الناس والأصحاب والصبر على البلية والعذاب والتحدي والرجاء فالأسير إذا بارح مكانه في الدولة فقد وسائل نفوذه وتأثيره وتولى عنه أولوا المآرب. وأظهر الشماتة به من كان لايناله خيره وقل من بقى على مودته وتفقده له[3]

لذلك نجد المأسورين أقدر الناس على الإخلاص والترحيب به إذا عن لهم فكانوا يبادرون بالشكر من يتعاطف أو يتوجع لهم ويطيرون سعادة بمن ينتصر لهم[4]

وتنم الإخوانيات عن حاجة نفسية أساسية لدى السجين هي الإقصاء والتخفيف عن النفس في البوح المنطلق، فالحبس حلقة منقطعة قاطعة، منقطعة عن الحياة الحرة الطليقة قاطعة ما بين ماضي السجين وحاضره. وهذا التواصل الأخوي يغني هذه الحلقة بالمشاعر والتمنيات[5]فيكتب إلى أخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد بعد ما لحقه عند أسره من الجزع:

أأبقى أخي دمعا، أذاق كرى أخي؟ أآب أخي بعدي من الصبرآئب[6]

بنفسي وإن لم أرض نفسي لراكب يسائل عني كلما لاح راكـــب

قريح مجاري الدمع مستلب الكرى يقلقله هم من الشوق ناصـــب

أخي لا يذقني الله فقدان مثلـــــــه وأين له مثل، وأين المقـــــارب؟

---

[1] -ينظر: المصدر السابق ، ص: 84.

[2] ينظر :المصدر نفسه ، ص: 28.

[3] ينظر:أحمد مختار البزرة :الأسر والسجن في شعر العرب :67.

[4] ينظر:المرجع نفسه ،ص518.

[5] ينظر:المرجع نفسه ،ص:75.

[6] ينظر:أبو فراس الحمداني :الديوان :ص31.

ويذكر أخاه بكثرة لوامه عندما أسر:

تكاثر لوامي على ما أصابـــــــني كأن لم تكن إلا لأسري النوائب

ويشهر بالذين شتموا به عندما أسر وتبدل الأخلاء عن مرافقته:

وأعلم إن فارقت خلا عرفته، وحاولت خلا أنني غير واجـــــد[1]

وهل غض مني الأسر إذ خف ناصري وقل على تلك الأمور مساعــدي؟

ألا لا يسر الشامتون، فإنما موارد آبائي الأولى، ومـــــواردي

ويشتكي ممن كرهوا خلاصه رغم قلتهم ويتعجب لأنه كان يتصدى للأخطار عنهم فيقول:

إلى الله أشكو عصبة من عسرتي يسيئون لي في القول غيبا ومشهــدا

وإن حاربوا كنت المجن أمامهم، وإن ضاربوا كنت المهند واليـــــدا

ويورد ابن خالويه حادثة قتله فيقول:"ولم يعد من الأسر حتى اقطعه سيف الدولة **حمص** بدلا من **منبج** .ومات سيف الدولة بعد عودة أبي فراس بسنة واحدة ، وتولّى بعده ولده أبو المعالي ابن أخت أبي فراس ، وتسلّم الحكم بالوصاية عليه غلامه التركي قرغويه،فأبى أبو فراس أن يطيع هذا الغلام وطمع بالسيادة على سوريا ، وشجّعه على ذلك بعض غلمان سيف الدولة .فأوغر قرغويه صدر أبي المعالي على خاله ؛فأرسله بجيش إلى محاربته فدارت عند **صدد** قرب **حمص** ، وجرح وهو عند جبل مدبّبة فسقط عن فرسه ، وقطع رأسه وحمل إلى أبي المعالي .وتركت جثته ملقاة في الفلاة إلى أن مرّ بعض الأعراب بها فواروها في التراب ، فخسر به الحمدانيون رجلا من المع رجالهم في الفروسية والشعر"[2]. ويروى أن أبا فراس قال شعرا عند وفاته يوصي فيه ابنته بالصبر يقول : من الكامل

أبنيتي، لا تحزني كل الأنـــام إلـــى ذهـــــاب[3]

أبنيتي ، صبرا جميـــ لا للجـــليـــل من المصـــــاب

نوحي عليّ بحسرة من خلف سترك والحجـــــاب

قولي إذا ناديتني ، وعييت عن ردّ الجـــــــواب:

زين الشباب أبو فرا لـــم يـــمتّـــع بالشبـــــــاب

---

[1] ينظر المصدر السابق ،ص :85.81.

[2]- ينظر: المصدر نفسه،ص: 06.

[3]- ينظر: المصدر نفسه،ص:55.

الفصل الأول: الإطار النظري للتحليل التداولي للخطاب

المبحث الأول: الإشاريات

المبحث الثاني: الحجاج

المبحث الثالث: الأفعال الكلامية

مدخل:

تعد الدراسة النظرية لآليات التحليل التداولي للنصوص مهمة، وذلك لارتباطها بمختلف النظريات التي تنتمي إلى الدرس التداولي، والتي تساعد على تأطير التحليل والوصول به إلى نتائج مفيدة في نهاية كل دراسة ، ويعد الهولندي هانسون Hanson أول من جرّب التوحيد بطريقة نظامية وتجزئة مختلف المكونات التي تطورت إلى الآن بطريقة مستقلة، يتمثل هذا التوحيد وهذه التجزئة في تقسيم التداولية إلى ثلاث درجات متتابعة، واختيار مصطلح الدرجات بدلا من الأجزاء يدلّل على فكرة العبور المتامي من درجة لأخرى ، لارتباط كل درجة بمظهر من مظاهر السياق الذي يغتني كلما انتقلنا من درجة إلى الدرجة الأعلى منها. ويشير هذا الانتقال من درجة لأخرى إلى التطور التدريجي من مستوى لآخر. وهذه الدرجات هي:

1. **تداولية من الدرجة الأولى:**تتمثل في دراسة الرموز الإشارية (التعابير المبهمة) ضمن ظروف استعمالها(سياق تلفظها)، وسياقها هو الموجودات ، أو محددات الموجودات، ويتكون هذا السياق من المخاطبين ومحددات الفضاء والزمن؛ ففي هذه الدرجة يتم دراسة الضمائر ومرجعيتها في السياق. إذ تعد أقوالا مبهمة إذا درست خارجه، أما إذا درست حسب إحالتها ومرجعيتها في السياق الذي وردت فيه، فإنها تعطينا دلالات على توظيفها في ذلك السياق.
2. **تداولية من الدرجة الثانية:** تتمثل في دراسة كيفية تعبير القضايا في الجملة المتلفظ بها، وضرورة تمييزها عن الدلالة الحرفية للجملة، و يتم في هذه الدرجة دراسة الحجاج في الخطاب ومحاولة إقناع المستمع بالمعلومة التي يحملها الخطاب، والسياق في هذه الدرجة هو مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون.
3. **تداولية من الدرجة الثالثة:** وتتمثل في نظرية الأفعال الكلامية التي تنطلق من مسلّمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية، تحمل معان ضمنية تتم معرفتها من خلال الإحاطة بظروف الفعل الكلامي الاجتماعية، وما يمكن أن تحمله من دلالات ضمنية، في إطار ما يسمى بالسياق الجتماعي.[1]

وترتبط كل درجة من الدرجات الآنف ذكرها بإستراتيجية معينة في الخطاب ،وهي لا تخرج عن إطار ما يسمى بقوانين الخطاب lois du discours ، وبعرضنا لهذه الدرجات بالتفصيل ، سنجد أن كل درجة ترتبط بإستراتيجية معينة من إستراتيجيات الخطاب، وتعتمد على قانون من قوانينه.

[1]–ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص: 38.

المبحث الأول: الإشاريات

1. تعريفها
2. تعريف الإحالة

1.2. الإشاريات الشخصية

1.1.2. عند الغرب:

- التعبير عن الذاتية في اللغة

2.1.2. عند العرب:

أ. ضمائر الحضور

ب. ضمائر الغياب

2.2. الإشاريات المكانية

3.2. الإشاريات الزمانية

الإشاريات:

وهي الدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي،وهي تعنى باستجلاء مدى ظهور المخاطب والسياق الزماني والمكاني في الخطاب ، بتتبع العناصر الإشارية ، المتمثلة في الضمائر وظروف الزمان والمكان، وما تحيل عليه في السياق الذي وردت فيه.

1. تعريفها:

وهي: "العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب الذي وردت فيه، لأنها خالية من أيّ معنى في ذاتها. لذلك سميت مبهمات أو متحولات، ورغم أن كل الكلمات في اللغة تحيل على مدلول معين، إلا أن الإشاريات تتواجد في المعجم الذهني للمتكلمين باللغة دون ارتباطها بمدلول معين".[1]

وبالرغم من ارتباطها بالمرجع الذي تحيل عليه في الخطاب المتلفظ به، إلا أن هذا المرجع يتصف بعدم الثبات؛ لأنه يتغير تبعا للسياق الذي ترد فيه الإشاريات. وتكمن أهمية الإشاريات في أنها تدرس كيفية استعمال الإحالة.

2. تعريف الإحالة:يورد جون لايتز J.lyons التعريف التقليدي للإحالة بأن :"العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة : فالأسماء تحيل إلى المسميات "ويصرّح فيما يخص طبيعتها بقوله:" إن المتكلم هو الذي يحيل (باستعماله لتعبير مناسب) : أي أنه يحمّل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة"، ويدعّمه المفهوم الذي يقدمه ستروسن Strawson بأن"الإحالة" ليست شيئا يقوم به تعبير ما ، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معينا"[2]ويستعمل هاليداي ورقية حسن في مؤلفهما "الاتساق في اللغة الانجليزية" مصطلح الإحالة استعمالا خاصا ، وهو أن:" العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، علما بأن كل لغة طبيعية تتوفر على عناصر تملك خاصية الإحالة"[3] ، وتسمى الإحالة في الدرس اللساني المرجعية référence ،ولم تحظ بأهمية في اللسانيات على اعتبار أنها تعنى بخارج اللغة أو العناصر الميتالغوية، ويعرفهاجون ديبوا J. DUBOIS أنها: "الوظيفة التي يتمكن من خلالها الدليل اللغوي من الرجوع إلى موضوع في عالم غير لغوي واقعا كان أم خيالا"[4] ولم تهتم اللسانيات السوسيرية بالوظيفة المرجعية على اعتبار أنها وظيفة لا

---

[1]-ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري :إستراتيجيات الخطاب،ص79.

[2]-ينظر: ج.ب . براون ، ج.يول: تحليل الخطاب ، ترجمة وتعليق : محمد لطفي الزليطني –منير تركي، جامعة الملك سعود،د.ط.1997. ص: 36.

[3]-ينظر: محمد خطابي ، لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1. 1991، ص: 16،17.

[4] JEANDUBOIS ETAUTRES DICTIONNAIREDE L'INGUISSTIQUE, p 404

نجدها في اللغة بل تتموقع خارجها اللغوي من الرجوع إلى موضوع في العالم غيراللغوي واقعا كان أم خيالا.

فكل دليل لغوي يؤمن الرابط بين المفهوم والصورة السمعية وهو في ذات الوقت يعود على الواقع غيراللغوي. هذه الوظيفة المرجعية، تجعل الدليل في علاقة، لا مع عالم الأشياء الواقعية، بل مع العالم كما يدرك داخل المكونات الإيديولوجية لثقافة ما، فالمرجعية ترتبط بالموضوع الواقعي يقدر ما ترتبط بالموضوع في الفكر.

ويصنفها رومان جاكيسون ضمن الوظائف اللغوية الستة للتواصل اللغوي؛ ويرى أنها: "أساس كل تواصل فهي تحدد العلاقات بين المرسل والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه، وهي أكثر الوظائف أهمية في عملية التواصل ذاتها"[1]. وتطلق عليها عدة تسميات، فهي "تعيينية" أو "تعريفية" هي العمل الرئيس للعديد من المراسلات، في حين لا تلعب الوظائف الأخرى في المراسلات كهذه سوى دور ثانوي".[2]

وقد أولت اللسانيات التداولية أهمية كبيرة للوظيفة المرجعية وذلك لانها تربط بين السياق اللغوي وسياق الموقف أي الواقع الاجتماعي التي قيلت فيه العبارة اللغوية ضمن تطبيق الإستراتيجية التضامنية من طرف المتكلم بدراسة الإحالة وهي: "الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها. وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها".

واستعمال الإستراتيجية التضامنية يتجلّى في الكيفية التي تستعمل فيها الضمائر، بالنظر إلى توزيعها، تنويعها، ومرجعيتها. كل هذا له أثر في تقليص المسافات بين طرفي الخطاب فتكون العلاقة بين الطرفين في نهاية الخطاب أحسن منها في بدايته وهي تتجسد من خلال علامات لغوية معينة منها: **الضمائر** و**الألقاب** ويبقى استعمالها مرهونا **بقصد المتكلم** و**هدفه** من الخطاب.

ويستعمل المتكلم هذه الاستراتيجية بهدف **مراعاة علاقته بالمخاطب** أو **بقصد تأسيسها معه بالخطاب** ويساعده في هذه الإستراتيجية قوانين الخطاب[3] منها: مبدأ التأدب لروبين لاكوف Robin lakoff ،الذي يستعمله المتكلم إما مراعاة لعلاقته الحسنة مع المرسل إليه، أو بقصد تأسيسها معه بالخطاب، حيث يسعى

[1] - ينظر: فاطمة الطيال بركة، النظرية الالسنية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 1993، ص 67

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

[3]- تعرف قوانين الخطاب تداخلا كبيرا، ويرتبط مبدأ التأدب بمبدأين آخرين هما؛ مبدأ التهذيب ، ومبدأ التأدب الأقصى . ينظر للتوسع طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص: 240وما بعدها.

المتكلم إلى كسب المخاطب دون الضغط والإلحاح عليه، وهو مبدأ صاغته روبين لاكوف في مقالتها " منطق التأدب"؛ وصيغته كالآتي:

1.قاعدة التعفف، ومقتضاها هو:

- لا تفرض نفسك على المخاطب.

1. قاعدة التشكيك ومقتضاها هو:
- لتجعل المخاطب يختار بنفسه.
2. قاعدة التودد ومقتضاها هو:
- لتظهر الودّ للمخاطب.

ويقدم طه عبد الرحمن مقتضى مهمّا للتأدب في الخطاب يساعد على حفظ عرى التواصل بين طرفي العملية الخطابية يقول: التأدب في الخطاب: "مقتضاه أن يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته القريبة ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به، فلا يخفى أن هذا الضرب من التهذيب يولي الأهمية في التخاطب لعملية التبادل ومعلوم أن كل تبادل بين طرفين يكون مبناه أساسا على سعي كل منهما إلى تحقيق أغراض تكون مشتركة أو متساوية بينهما وإلى طلب الاعواض عن أعماله التي لا يأتي الطرف الآخر بمثلها لذلك تجد المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريصا على أن يحفظ عرى التواصل حتى يجلب أقصى ما يمكن من عاجل المنفعة لنفسه ولمخاطبه فيجتهد في التوسل بما يجلب إقبال المخاطب على سماعه وفهم مراده وتلقيه له بالقبول طمعا في أن يبادله نفس الحرص على التواصل وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة "[1] على أنه من الممكن للمتكلم أن يضمن خطابه نفورا من المرسل إليه وعدم رغبة في التواصل معه وذلك يظهر من خلال الإخلال بقوانين الخطاب.

3. أنواعها:

تعد الإشاريات أكثر الوحدات اللغوية التي تتطلب معلومات عن السياق ،ليتيسّر فهمها تنقسم الإشاريات إلى ثلاثة أنواع رئيسة، من خلال دلالة كل نوع على نوع معين من الإشاريات، وهي تعبر عن (الأنا،الهنا،الآن) حيث " إذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي، استوجب منا ذلك –على الأقل– معرفة هوية المتكلم والمتلقي و الإطار الزماني والمكاني للحدث اللغوي."[2] لأن

[1]–ينظر : طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص: 223.

[2]–ينظر:ج.ب . براون ، ج.يول: تحليل الخطاب، ص:35.

الهدف هو:"فحص العلاقة بين المتكلم والمتلقي في مقام استعمالي خاص ، بدرجة أكبر من تتبع العلاقة الممكنة بين جملة وأخرى بصرف النظر عن واقع استعمالها"[1] ويمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أنواع هي:

الإشاريات الشخصية، الإشاريات المكانية والإشاريات الزمانية. وفيما يلي تفصيل كل نوع على حدة.

1.3. الإشاريات الشخصية: يتجسد الخطاب باللغة في جميع مستوياتها ولابد أن يكون لكل كلمة في الخطاب مدلول تحيل عليه ، إلا أن بعضا منها يوجد في المعجم الذهني للمتكلمين بنفس اللغة، دون ارتباطهابمدلول ثابت، ويصبح مدلولها مرتبطا بالمقام الذي وردت فيه لأن معناها يتغير تبعا لما تحيل عليه في كل خطاب جديد.

فالمبهمات عامل هام في تكوين بنية الخطاب، من خلال القيام بدورها النحوي ووظيفتها الدلالية، ويستعمل المرسل هذه الصفات في الخطاب الذي يجري بينه وبين المرسل إليه، عندما يمده في نسيج يتجاوز -في كليته- الجملة الواحدة، فتصبح فائدة المبهمات في هذه الحال "الإحالة إلى المعلومات القديمة التي تلفظ بها أحدهم، والتي أصبحت جزءا من المعلومات المشتركة"[2]. يطلق عليها مصطلحات عدة كالميهمات Embrayeurs أو dectiques والمتحولات، وهي كما تعرّفها أوركيونيorecchioni:" وحدات لسانية وظيفتها دلالية ومرجعيةsémantico-référentiel تأخذ بعين الاعتبار بعض العناصر المكوّنة للموقف التواصلي لمعرفة الدور الذي يمنحه لها المتخاطبون ،والوضعية الزمكانية spatio-temporelle للمتكلم وبالتالي للمخاطب "[3] . وستعرض للمفاهيم المقدمة للضمائر عند الغرب أوّلا ثمّ عند العرب:

1.1.3. عند الغرب:

يهتم المنهج التداولي في بحثنا بالضمائر، على اعتبار أنها تدخل في نسيج البنية العميقة للخطاب.

ويرى إميل بنفنيست E. Benveniste أن اللغة تمنح إمكان التعبير عن الذاتية ، من خلال قدرة المتكلم على فرض نفسه "ذاتيا"، وهذه الذاتية أنها تتحدد، لا عبر الإحساس ، بحيث أنها تحتوي دائما أشكالا لسانية تناسب التعبير عنها. بل نقف على أساس "الذاتية"، التي تتحدد بوضعية "الشخص" اللسانية التي تتجلى عند مخاطبتي شخصا خارجا عن "ذاتي" فيصبح صدى لي أقول له "أنت" ويقول عني "أنت"،

[1] - ينظر:المرجع السابق ، ص:36.

[2] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 81.

[3] -voir: Catherine kerbrat-orecchioni:l énonciation de la subjectivité dans le langage Armand colin quatrième édition p41.

فالذاتية تتحدد وحدة نفسية تتعالى على مجموعة التجارب المعيشة التي تؤلف بينها والتي تضمن محايثة الوعي. ويرى بنفنيست أن اللغة تقترح بوجه من الوجوه الضمائر بوصفها"أشكالا فارغة" formes vides مناسبة لكل متكلم يمارس الخطاب، يعلقها بـــ "شخصه"، معرفا نفسه بوصفه" أنا"ومعرفا شريكا له في الوقت ذاته بوصفه" أنت". وهكذا فإن الوضع الخطابي يشتمل على جميع المعطيات التي تحدد الذات"[1]. فاللغة منظّمة بطريقة تسمح لكل متكلم بامتلاك اللسان كليا، عندما يعين نفسه على رأس العملية التواصلية بوصفه" أنا".

إن الوعي بالذات والتعبيرعنها لا يكون إلا عند ما أتوجه إلى شخص ما يكون "أنت" في خطابي، لأنه شرط يستلزم التبادل إذ أصبح" أنا" " أنت" في خطاب من يصبح بدوره "أنا" في خطابه. بهذا المعنى أفترض وجود شخص آخرخارج عني هو"أنت"، وهذا ما يسمى **تقاطب الضمائر** فالتلفظ ب"أنا" يجعله قطبا ومن المفترض أن يقابله قطب آخر هو"أنت"لأن المتكلم لا يتلفظ بالخطاب إلا وهو- على الأقل- شريكا له في الخطاب سواءا أكان سامعا أو قارئا، أي إمكانية تعبير نفس الضمير عن ذوات مختلفة، لأن الضمائر أشكال لسانية فارغة تتناسب مع كل متكلم، فهي تمنح له القدرة على التعبير عن ذاته. في كما هي في اللغة باعتبارها شرطا أساسيا في المسار التواصلي الذي تنخرط فيه ليست إلا نتيجة تداولية بالكامل[2].

إن الضمائر هي نقاط الارتكاز الأولى لوضع الذاتية في اللغة. وتتبعها أنواع أخرى من الأسماء المعوضة (كاسم الإشارة والاسم الموصول)، تشاطرها المنزلة ذاتها. إنها الظروف وأسماء الإشارة والأحوال والنعوت وما ينظم العلاقات المكانية والزمانية حول "المسند إليه" بوصفه معيارا: "هذا، هنا، الآن" وتعالقاتها الكثيرة "ذاك، أمس، العام الماضي، غدا..." الخ وهي تشترك في كونها تعرف فقط بارتباطها بالوضع الخطابي الذي تنشأ فيه أي تبعية للأنا الذي يتلفظ بها[3]."

ويسميها جون كوهن J.Cohen في كتابه بناء لغة الشعر" بالمتحولات" وهي :"طبقة من الكلمات يتغير معناها تبعا للسياق "وعلى الرغم من أن هذه المتحولات لم توجد في اللغة لكي تؤدي وظيفة مبهمة، وإنما لتعبر عن معنى معين وشيء واحد، فإن استعمال المبدع لها في سياق مطلق " هو سياق القصيدة مثلا " لا يحده زمان ولا مكان يجعلها عصيّة على التحديد فهي وإن كانت تبدو محددة عند بث الرسالة، فإنها تفقد تحديدها بعد أن تفلت القصيدة من بين يدي مبدعها، وتصبح عناصرها المتحولة غامضة المرجع، بل

[1]- ينظر: إميل بنفيست، عن الذاتية في اللغة، ضمن :تلوين الخطاب –فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والحجاج- الدار االمتوسطية للنشر ،تونس،ط 2007،1ص :110.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص 107 .

[3]- ينظر: المرجع نفسه ، ص 109.

ومتعددة في الوقت ذاته"[1].فمن خلال استعمال الشاعر لها "تنقلب وظيفتـــــها التحديدية، فتصبح عدم تحديد".[2]

-التعبير عن الذاتية في اللغة:

تعد اللغة مجالا مهما لتعبير الإنسان عن فكره وذاته على اعتبار أنها وسيلة التواصل اللغوي.

ويعد التعبير عن الذاتية في اللغة أهم دور تقوم به الضمائر من المنظور التداولي لأنها تمنح للشخص القدرة على امتلاك ناصية الحديث وبهذا "تتحدد الذاتية بوضعية الشخص اللسانية إذ لا يكون الوعي بالذات إلا عندما أتوجه إلى شخص ما يكون "أنت " في خطابي وهو شرط يستلزم التبادل إذ أصبح "أنت" في خطاب من يصبح بدوره "أنا" في خطابه.فالمتكلم بمجرد تلفظه بـــ "أنا" في الخطاب يفترض أنه يخاطب ذات أخرى تتمثل في متلقي خطابه الواقعي أو المفترض ويصبح "أنت" وهذا ما يسمى بـــ تقاطب الضمائر إذ يظهر المتكلم أعلى رتبة من الشخص المخاطب وهذا هو الوجود التداولي للضمائر في الخطاب"[3]

و استعمال الضمائر من خلال اختلاف توزيعها والتنويع فيها حسب السياق ، واختلاف مرجعيتها، له بالغ الأثر في تقليص المسافات بين الشخص المتكلم والطرف الآخر في الخطاب. فتتغير نوع العلاقة بينهما في نهاية الخطاب عنه في البداية.

ويجب أن ننتبه إلى أن "ضمير الغائب" هوالشكل الفارغ (أو الضمير) الذي لا يحيل على إنسان، لأنه ضمير يحيل على شيء واقع خارج التخاطب، ولكنه ضمير لا يوجد ولا يتخصص إلا في تقابل مع ضمير المتكلم أنا، الذي يعينه عندما ينطق به بوصفه "غير شخص". لكنه الشكل الذي يتخذ قيمته من خلال كونه جزءا مترويا من خطاب يتلفظ به "أنا".[4]

أطلق جون كوهن J.Cohen عليها مصطلح المتحولات وهي في نظره:" طبقة من الكلمات يتغير معناها تبعا للسياق".

وهي لم توجد في اللغة لتؤدي وظيفة مبهمة وإنما لتعبر عن معنى معين وشيء واحد فان استعمال المبدع لها في سياق مطلق "هو سياق القصيدة مثلا" . لا يحده مكان ولا زمان يجعلها عصبية على التحديد فهي وإن كانت تبدو محدودة عند بث الرسالة فإنها تفقد تحديدها بعد أن تفلت القصيدة من بين يدي مبدعها وتصبح عناصرها متحولة مبهمة.

---

[1] - ينظر: جون كوهن بناء لغة الشعر-اللغة العليا، ، ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء بالقاهرة، ط1 ،1985ص: 185 .

[2] - ينظر المرجع نفسه ،ص:181 .

[3] -ينظر: إميل بنفنيست: عن الذاتية في اللغة، ص: 108.

[4] - ينظر: المرجع نفسه ، ص: 113.

إن مرونة الضمائر وعدم حملها لمعنى في ذاتها يجعلها قابلة للتحول حسب السياق الذي ترد فيه. يعطيها ميزة تمكن المتكلم هذا امتلاك الحق في الكلام وتنصيب نفسه على رأس العملية الخطابية واعطائه لمخاطب مفترض أو موجود واقعا رتبة تداولية محددة.

2.1.3. عند العرب:

مصطلح الضمير هو مصطلح شائع في التراث اللغوي العربي وهو عند القدماء :" اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب"[1] . وعند المحدثين يجعله **تمام حسان** مشتملا على ثلاثة فروع هي:" ضمائر الأشخاص والإشارات والموصولات"[2]. ولا تخلو الضمائر في ذاتها من إبهام وغموض في دلالتها "لأن معنى الضمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما، فلا يدل دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع، وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل على معين، وتقدم هذا المرجع لفظا أو رتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة "[3]. لكن هذا القول لا يتحقق في جميع مستويات التعبير، وخاصة التعبير الشعري، لأن الشاعر يعمد عن قصد منه إلى تغييب المرجع عن التركيب الداخلي للصياغة، ليؤدي وظيفته من خلال السياق الخارجي. وتصبح دلالته بذلك غامضة وغير محددة.

إذ يحتفظ كل نوع من الإشاريات بطرق استعماله وظلال معانيه، وعموما تكتسب الضمائر بهذا المعنى أهميتها بصفتها نائبه عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية. فقد يحل الضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل. وذلك يعود لصعوبة تحديد المرجع الذي يحيل عليه الضمير سواء كانت للمتكلم أو المخاطب أو الغائب.

ونلاحظ أن ضمير المتكلم وضمير المخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره، فهي ضمائر حضور.

---

[1] - ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف مصر، ط 3.د.ت، ج1، ص: 196.

[2] - ينظر: : تمام حسان، مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم – ضمن اجتهادات لغوية، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2007، ص: 225.

[3] – ينظر: تمام حسان،اللغة العربية معناها ومبناها، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 ، 1979م، ص :111.

أما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف لأنه غير حاضر ولا مشاهد فلابد لهذا الضمير من شيء يفسره وبوضح المراد منه والأصل فيه أن يكون –في غير ضمير الشأن– متقدما على الضمير مذكورا قبله ليبين معناه ويكشف المقصود منه فيجيء الضمير مطابقا له وهذا الشيء المسفر يسمى "مرجع الضمير".[1]

والمعاني التي تحملها ضمائر الأشخاص لا تخرج بأن تدل على:

1. النوع: (التذكير، التأثيث)
2. العدد: (الأفراد، التثنية، الجمع)
3. الوضع: (التكلم، الخطاب، الغيبة)

وفي هذا يقول سيبويه(ت 180هـ) :"اعلم أن المضمر المرفوع، إذا حدث عن نفسه فإن علامته أنا، وإن حدث عن نفسه وعن آخر قال:نحن، وإن حدث عن نفسه وعن آخرين قال: نحن، (...) وأما المضمر المخاطب فعلامته إن كان واحدا: أنت، وإن خاطبت اثنين فعلامتهما: أنتما، وإن خاطبت جمعا فعلامته: أنتم، (...) فأنا وأنت ونحن وأنتما وأنتم وأنتن (...) لايقع شيء منها في موضع من العلامات مما ذكرنا، ولا في موضع المضمر الذي لا علامة له، لأنهم استغنوا بهذا فأسقطوا ذلك".[2]

ورغم تقرير هذه الأصول، إلا أن بعضها من وجهة نظر الممارسة التداولية، لا تثبت في دلالتها على مرجع معين، بل يجد المرسل أن دلالتها في الأصل لا تفي بالتعبير عن قصده، تماما كما يريد، لذلك يلجأإلى التلاعب بهذا النظام وإخراج هذه الدوال عن مدلولاتها الأصل. فيحول بعض الأدوات الإشارية في السياق الاجتماعي مثل الضمائر من وظيفتها الدلالية للدلالة على المرجع، إلى **وظيفتها التداولية** بانعكاسها **مؤشرا على قصده**، وهذه معان تفهم من السياق الخطاب إذ تعد مراعاتها — عند النحاة – شرطا من شروط الإفادة، وهذا ما يطلبه نظام اللغة لكن عندما يتعلق الأمر باستعمال اللغة وفق قصد المتكلم ومراعاتها للمقام الذي يمر به وضرورة إنتاجه لمقال يتواءم معه. فإن الأمر يختلف فنجد من ذلك مخاطبة الغائب بضمير المخاطب، وذلك باستحضار المخاطب بالتحديد الذهني لمخاطبته في أمر يهم المتكلم.

ومن ذلك أيضا اختلاف المواقف الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب، فنجدهم يخاطبون المخاطب المفرد بخطاب الجماعة وذلك لشحن كلامهم بالاحترام.

---

[1]– ينظر: عباس حسن: النحو الوافي ،دار المعارف مصر ، ط3. د.ت ،ج1، ص :230، 231، 232.

[2]- ينظر:سيبويه،الكتاب،تحقيق و وشرح : محمد عبد السلام هارون،مطبعة الخانجي القاهرة، ط 3. 1988. ج3، ص :123.

وبالنسبة للغائب بمخاطبته بصفات التكريم. كـــ: جلالة الملك أو يقال: "جلالته"1.

وهذا المخطط يوضح لنا تنويع وتوزيع الضمائر حسب الطرح الذي قدمه تمام حسان:

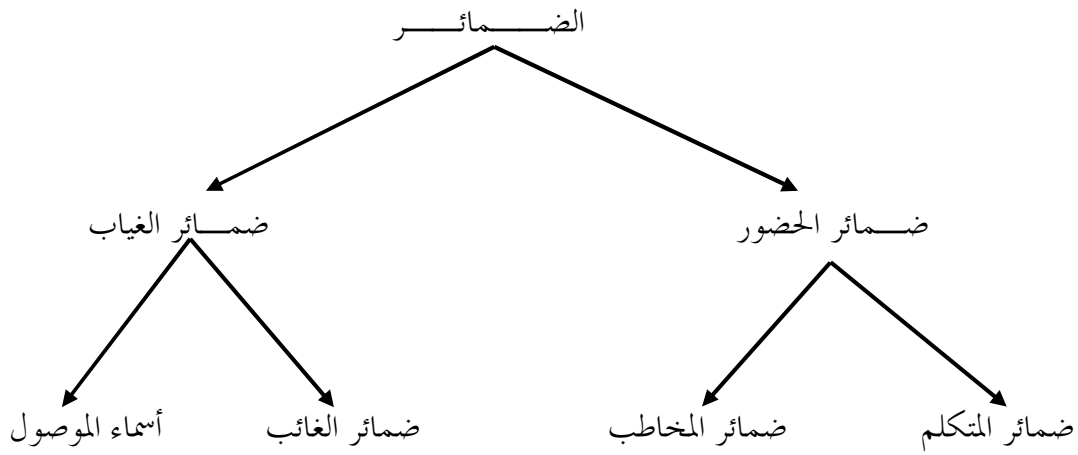

وقد عرض النحاة القدامى لتعريف الضمير على أنها مبهمات، وابن يعيش (ت 643هـــ) مثلا يرى أنها سميت بهذا الاسم: "لأنك تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلبس على المخاطب ،فلم يدر إلى أيهما تشير فكانت مبهمة لذلك، ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس ومعنى الإشارة الإيماء إلى حاضر بجارحة، أو ما يقوم مقام الجارحة فيتعرف بذلك، فتعريف الاشارة أن تخصص للمخاطب شخصا يعرفه بحاسة البصر"[2]. فمدلول المبهمات إذن لا يتضح إلا من خلال التلفظ بالخطاب.وينظر لها ابن عقيل(ت 769هـــ) من حيث دلالتها على الحضور والغياب في شرحه لقول ابن مالك:

فما لذي غيبة أو حضور –كأنت، وهو– سمّ بالضمير

يشير إلى أن الضمير: ما دل على غيبة كهو، أو حضور، وهو قسمان: أحدهما ضمير المخاطب، نحو أنت، والثاني ضمير المتكلم، نحو أنا.[3]

---

[1]– ينظر: تمام حسان– مكونات الضمائر في النص القرآن الكريم، ص: 226.

[2]- ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه:اميل بديع يعقوب ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط1: 2001 ، ج3 ،ص :221 .

[3]– ينظر: ابن عقيل :شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،، تح : حنا الفاخوري، دار الجـــيل، بيروت، لبنان، ط3، 1997. ص: 76،77.

أمّا تمّام حسّان فيعدّ الضمير قسما مستقلا بذاته من أقسام الكلم، ويرى أنّ الضمائر:"لا تخلو في ذاتها من إبهام وغموض في دلالتها، لأن معنى الضمير وظيفي ؛ وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما فلا يدل دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع، وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل على معين. وتقدم هذا المرجع لفظا ورتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة".[1]

ويتّضح من خلال التعريفين السابقين نجد أن الضمائر لا تدل بنفسها، وأن معناها وظيفي يتعلق للسياق الذي ترد فيه، وعلى المتلقي أن يكشف المرجع الذي تحيل عليه الضمائر في الخطاب .

أ. **ضمائر الحضور**: وهي ضمير المتكلم وضمير المخاطب وأسماء الإشارة، لأن تفسيرها وجود صاحبها وقت الكلام فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره، فهي ضمائر حضور. واستغنت عن الصفات لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات والأحوال المقترنة بها، حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما، وتقدم ذكر الغائب الذي يصير به بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم ،" فأعرف المضمرات المتكلم لأنه لا يكلمك غيره، ثم المخاطب والمخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة".[2]فابن يعيش يركز على ترتيب الضمائر من حيث الحضور والغياب وأولوية ضمير المتكلم بوصفه الضمير الأول للحضور، ويليه ضمير المخاطب لأن المتكلم لابد له أن يكلم غيره، ويصنف ضمير الغائب على انه ضمير غياب لا يشترط حضور صاحبه وقت الكلام:

-أنا: وهو أكثر عنصر في القدرة على التعبير عن الذاتية في اللغة ، وبالتالي التمكن من امتلاك ناصية الحديث ، واكتساب السلطة بالخطاب من خلال مجرد التلفظ به.

– **أنت**: لا يقف استعماله في السياق عند الإحالة على المرجع فقط، بل يتجاوز ذلك ليصبح دليلا على غرض تداولي؛وهو المشاركة بين الأطراف في الخطاب ، من خلال كون المخاطب مفترضا، أو الكتابة لمخاطب حتى وإن كان مفترضا. وهذا ما يوصف بـــ(أنت) التعاونية، وعليه فإنه:" يتوفر للمرسل عند التفاعل ثلاثة نماذج من الاستعمال، أنت التعاونية أو المتبادلة، أنتم التعاونية أو المتبادلة، أو الاستعمال المختلف؛ فيشير استعمال أنت إلى أن المشاركين في الخطاب يعتبرون أنفسهم ذوي علاقة حميمة من الناحية الاجتماعية، ويمكن تعريف العلاقة الحميمة بأنها التعابير عن: القيم المشتركة، والقرابة، والجنس، والجنسية، والموقع الوظيفي، وتكرار التواصل".[3]

---

[1]– ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص :110.

[2]-ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري ، ج2، ص: 292.

[3]– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 288.

– **نحن**:بعض الضمائر يقوم بهذه الدلالة بنفسه، معتمدا على تكوينه ،وصيغته الخاصة به، (...) ومثلها: نحن في: نحن نسارع للخيرات فإنها لفظة واحدة في تكوينها، وصيغة مستقلة بنفسها، في أداء الغرض منها، وهو التكلم مع الدلالة على الجمع، أو على تعظيم المفرد، و لم يتصل آخرها اتصالا مباشرا بما يساعدها على ذلك الغرض"[1] فالضمير"نحن"من أصناف تلك الإشاريات الشخصية للدلالة على المتكلم الحاضر، انطلاقا من أنه" يسمى ضمير المتكلم والمخاطب،:ضمير حضور، لأن صاحبه لابد أن يكون حاضرا وقت النطق به"[2]، ولذلك يعد استعمال المرسل للضمير نحن دليل على استحضار الطرف الآخر إن كان غائبا عن عينه.سواء من حيث دلالته على الجمع أو تعظيم المفرد.

ومن جهة أخرى يمكن استعمالها على نحو تداولي بوصفها دلالة على التضامن فيما وضعت له، وفي غير ما وضعت له، فلا يؤول استعمال الضمائر للإشارة إلى غير المراجع التي أشار لها النحو العربي على أنه خطأ، فهو من العلامات اللغوية التي يستعملها المرسل للتعبير عن قصده في التضامن مع المرسل إليه.

ومن أهم الاستعمالات التداولية للضمير "نحن" عندما يجمع المرسل في خطابه بينه وبين المرسل إليه دلالة على التضامن بينهما. أي بين أنا وأنتم في البنية العميقة للخطاب.

ب. ضمائرالغياب : أما ضمير الغائب فصاحبه غير معروف لأنه غير حاضر ولا مشاهد فلابد لهذا الضمير من شيء يفسره وبوضح المراد منه والأصل فيه أن يكون –في غير ضمير الشأن– متقدما على الضمير مذكورا قبله ليبين معناه ويكشف المقصود منه، فيجيء الضمير مطابقا له وهذا الشيء المسفر يسمى "مرجع الضمير".3

ب.1. الاســـــم الموصـــــول: عند التعامل مع الاسم الموصول يجب التيقظ لوجود صلة الموصول إذ هي التي تعمل الدلالة التي يشير إليها الاسم الموصول لأن الدلالة تتحدد بعناصرها فمن شروطها «أن تكون معلومة للمخاطب في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول، لأن القصد من الصلة تعريف الموصول بما يعلمه المخاطب من حاله ليصح الإخبار عنه »[4].

وفي النص الشعري القديم لا يحتل الغموض مساحة كبيرة لأنه نص يفتح المجال للتلميح واللامباشرة وليس الغموض فهو يحمل المتلقي على إمكانية تأويل المعنى، الذي لا يكون مستغلقا من البداية وهذا نتيجة

[1] – ينظر: عباس حسن: النحو الوافي، ج1، ص : 235.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص:218.

[3] - ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص : 230،231،232.

[4]- ينظر: عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، دار الجيل بيروت، ط2، 1979، ص :30.

لما وضعه البلاغيون من شروط للعملية التواصلية، التي يعد الابتعاد عن تعقيد الكلام أحدها رغم أن هناك فرقا بين الغموض وتعقيد الكلام، الذي يعد أهمها. ويرى السكاكي أن:" اسم الموصول يستخدم في الكلام متى صح إحضاره في ذهن السامع بواسطة ذكر جملة معلومة الانتساب إلى مشار إليه"[1].

وقد فطن عبد القاهر الجرجاني مبكرا للفوائد الدلالية والبلاغية المتحققة من استعمال اسم الموصول في النص الشعري يقول: "وليس شيء أغلب على هذا الضرب الموهوم من الذي فإنه يجيء كثيرا على أنك تقدر شيئا في وهمك ثم تعبر عنه بالذي. ومثال ذلك قوله:

أخـــــوك الذي إن تـــدعه لملمة يجبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

فأنت قدرت إنسانا هذه صفته، وهذا شأنه وأحلت السامع على من يعني في الوهم، دون أن يكون قد عرف رجلا بهذه الصفة فأعلمته أن المستحق لاسم الأخوة هو ذلك الذي عرفه"[2].

ب.2. ضمير الشأن :ويسمى كذلك ضمير القصة أو الضمير المجهول، ويعرفه ابن يعيش بقوله :" اعلم أنهم إذا أرادوا جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية، فقد يقدمون بها ضميرا يكون كناية عن تلك الجملة، وتكون الجملة خبرا عن ذلك الضمير وتفسيرا له (...) ولا يفعلون ذلك إلا في مواضع التفخيم والتعظيم. وذلك قولك :"هو زيد قائم " فـــ:"هو " ضمير لم يتقدمه ظاهر إنما هو ضمير الشأن والحديث، وفسره ما بعده من الخبر وهو : "زيد قائم" ولم تأت في هذه الجملة بعائد على المبتدأ، لأنها هو في المعنى، ولذلك كانت مفسرة له، ويسميه الكوفيون الضمير المجهول لأنه لم يتقدمه ما يعود إليه."[3]وهو من أهم المعاني العدولية الأسلوبية للضمائر.

وقد سمي ضمير الشأن بهذا الاسم لأنه يرمز للشأن، أي: للحال المراد الكلام عنها، والتي سيدور الحديث فيها بعده مباشرة، ويقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك:"ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام، في التأكيد والإحكام، ومن ههنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدّم إضمار".[4] وتسمية ضمير الشأن أشهر تسمياته، كما يسمى: "ضمير القصة"، لأنه يشير إلى القصة "أي: المسألة التي سيتناولها الكلام"

[1] – ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 418.

[2] – ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجازفي علم المعاني، ص: 143.

[3]-ينظر: ابن يعيش : شرح المفصل للزمخشري ،ج3. ص: 335،336.

[4]–ينظر : عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص:102.

ويسمى أيضا: ضمير الأمر، وضمير الحديث، لأنه يرمز إلى الأمر العام الذي يجيء بعده، والذي هو موضوع الكلام والحديث المتأخر عنه[1].

ويقول عباس حسن أن العرب الفصحاء – ومن يحاكيهم اليوم- إذا أرادوا أن يذكروا جملة اسمية، أو فعلية، تشتمل على معنى هام، أو غرض فخم، يستحق توجيه الأسماع والنفوس إليه- لم يذكروها مباشرة، خالية مما يدل على تلك الأهمية والمكانة، وإنما يقدمون لها بضمير يسبقها، ليكون الضمير– بما فيه من إبهام يتمثل في تعدد المرجع، وبخاصة إذا لم يسبقه مرجعه مثيرا للتطلع إلى ما يزيل إبهامه، باعثا للرغبة فيما يبسط تركيزه فتجيء الجملة بعده، والنفس متشوقة لها، مقبلة عليها، في حرص ورغبة. فتقديم الضمير ليس إلا تمهيدا لهذه الجملة الهامة. لكنه يتضمن معناها تماما، ومدلوله هو مدلولها، فهو بمثابة رمز لها، ولمحة أو إشارة موجهة إليها.[2]

ب.3. **الإحالة المطلقة:** ترى مريم فرنسيس أن الإحالة المطلقة هي إحالة متعالية على الإشارة وهي تتجسد بنص أو بوحدات نصية مبنية بالدرجة الأولى على الوصف، حيث لا يحد الموصوف بزمن معين، وكأنه مرتبط بحقيقة ثابتة أو بحال دائمة، (...) والصيغة الفعلية المستعملة في الجمل المستقلة هي صيغة المضارع التي لا تشير والحال هذه إلى حاضر المتكلم، بل تشمل ما كان، ويكون، وسيكون.كما أن استعمال صيغة الغائب هي القاعدة العامة في مثل هذه النصوص. وقد تستعمل صيغ المتكلم للجمع والمخاطب للمفرد أو للجمع. ولكنها لا ترتبط حصرا بمتكلم أو بمخاطب محدد ، بل تمثل الجنس الذي ينتمون إليه.[3]

2.2. الإشاريات الزمانية: هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم،فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ.

على أن الإحالة إلى الزمان، لها علاقة وطيدة بالسياق الذي ترد فيه، في حالة اتساع دلالة بعض العناصر الإشارية في التعبير عن الزمان،فمثلا :"يتجاوز مدلول كلمة اليوم في عبارة بنات اليوم دلالة هذا العنصر الإشاري إلى الزمن الكوني الذي يتحدد بأربع وعشرين ساعة إلى أن يشمل العصر الذي نعيش فيه، فهذه الدلالة الإضافية موكولة إلى السياق الذي ترد فيه هذه العناصر الإشارية"[4]. وتجدر الإشارة إلى أن

---

[1] -ينظر: عباس حسن: النحو الوافي،ج1. ص: 238.

[2] -ينظر: المرجع نفسه ،ج1. ص نفسها.

[3] -ينظر: مريم فرنسيس: في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية)، طبعة وزارة الثقافة، دمشق، 1998،ص: 35.

4- ينظر: محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص: 52.

المقياس الشعوري يختلف في صميمه عن المقياس الزماني ، الذي يعتمد في القياس على الأشهر والأسابيع والأيام والساعات ، لأن الفترات الزمنية الموضوعية قد تنكمش في شعور الإنسان أو تتمدد وتبدو طويلة، وذلك تبعا لمجرى الشعور وسرعة ذلك المجرى، حيث لا وجود للحياة الإنسانية دون الانفعال والشعور الدائم بالذات، فالإنسان يعيش في قبضة مشقّة نفسية دائمة، فهو بين توقّع من المستقبل ،ومعاناة من الحاضر، واستنادا على ميراثه النفسي والاجتماعي من الماضي".[1]

ومما ينبغي اللفت إليه هو أن العناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمن الكوني الذي يفترض سلفا تقسيمه إلى فصول، وسنوات وأشهر وأيام وساعات... وقد تكون دالة على الزمن النحوي الذي ينقسم بدوره إلى ماض وحاضر ومستقبل، إذ يمكن أن يتطابق الزمن الكوني والزمن النحوي، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمن الكوني فتستخدم صيغة الحال (الحاضر) للدلالة على الماضي، وصيغة الماضي للدلالة على الاستقبال، فيحدث لبس للقارئ لا يحله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة، وما يمكن الخروج به من خلال النظر إلى واقع الاستعمال اللغوي- سواء العادي أو الأدبي-هو أنه في أكثر الأحيان لا يوجد تطابق بين الزمن النحوي والزمن الكوني.[2]، فلحظة التلفظ هي المرجع ولهذا "يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى، ونربط، كذلك، بين الزمن والفاعل، لأهميته الكبرى، في مرحلة ثانية" ومن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا، يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعا يحيل عليه، و يؤوّل مكوّنات التلفظ اللغوية ،بناء على معرفتها".[3]

3.2. الإشاريات المكانية: وهي عناصر إشارية تدل على أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للسامع أو المخاطب، ويكون لتحديد المكان أثر في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة.

ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل: هذا، ذاك، هنا، ونحوها. إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر.

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي أسماء الإشارة نحو: ذا، وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم، وكذلك هنا وهناك وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم ،وسائر ظروف المكان مثل: فوق، تحت، أمام، خلف ...إلخ كلها عناصر إشارية لا

---

[1]- ينظر: محمد عبد الواحد حجازي: الأطلال في الشعر العربي –دراسة جمالية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1. 2002 .ص :16.

[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص:53.

[2]- ينظر: المرجع نفسه،ص نفسها.

3- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص :83،84.

يتحدد معناها إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه.[1] ولا يمكن للمتكلم أن يتخلّى عن المكان عند تلفّظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشاريات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب، فنجد أنها تختص" بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة بأن هناك طريقتين رئيستين للإشارة إلى الأشياء هما: إمّا بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، أو بتحديد أماكنها من جهة أخرى."[2]

ويورد ابن عقيل في شرحه لألفية بن مالك في بيان أن اسم الزمان لا يشترط أن يكون ظرفافي باب: **"علاقة اسم الزمان بكونه ظرفا أم لا"** فيشرح البيت:

الظرف: وقت، أو مكان، ضمنا في باطراد، كهنا امكث أزمنا

بقوله: واحترز بقوله: "ضمن معنى في" مما لم يتضمن من أسماء الزمان أو المكان معنى "في" كما إذا جعل اسم الزمان أو مكان مبتدأ، أو خبرا، نحو: "يوم الجمعة يوم مبارك، ويوم عرفة يوم مبارك، والدار لزيد" فإنه لا يسمى ظرفا والحالة هذه، وكذلك ما وقع منهما مجرورا، نحو: "سرت في يوم الجمعة" و"جلست في الدار" على أن في هذا ونحوه خلافا في تسميته ظرفا في الاصطلاح، وكذلك ما نصب منهما مفعولا به، نحو: "بنيت الدار، وشهدت يوم الجمل"

واحترز بقوله: "باطراد" من نحو: "دخلت البيت، وسكنت الدار، وذهبت الشام" فإن كل واحد من "البيت، والدار، والشأم" متضمن معنى "في" ولكن تضمنه معنى "في" ليس مطردا، لأن أسماء المكان المختصة لا يجوز حذف "في" معها، فليس "البيت، والدار، والشأم" في المثل منصوبة على الظرفية، وإنما هي منصوبة على التشبيه بالمفعول به، لأن الظرف هو: ما تضمن معنى "في" باطراد، وهذه متضمنة معنى "في" لا باطراد.[3]

وعند الحديث عن المكان في الشعر فإننا نجد اهتمام الشعراء والرؤية العربية بالمكان على أنه طلل، يمثل في عين الشاعر منظرا جديدا، وفي نفسه إحساسا متميزا، فيتحول المكان من دلالته الجغرافية إلى أطلال شخصية لا يمكن فهمها والوعي بأهميتها إلا بالعودة إلى السياق الذى وردت فيه، والمتمثل في حياة الشاعر وما اعتراها من ظروف، فرضت أهميتها في استعمال الدلالة السياقية للمكان، لتوضيح مقصود الكاتب.

---

[1] -ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 54.

[2] -ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص :84.

[3] - ينظر: ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج1، ص: 449 .

المبحث الثاني: الحجاج

1. تعريف الحجاج:

1.1– عند الغرب

2.1– عند العرب

2. الحجاج في الشعر

3. آليات الإقناع في الشعر

1.3. الآليات اللغوية

2.3. الآليات البلاغية

3.3. الآليات التداولية

أ. تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة

ب. التشخيص

تعريف الحجاج :

أ-**لغة** : جاء في لسان العرب :"حاججته أحاجّه حجاجا ومحاجّة حتّى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها(...)وحاجّه محاجّة وحجاجا نازعه الحجّة (...) والحجّة الدليل والبرهان".[1] وبهذا يكون الحجاج هو النزاع والغلبة باستعمال الحجج والبراهين والأدلّة، وفي قول ابن منظور:"رجل محجاج أي جدل"[2]يجعل الحجاج مرادفا للجدل ، الذي هو: "مقابلة الحجّة بالحجّة"و"اللّدد في الخصومة والقدرة عليها"[3]، ويظهر جليّا ا، الحجاج مرادف للجدل من جانب انطلاقهما من الخصومة والقدرة على استعمال الحجج ، من أجل غلبة الخصم والتفوّق عليه .

ب-اصطلاحا: يتطوّر المفهوم الاصطلاحي حسب تعرّض المهتمّين به لماهيته في مختلف العصور، ففي البلاغة العربية نجد الجاحظ(ت255هـ) تعرّض للحجاج على أنه "البيان" و يرى أنّ:" مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".ويوضّح مفهوم البلاغة والبيان مستشهدا بما لدى الهنود إذ يقول:"أوّل البلاغة اجتماع آلة البيان ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخيّر اللفظ، لا يكلّم سيّد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة "[4].فالحجاج يتمّ عند الجاحظ بإفهام القائل السامع المعنى الذي يقصده بوضوح، بمراعاة مقامات المتكلّمين والمستمعين المتفاوتة."[5]ويقسّم البيان إلى ثلاثة وظائف هي:

-الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية(حالة الحياد): إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.

- الوظيفة التأثيرية(حالة الاختلاف): تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

- الوظيفة الحجاجية(حالة الخصام):إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار.

وهذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة باعتبارها مقاربة تهتم بالتواصل بالدرجة الأولى والإقناع والتأثير وإيصال المعنى وتقديم الفائدة؛ ومنها فإن غايتها منفعية بحتة". ولهذا اهتم محمد العمري بالبيان عند الجاحظ حتّى أنه عدّ التداولية بعدا جاحظيا في أساسه.

---

[1]-ينظر: ابن منظور : لسان العرب ، مج :3.ص: 228.

[2]-ينظر : المرجع نفسه، مج:11، ص: 105.

[3]-ينظر: المرجع نفسه،ص: نفسها.

[4]-ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج1،ص:76.

[5]- ينظر:راضية خفيف بوبكري : التداولية وتحليل الخطاب، (مقاربة نظرية)، مجلة الموقف الأدبي، العدد399. تموز2004. ص:03.

وفي سياق إيلاء أهمية بالغة للمقام في الفهم والإفهام، يقول أبو هلال العسكري(ت392هـــ): "فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام ، (...) فالواجب أن تقسّم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة والبدوي بكلام البدو، (...) ، ويتجاوز به ما يعرفه إلى مالا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام ، وتعدم منفعة الخطاب"[1]. ويضعه ابن وهب(ت.....) تحت تسمية الجدل:"وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب، والديانات، وفي الحقوق، والخصومات، والتوسّل في الاعتذارات يدخل في الشعر وفي النثر".[2] يحق له الاعتراض عليها"،

أما في التقاليد الغربية فقد كان اهتمام أرسطو :Aristote(ت 322 ق.م) منصبا على فنون الكلام، و لا سيما الخطابة و الشعر منها، و لذلك نجد نظّر لهما ،و أرسى قواعدهما الفنية و العقلية، التي صارت فيما بعد منهجا اتبعه من جاء بعده.

ففي كتابه"الخطابة" اهتم بالإقناع وأدواته، إذ جعله بؤرة الخطابة:" فالريطورية قوة تتكلّف الإقناع الممكن في كلّ من الأمور المفردة."[3]

نجد أن الحجاج ارتبط بالبلاغة ، سواء أكان في الفكر العربي ؛ عند الجاحظ أو أبي هلال العسكري ، أو في الفكر الغربي القديم ، عند أرسطو مثلا، الذي اهتم بالإقناع الجطابي ، في تنظيره لبلاغة الخطابة.

وقد اهتم اليونان القدامى بفنون الكلام، خاصة الخطابة و الشعروالمناظرة ، لأنها فنون يظهر فيها الإقناع وتطبيق ما يسمونه بـــ"الجدل"، و لذلك نجد أن فلاسفتهم أرسوا المبادىء الأساسية للقيام بهذه الأنشطة والقواعد الفنية و العقلية، التي اعتمد عليها الفكر الحديث والمعاصر في تأطير النظريات المعاصرة.

وكان "أرسطو" ممن نظر للخطابة والشعر معا، و انطلق في تنظيره للخطابة مما وضعه "سقراط"، حيث جعل لها خطتين: جدلية و نفسية، و رأى أنه لا بد للخطابة الجدلية من أمرين: التركيب الذي يجمع به الخطيب نواحي الفكرة المتفرقة ليتمكن من تحديد الكلام، و التحليل الذي يرد الفكرة إلى آراء جزئية، وسمى أصحاب القدرة على التركيب و التحليل (جدليين)، فالخطابة عنده نوع من الجدل، أو هي الجدل بعينه.[1]

بينما ربط "أرسطو"بين خاصة الكلام والتعبير عند الإنسان وبين الإقناع:"فالإنسان لأنه متكلم معبر يبحث بطبعه عن الإقناع، ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير. "[2]

---

[1]-ينظر:أبو هلال العسكري: الصناعتين :ص :35.

[2]-ينظر: ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة ، عابدين ،مصر، د.ط.د.ت ،ص:176.

[3]-ينظر: أرسطو طاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمان بدوي، ، دط، دار القلم بيروت، 1976.ص: 09.

ويجد أن الخطابة والجدل متصلان ببعضهما، ويتحدان في موضوعاتهما. "لأنها أمور يمارسها كل الناس ويعرفونها في صورها المتحدة في الأقل". [3]

وفي سبيل اللجوء إليهما"إن كل الناس يلعبون للخطابة والجدل بدرجات متفاوتة، وكل إنسان يحاول ما أمكنه الجهد أن يعارض حجة من الحجج أو يدعمها". [4] ويميز منهجها ومهمتها الالتجاء إلى العكس (عكس القضايا).

الحجاج في الفكر الغربي المعاصر:

أ– عند بيرلمان:

يعدّ بيرلمان Perlman مؤسس البلاغة البرهانية الجديدة وهذا مع زميله تيتيكا teteka فـــــي مؤلّفهما :"مقالات في الحجاج " "traité de l'argumentation"، ويريان أن:" موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، بما يعرض عليها من أطروحات ، أو أن تزيد في ذلك التسليم"[1]، وبيرلمان يهدف من خلال صياغة نظريته في البرهان إلى "دراسة تقنيات الخطاب ،التي تسمح بتأييد الأشخاص للفروض التي تقدّم لهم ،أو تعزيز هذا التأييد على تنوّع كثافته"[2]. و يعتبر المؤلّفان أن الغاية من الحجاج هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه للعمل أو يهيّئه للقيام بالعمل،إذ "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، . فأنجع الحجاج ما جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى المستمعين ، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه) ، أو هو على الأقل ما وفق في جعل السامعين مهيّئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة".[3]ومؤلّف بيرلمان وتيتيكاه يترّل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره ويجعلانه شيئا مفارقا للجدل من ناحية، وصناعة الخطاب من ناحية أخرى، رغم اتصاله بهما. فهو يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى الأثر الذهني في المتلقي،وإذعانه إذعانا نظريا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف، ويأخذ من الخطابة توجيه السلوك أو العمل والإعداد له والحض عليه. وباختلاف الحجاج عن الجدل وصناعة الخطاب وجمعه بين التأثير النظري والسلوكي العملي، يشكّل بلاغة جديدة"[4].

كما أن بيرلمان أولى عناصر الحجاج أهمية خاصة في إنشائه لنظرية الحجاج التي لاتكتفي بالأساليب اللغوية بل تولي اهتماما بالظروف الخارجية التي تتعلق بكل من المخاطب والمقام خاصةلأن نظرية البرهان عند

---

[1]–ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،دار الفارابي ،بيروت لبنلن ،ط2،ص: 27.

[2]–ينظر: ينظرصلاح فضل :بلاغة الخطاب وعلم النص،ص:92.

[3]–ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،ص: 27.

[4]–: سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه حتى نهاية القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2008 .ص:21،22.

بيرلمان لـــ"بحث سبل التأثير عبر الخطاب بشكل فعّال في الأشخاص" ويكون الحجاج عنده:"عبارة عن تصور معيّن لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة، بكل من المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب".[1] ويربط وجود المعنى بالسامع " الذي لولاه لماكان حجاج أصلا "، وفي سياق حديثه عن وجود آليات تعمل على تحريك المقصودين إلى الفعل وتغيّره حسب المقام ، ويربط بيرلمان الحجاج بعوامل لغوية تتمثل في الوضوح، وعوامل غير لغوية (نفسية اجتماعية)تتمثل في الاحترام والوعي بظروف مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية من خلال الملامح الآتية:

-أن يتوجه إلى مستمع.

-أن يعبّر عنه بلغة طبيعية.

-مسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

-لا يفتقر تقدّمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.ليست نتائجه ملزمة. [2]

وإلا فقد الحجاج أثره وفاعليته.

الحجـــــــاج عند ديكرو..Ducrot. O صار الحجاج مع اونسكمبر Encombre و ديكرو Ducrot يعالج في إطار لساني محض أو يكاد ، وذلك من خلال كتابهما" الحجاج في اللغة"، ويجعلان الحجاج كامنا في اللغة ذاتها، لا في يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقية كما هو عند بيرلمان وتيتكاه.[3]

فالحديث في الحياة اليومية –مثلا-، في أبسط صوره ،يجعل المتكلم في سعي إلى التأثيرفي أفكار و معتقدات المستمع؛ فيعمل على إقناعه، و تعزيته، و حضّه على قول شيء أو القيام بفعل ، دون أن يضطرّ للظهور بوجه بوجه المقنع أو المحرك.

ويهتم " ديكرو" بتأكيده على العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب والحجاج ، هذه القوانين تتدخل في تحديد المحتويات الحجاجية؛حيث تكمن وظيفة قوانين الخطاب في تحديد معالم الدلالات الحجاجية. فالإخبارية من قوانين الخطاب لكنها ثانوية في الحجاج ،لكنها تتدخل في آراء و سلوكات المتكلم أو المستمعين ، عن طريق التأثير فيهم؛ و ذلك بحملهم على الوصول إلى الأمر الذي يقصده المتكلم من إن الحديث عن الحجاج في اللغة هو حديث عن نمط من العمليات التخاطبية التي تدخل ضمن تفسيرنا للغةعلى أساس كونها نشاطا كلاميا يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق.

---

[1] -ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،عالم الفكر، الكويت ، ع2.يناير ، مارس، 2000.ص:61.

[2] -ينظر: المرجع السابق،ص: نفسها .

[3] -ينظر: عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،ص: 33.

والخطاب كما يذهب إلى ذلك " ديكرو"O .Ducrot و "انسكومبر"Anscombre ليس فقط وسيلة ، بل هو غاية أيضا، فهو وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير على الغير.

ويورد "ديكرو"المثال التالي :"نقول عن المتكلم إنه يقوم بحجاج. حينما يقدم القول ق1 و غايته في ذلك حمل المستمع على الاعتراف بقول ق2 .

لكن هذه العملية وباعتراف الباحثين لا تتم ببساطة فليس بمجرد التلفظ بقول معين ق1 نكون قد حملنا المخاطب على استنتاج ق2. بسبب تدخل عوامل لغوية وغير لغوية في التحديد الحقيقي للدلالات".[1] للتدليل على أن هذه التسلسلات الحجاجية تجعل المتلقي يقوم بعمليات استنتاجية معقدة للوصول إلى قصد المتكلم وفهمه ، ومدى وجود إمكانية الإذعان لما يقول، من خلال التمعن في كلامه ، والذي إن أنتج مجرد التعاطف أو التغيير الدقيق على أفعال المتلقي ، فإن المتكلم يعد قد قام بفعل الإقناع من خلال الحجة التي قدمها ، والتي أدّت بالمتلقي لسلسلة الاستنتاجات المعقدة.

الحجاج في الشعر العربي القديم:

يعد القول بأن الشعر لا يخاطب في النفس إلا المشاعر والقلوب ولا يتجاوز فعله في المتلقي الإمتاع والإلذاذ والإطراب دون أن يكون للعقل دور في هذا الإمتاع، من المسلّمات الشائعة في الثقافة العربية. ولهذا شاعت أفكار تربط وقد ارتبط على هذا الأساس تعريف الشعر على أساس ارتباطه ب**التخييل**، وهو مصطلح يوناني استعمله الشراح العرب لكتاب أرسطو في الشعر وأولهم **الفارابي** (ت 339هـ) ويعرف ابن سينا (ت 370 هـ) الشعر تعريفا قائما على التخييل بأنه"كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة"[2] ويضيف قائلا أن الكلام المخيل "هو الكلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عن أمور و تنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار، وبالحملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري، سواء كان القول مصدقا به أو غير مصدق به"[3] وقد اعترف النقد العربي للشاعر بسلطته على النفس وقدرته على النفاذ إلى مناطق التلقي والفعل فيها فالشعر كما يقول **عبد القاهر الجرجاني**:"يكفي فيه التخييل، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل"[4]. وبهذا يصبح التخييل عنده"ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا، ويدعي دعوة لا طريق إلى تحصيلها، أو يقول قولا يخدع فيه نفسه ويريها مالا

---

[1]- ينظر:عمر بلخير:تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة، ط1. 2003.ص120،121.

[2]-ينظر:ابن سينا : تلخيص كتاب أرسطاطاليس في الشعر-وقد ورد ضمن :كتاب أرسطاطاليس في الشعر، نقل أبي بشر متى بن يونس القنائي، تح : شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1967 ،ص:197.

[3]-ينظر : المرجع السابق، ص: نفسها.

[4]-ينظر : عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان،ص: 235.

ترى"[1]، وقد ذهب حازم القرطاجي إلى نفس الفكرة في دور الشعر في تحريك الوجدان وإحداث الانفعال في تعريفه الشعر **بأن:**"الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه،لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل لـــه، ومحاكـــاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام، أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلـــك . بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثرها ... فأفضل وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب . فإن الاستغراب والتعجيب حركة للنفس إذا اقترنت الشعر ما حسنت محاكاته وهيأته"[2].

إذن نستنتج أن التخييل الشعري انتقل من دائرة البحث الفلسفي إلى دائرة البحث البلاغـــي والنقدي وقد نال قدرا من سوء الظن وذلك بسبب نظرة الفلاسفة لـــه بارتباطـــه بالملكـــات الإنسانية الدنيا [3]، لأن التخييل يحدث في النفس انفعالا من غير استحضـــار للعقـــل، في لحظـــة استقبال الشعر ، مما يفتح المجال للنفس لتتأثر من غير إعمال العقل في مكونات التخييل الشـــعري المتمثلة في المعاني والأسلوب الذي تساق على منواله الفكرة المخيّلة. وحازم القرطاجني مدرك لتأثير التخييل على المتلقي ويقدم في منهاجه تعريفا يقول فيه: "أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصـــور شيء آخر بها انفعالا من غير روية إلى جهة من الانبساط أوالانقباض"[4]، ومدى تأثره بها وتأثيره فيها. وعجزه عن الوصول إلى المعارف الراقية، نتيجة لهذا يمكننا فهم حديث ابن رشيق في بدايـــة كتابه "العمدة" عن ارتباط الشعر بالسحر.[5] ويسهب حازم القرطاجني في الحديث عن الصـــدق والكذب في الأقاويل الخطابية والشعرية ، ويرى أن ذلك ضروري لهذه الصناعة. في قوله : «لمـــا كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص وإما أن يـــرد على جهة الاحتجاج والاستدلال، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين – اللهم إلا أن يعدل الخطيب بأقاويله عن الإقناع إلى التصديق، فإن للخطيب أن يلم بذلك في الحال بين الأحوال من كلامه – واعتماد الصناعة الشعرية على تخييل الأشياء الـــتي يعبر عنها بالأقاويل وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة، وكأن التخييل لا ينافي اليقين كمـــا

---

[1]-ينظر: المرجع نفسه، ص: 239.

[2] – ينظر: حازم القرطاجني، : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنـــان، ط 3 ، 1986 . ص 71.

[3]-ينظر : جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي: المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط3. 1992.ص72.

[4]-ينظر حازم القرطاجني، : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 89.

[5]– ينظر: ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصّله وعلّق على حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ط5. 1981،ج1،ص: 27.

نافاه الظن، لأن الشيء قد يخيل على ما هو عليه وقد يخيل على غير ما هو عليه، وجب أن تكون الأقاويل الخطبية- اقتصادية كانت أو احتجاجية – غير صادقة ما لم يعدل بها عـــن الإقنـــاع إلى التصديق، لأن ما يتقوم به وهو الظن مناف لليقين، وأن تكون الأقاويل الشعرية اقتصادية كانت أو استدلالية غير واقعة أبدا في طرف واحد من النقيضين اللذين هما الصدق والكذب، ولكن تقع تارة صادقة وتارة كاذبة، إذ ما تتقوم به الصناعة الشعرية وهو التخييل غير منـــاقض لواحـــد مـــن الطرفين. فلذلك كان الرأي الصحيح في الشعر أن مقدماته تكون صادقة وتكون كاذبة، وليس يعد شعرا من حيث هو صدق ولا من حيث هو كذب بل من حيث هو كـــلام مخيّـــل"[1] . و يقسم عبد القاهر الجرجاني المعاني إلى قسمين: عقلية و تخييلية و يوازن بينهما على أساس ما فيهما من صدق أو كذب فتكون المعاني الحقيقية هي مدار أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم و كلام الصحابة و آثار السلف الصالح الذين شأنهم و قصدهم الحق.

والمعاني التخييلية هي دعوى تخادع النفس وتريها ما لا ترى، ومثال ذلك قول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي[2]

فهذا قد خيل إلى السامع أن الكريم إذا كان موصوفا بالعلو والرفعة في قدره، وكان الغني كالغيث في حاجة الخلق إليه وعظم نفعه. وجب بالقياس أن يزل عن الكريم زليل السيل عن الطود العظيم، ومعلوم أنه قياس تخييل وإيهام لا تحصيل وإحكام، فالعلة في أن السيل لا يستقر على الأمكنة العالية أن الماء سيال لا يثبت إلا إذا حصل في موضع له جوانب تدفعه عن الانصباب، وتمنعه عن الانسياب، وليس في الكريم والمال شئ من هذه الخلال".و عبد القاهر الجرجاني يرى أن هذا قياس خادع اعتمد عليه أبو تمام ، لإثبات هذا المعنى.

وإذا بحثنا في أمهات الكتب عن مدى الاهتمام بإيراد أقوال تدعم دور الشعر في الإقناع والحمل على الإذعان وانطلاق هذا الشعر أساسا من العقل، كالذي أورده الجاحظ في البيان والنبيين في أن"ليلى بنت النصر بن الحارث بن كلدة لما عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت و استوقفته و جذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها[3]: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وسلم: لوكنت سمعت شعرها هذا ما قتلته" والشعر:

---

[1] – ينظر:حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص :62 ، 63 .

[2] –ينظر:أبو تمام :ديوان أبي تمام،تقديم وشرح محي الدين صبحي ،دار صادر بيروت لبنان ،ط1.المجلد 2.ص:37.والبيت من قصيدة في مدح الحسن بن رجاء.

[3] –قتل النضر بن الحارث يوم مرجع النبي –صلى الله عليه وسلم –من بدر ،أمر عليا بضرب عنقه صبرا وهو بالصفراء.

يـــا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفـــق[1]

أبلغ بها ميتا بأنّ قصيدة ... ما إن تزال بها الرّكائب تخفـــــق [2]

فليسمعن النضر إن ناديته ... إن كان يسمع ميّت لا ينطـــــق

ظلّت سيوف بني أبيه تنوشه ... للّه أرحام هناك تشـــــــقّــق[3]

قسرا يقاد إلى المنية متعبا ... رسف المقيد وهو عان موثـــــق [4]

أمحمد هاأنت ضنء نجيبة ... في قومها والفحل فحل معـــــرق [5]

ما كان ضرّك لو مننت وربّما ... منّ الفتى وهوالمغيظ المحلـــــــق [6]

هذه الأبيات موجهة إلى نبي معصوم يصور حرقة فتاة على فقد أبيها وقد احتوى هذا النص حجتين نادى بهما الإسلام: الأولى تمثلت في صلة الرحم والأخرى في رحمة الضعيف وهذا الشعر كان كفيلا أن يرد قرار النبي صلى الله عليه وسلم بقتل النضر بن الحارث.

و الخبر الثاني يورد فيه "أن شيخا من الإعراب تزوج جارية من رهطه وطمع أن تلد له غلاما. فولدت له جارية، فهجرها وهجر مترلها وصار يأوي إلى غير بيتها، فمر بخبائها بعد حول وإذ هي ترقص بنيتها وهي تقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا

غضبان لا نلد البنينا ... تا الله ما ذلك في أبينا

فلما سمع الابيات مر الشيخ نحومها حذرا حتى ولج عليهما الخباء وقبل بنيتها وقال: "ظلمتكما ورب الكعبة"[7]

في هذا الخبر استحضرت المرأة زوجها أثناء إنشادها للشعر فيه. وأهم فكرة دعا إليها النص والتي تعد حجة مركزية هي التسليم بأن الله سبحانه وتعالى يهب الذكور لمن يشاء ويهب الاناث لمن يشاء. وتعزز هذه

---

1 ينظر: الجاحظ ،البيان والتبيين ،تح ،عبد السلام محمد هارون ،ج4.،ص44.43.الأثيل ،بهيئة التصغير :عين ماء بين بدر ووادي الصفراء .ويقال له أيضا "ذوأثيل".من صبح خامسة .أي في صبح ليلة خامسة .يعني ما بينها وبين قبره من مسافة .

2-الأنيث لأنها عين ماء.والتذكيرللموضع . والركائب :الابل . تخفق : تضطرب.

3-تنوشه: تناوله وتأخذه.

4-العني : الأسير .

5-الضنء:بفتح الضاد وكسرها: الولد.

6-المحنق: شديد الغيظ.

7-ينظر : المرجع نفسه، ص:47.

الحجة بأسلوبي الاستفهام والحصر. ويصادف هذا الشعر المتلقي المقصود منه فيؤثر فيه أيما تأثير إذ ينهي هجرانه لها بعد طول فراق دام حولا كاملا.

و أدى إقصاء الشعر من دائرة المنطق وتجريده من مقولات العقل إلى إشارة قضية خطيرة تتمثل في تحديد الأجناس الادبية. إذ عدّ الكثيرون أن الشعر إذا دخل باب المنطق لان وضعفت طاقته الحجاجية وتحول إلى خطبة. وهذا كان أبرز منفذ تسرب منه النقاد إلى شعر الكميت بن زيد الاسدي شاعر الشيعة[1] يقول الجاحظ: "وفي الخطباء من يكون شاعرا ويكون إذا تحدث أو وصف أو احتج بليغا مفوها بينا، وربما كان خطيبا فقط وبين اللسان فقط (...) ومن يجمع الشعر والخطابة قليل (...) ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الأسدي وكنيته أبو المستهل" .،"ما تعطف به القلوب النافرة ، ويؤنس القلوب المستوحشة ،وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة ، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة ،فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب ، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه ، وتثير حفيظته."[2]

نستنتج أن ارتباط الشعر بمخاطبة النفس البشريةوما يعتورها من انقباض أو انبساط، وارتباط الخوض فيه بما يسمى الملكات الدنيا، الناتج عن تأثر البيئة النقدية بالآراء الفلسفية التي روّج لها الشرّاح العرب لكتاب أرسطو في الشعر ، وتسلل هذه الأفكار إلى البيئات التطبيقية في دراسة الشعر. جعل النقاد القدامى يبتعدون عن الاهتمام بآليات تأثير الشعر واعتماده على الاستنتاج.

لكننا ننطلق من أن الشعر مثل أي خطاب موجه من متكلم إلى متلقّ مقصود ، وبتسليمنا بأنه لاوجود لخطاب بريء لا يروم صاحبه من وراء صياغته إلى التأثير في الآخر والعمل على إقناعه من خلال الاستعانة بما تقدّمه له الإمكانات التعبيرية التي تتيحها له اللغة ، والسياقات المختلفة التي يورد فيها خطاباته.

آلـــــيات الاقناع في الشعر:

الآليات اللغوية :

تتمثل الآلية اللغوية التي عرضنا لها في بحثنا هذا في التكرار لمختلف الصيغ اللغوية، انطلاقا مما تفرضه علينا المدونة، وعلى اعتبار أن "التكرار أسلوب شائع في الخطابات على تنوع مواضسيعها واختلاف أجناسها ، ولكنه لايدرس ضمن الحجج والبراهين ، وإنما يعد رافدا أساسيا يرفد هذه الحجج والبراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما ، حيث يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي ، وتساعد على نحو فعّال في إقناعه ، أو حمله على الإذعان ، لأن التكرار يساعد على:

- التبليغ والإفهام.

[1]- ينظر:الجاحظ: البيان والتبيين، ج4، ص:48.47.

[2]-ينظر : أبو هلال العسكري :الصناعتين، ص:57.

- ترسيخ الرأي أو الفكرة في المتلقي"[1].

ونورد تعريف التكرار في البيئة اللغوية مع عرض الفائدة التداولية من الاهتمام به فأحمد مطلوب في معجم المصطلحات البلاغية يورد" تعريف ابن الأثير الجزري-في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- للتكرير الذي هو:"إيراد المعنى مرددا ، فمنه ما يأتي لفائدة ، ومنه ما يأتي لغير فائدة ، فأما الذي يأتي لفائدة فهو جزء من الإطناب؛ وحد الإطناب:"زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة".فبقال حينئذ: إن كل تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب، وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فإنه جزء من التطويل؛ والتطويل :"زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة".وهو أخص منه ، فيقال : إن كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل".

ويقسم ابن الأثير الحلبي– في كتابه جوهر الكنز- التكرير إلى قسمين:

-القسم الأول: يوجد في اللفظ والمعنى ، مثل:أسرع أسرع.

-القسم الثاني: يوجد في المعنى دون اللفظ ، مثل: "أطعني ولا تعصني"فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية.

وكل قسم من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير مفيد ؛ فالمفيد الذي يأتي في الكلام توكيدا له وتسديدا من أمره وإشعارا بعظم شأنه، وأما القسم الذي هو غير مفيد فهو الذي يأتي في الكلام توكيدا له فقط"[2].من خلال هذا التعريف نستنتج **الفائدة التداولية** للتكرار ، وهي الاهتمام بالمخاطب الذي يعد الطرف المقصود في العملية التواصلية ، والتوجه إليه بتأكيد الأمر ، أو التسديد من أمره ، أوالإشعار بعظم شأن هذا الأمر ، سواء يالنسبة للمتكلم أوالمتلقي وهذه أسباب تزيد من متانة أواصر التواصل بينهما ، من خلال لفت انتباهه بالخطاب.

1. **اسم الفاعل**: يعد اسم الفاعل من نماذج الوصف التي يوردها المتكلم في خطابه بوصفها حجة ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد. ليبني عليه الحجة التي يرومها. انطلاقا من تعريفه بأنه: "اسم مشتق يدل على معن مجرد حادث وعلى فاعله، فلا بد أن يشتمل على أمرين معا هما: المعنى المجرد الحادث وفاعله ودلالة اسم الفاعل على المعنى المجرد الحادث أغلبية لانه قد يدل –قليلا- على المعنى الدائم أو شبه الدائم (...) ودلالته على ذلك المعنى المجرد مطلقة أي لا تفيد النص على أن المعنى قليل أو كثير. فصيغته الأساسية محتملة لكل واحد منهما[3]."

[1] -ينظر: سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 168.

[2] -ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983. ج2. ص: 338.339.

[3] - ينظر:عباس حسن :النحو الوافي ،ج3،ص :221.

2. **صيغة المبالغة:** يجوز تحويل صيغة "فاعل" وهي صيغة "اسم الفاعل"الأصلي من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف إلى صيغة أخرى تفيد من الكثرة والمبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي، مالا تفيده إفادة صريحة صيغة "فاعل".وصيغة المبالغة تدلّ بنصها وصيغتها الصريحة على الكثرة والمبالغة في ذلك الفعل، ولهذا تسمى صيغة مبالغة،فكلمة"زرّاع" تفيد من كثرة مزاولة الزراعة ، ومن المبالغة في مزاولتها ما لا تفيده كلمة "زارع" فبينما يرمي استخدام اسم الفاعل إلى بيان أمرين : المعنى المجرد مطلقا وصاحبه، يدلّ استخدام صيغة المبالغة على الأمرين سالفي الذكر ، مزيدا عليهما الدرجة كثرة وقوة، وأشهر أوزانها: فعّال، مفعال ، فعول".[1]

3. **اسم المفعول:**يصنف اسم المفعول على أنه من الأوصاف الحجاجية المستعملة وهو: "اسم مشتق، يدل على معنى مجرد غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بد أن يدل على الأمرين معا"[2]

4. **أفعل التفضيل:** تستعمل أفعال التفضيل في الإثباتات وتعريفه: "هو اسم مشتق، على وزن أفعل، –يدل في الأغلب– على أن شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر فيه، فالدعائم التي يقوم عليها التفضيل الاصطلاحي –في أغلب حالاته– ثلاثة:

- صيغة أفعل وهي اسم مشتق
- شيئان يشتركان في معنى خاص
- زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص

ولا فرق في المعنى والزيادة فيه بين أن يكون أمرا حميدا أو دميما".

إن تكرار اسم الفاعل وصيغة المبالغة واسم المفعول وأفعل التفضيل، بوصفها صيغا دالة على الأفعال لأنها صيغ مشتقّة، تساعد على تأكيد الأمر وتسديده، والإشعار بعظم شأنه، بغية لفت المخاطب إليه، ودفعه إلى الاهتمام بكلام المتكلم ، وهذا ما يفسح المجال لقابلية تأثره وإذعانه لأفكار المتكلم التي ضمّنها خطابه.

الآليات البلاغية:

وهي تتمثل في استعمال الصور البيانية واستغلال مافيها من طاقات حجاجية لإثبات قول أو نفيه،من خلال اعتبارها آليات بلاغية لها القدرة على حمل المخاطب على التمعّن فيها ، ويقول أبو هلال العسكري في أهميتها بأنها:"ما تعطف به القلوب النافرة ، ويؤنس القلوب المستوحشة ،وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة ، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة ،فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب ، من غير أن تهيجه

[1]–ينظر: المرجع السابق، ج3. ص: 258.257.

2ينظر:المرجع نفسه، ص:237

وتقلقه، وتستدعي غضبه ، وتثير حفيظته."[1]فدور المتكلم هو بناء الصورة وفقا للمقام الذي ترد فيه ووفقا للمخاطب الذي أمامه ، دون أن يفوته أن هدفه في الأصل من الصور البيانية هو التعبير عن قصده ، وحمل المخاطب على إدراك ذلك القصد عن طريق تأويل العبارة اللغوية.

وإذا انطلقنا من أن التشبيه ربط بين عنصرين من واقعين مختلفين ، وتقديمهما للمتلقي الذي يعمل ذهنه للاستدلال على وجه الشبه الرابط.

ووجه التأثير هو أن المتكلم يحمل المتلقي على الاستنتاج ، وذلك هو مناط الحجاج، فعبد القاهر الجرجاني يرى أن :"التشبيه قياس، والقياس فيما تعيه القلوب وتدركه العقول ، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان ، لا الأسماع والآذان."[2] من خلال هذا القول نجد أن قدرة التشبيه تتمثل في بناء علاقة بين عنصرين من عالمين مختلفين، ويحاول التشبيه جاهدا طمس الفروق بينهما ، ويركّز أكثر على وجه الشبه الذي يجمعهما، لأنه يساعد على الفعل في المتلقي ، مادام أن التشبيه :" العقد بأن أحد الشيئين يسد مسدّ الآخر في حس أو عقل".[3]ويضيف مبرزا أهمية التشبيه:"وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء ، وتظهر فيه بلاغة البلغاء ، وذلك أنه يكسب الكلام بيانا عجيبا(...) فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بيانا فيهما، والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه على وجوه؛منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ، ومنها إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، ومنها إخراج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، ومنها إخراج مالا قوة له في الصفة إلى ماله قوة في الصفة."[4]

إن ما سبق يبين لنا أن التشبيه "لا يصار إليه إلا بغرض"[5]وذلك لأن التقريب بين أمرين وحمل المتلقي على استنتاج المقصود من ذلك التقريب، في السياق الذي ورد فيه قيمة تداولية تجمع بين قصد المتكلم والهدف من الخطاب ، "فالتشبيه مستدع طرفين مشبها ومشبها به، واشتراكا بينهما من وجه، وافتراقا من آخر ، مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة، أو بالعكس، فالأول كالإنسانين إذا اختلفا في الصفة طولا وقصرا ،والثاني في الطويلين إذا اختلفا حقيقة إنسانا وفرسا."[6]

---

[1]-ينظر :أبو هلال العسكري :الصناعتين، ص:57.

[2]-ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، صححه وعلّق حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1،1988. ص: 15.

[3]- ينظر: الرماني: النكت في الإعجاز القرآني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر، ط2. 1968. ص:80.

[4]- ينظر:المرجع نفسه، ص: 81.

[5]- ينظر:السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 439.

[6]- ينظر:المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ويتناول السكاكي الاستعارة على أساس أنها "فرع من فروع التشبيه"[1].وهي أن:" تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ،مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به؛ كما تقول: في الحمام أسد ، وأنت تريد به الشجاع ، مدّعيا أنه من جنس الأسود ، فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه، مع سد طريق التشبيه بإفراده في الذكر ، أو كما تقول: إن المنية أنشبت أظفارها ، ولأنت تريد بالمنية : السبع ، بادّعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئا غير سبع ، فتثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار "[2]، ففي الاستعارة ينطلق المتكلم مما هو مشترك بينه وبين المتلقي ، في العرف اللغوي السائد بينهما، وإمكانية احتمال المعاني الحرفية لمعان تستدعيها المقامات والأحوال.وهي تقوم على ما يسمى بـــقانون الحذف، أي حذف أحد عناصر التشبيه للوصول إلى الاستعارة.

حيث يقول في ذلك :" اعلم أن وجه التوفيق هو أن تبني دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطرق التأويل؛ متعارف، وهو الذي له غاية جرأة المقدم ، ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة، وغير متعارف، وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة لا مع تلك الصورة، (...) مستشهدا لدعواك هاتيك بالمحيلات العرفية والتأويلات المناسبة، من نحو حكمهم إذا رأوا أسدا هرب عن ذئب أنه ليس بأسد ، وإذا رأو ا إنسانا لا يقاومهأحد أنه ليس إنسانا وإنما هو أسد ، أو هو أسد في صورة إنسان ، وأن تخصص القرينة بنفيها المتعارف الذي يسبق إلى الفهم، ليتعين ما أنت تستعمل الأسد فيه، ويرى عبد القاهر الجرجاني أنه كلما كان هناك تباعد في العلاقة بين طرفي التشبيه، استمالت النفوس أكثر وأثارتها لإدراك القصد منها عن طريق عملية الاستدلال الذهنية.يقول:" وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كانت إلى النفوس أعجب."[3]وهو يذهب إلى أن تصور الحركة الذهنية التي تصاحب الصور البيانية حركة فكرية منطقية إلى حدّ كبير.ويحدّد السكاكي وجهة نظره ، عندما يرى بأن كل تشبيه أو استعارة أوكنايةقياس منطقي، قد حذف منه الحد الأوسط والنتيجة ؛ فإذا قلت :"خدّها وردة"، فأنت تؤلف قياسا نطقت بمقدمته، وتركت لصاحبك أن يبني عليها الحد الأوسط "الوردة حمراء"،ثم النتيجة "خدّها أحمر"[4]، ولاكتشاف ما لهذه الأقيسة البلاغية من

طاقات حجاجيةنعتمد على السلّم الحجاجي الذي يعرّفه طه عبد الرحمن بأنه:" عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال ، مزوّدة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ-كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ،بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه .

---

[1]- ينظر:المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

[2]- ينظر:المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان،ص: 109.

[4]- ينظر :أرسطو طاليس: كتاب أرسطو في الشعر، ص: 255.

ب-كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين،كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه" .

ولديه ثلاثة قوانين هي:

1. قانون الخفض.
2. قانون تبديل السلم.
3. قانون القلب.

حيث تترتب الحجج في الخطاب على أساس طاقتها الحجاجية وقدرتها على الإقناع،ويقوم المرسل بترتيب الحجج على أساس دعمها لدعواه.[1]

3. الآليات التداولية:

1.3. تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:[2]

حيث يتم الاستدلال بناء ا على المثال المعزول، حيث يتأسس الواقع على ظاهرة مفردة ثم يقوم بتوسيعها فتصبح حالة عامة، بعد ان كانت مجرد حالة خاصة.

أ.الحجاج باستعمال الأغراض الشعرية: وذلك من خلال الانطلاق من الذات ، ومحاولة بناء صورة عند المخاطب ، تدعم قوة هذه الذات ، بالاستعانة بأغراض شعرية كالفخر مثلا. وما لهذا الغرض من قدرة على لفت الانتباه ، حيث يعمل الشاعر على تصوير ذاته في صورة مثالية، مبرزا أهميته في هذا الكون .

ب. الحجاج باستعمال المثل التاريخي:

يعد تضمين الايات القرآنية والاحاديث وأبيات الشعر والامثال والحكم وهي بمثابةحجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها (...) وتدخل الشاعر في هذا السياق ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصودة للاستدلال عليه ، وتتمثّل خاصّة في استحضار المواقع المستمدة من التاريخ العربي الذي يجمع الشاعر ومخاطبيه، وما لها من قدرة كبيرة على تواصلية بالغة التأثير» الايات الغرض المرصودة للاستدلال عليه" [3] "وثمّة نزوع في الخطابات الحجاجية إلى استدعاء "المشترك" Communوهو ما يشكل موضوع اتّفاق بين المتلقّين ،أو يمثّل جملة من المعارف المشتركة الشّائعة بينهم،ذلك أنّ للمشترك سلطته على النفوس ،فهي تذعن لما تعوّدت عليه ..." ويورد أبو هلال العسكري نماذج من الشخصيات التي تنتمي إلى البيئة العربية ، والتي يضرب بها المثل في أمور، فيقول ؛ كالوفاء،

---

[1] -ينظر : طه عبد الرحمان: اللسان والميزان ،ص: 277.

[2] -ينظر:سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم،ص:243.

[3] -ينظر: محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي-مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق-المغرب، ط2. 2002.ص: 90.

والكرم، والبخل.يقول: ."وشهر قوم بخصال محمودة ، فصاروا فيها أعلاما فجروا مجرى ما قدّمناه ؛كالسموأل في الوفاء ، وحاتم في السخاء، والأحنف في الحلم، وسحبان في البلاغة ، وقسّ في الخطابة، ولقمان في الحكمة .وشهر آخرون بأضداد هذه الخصال ؛ فشبّه بهم في حال الذم ، كباقل في العيّ، وهبنّقة في الحمق، والكسعيّ في الندامة ، والمتروف ضرطا في الجبن ، ومادر في البخل."[1]

2.3. التشخيص: personnification

يصنف طه عبد الرحمن هذه الظاهرة نوعا من أنواع الحجاج أطلق عليه اسم: "الحجاج التقويمي" وهو: "إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية يتزلها منزلة المعترض على دعواه فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا على حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل المتلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به. مستبقا استفساره واعتراضاته، ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها، وهكذا فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار بينه وبين نفسه ومراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية حتى كأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه"[2].

ويؤكد بيرلمان على أهمية التشخيص ، حيث هو من إبداع المتكلم ،الذي يصوغه وفقا لحالة المخاطب النفسية، والاجتماعية،وما تحمله الذات المخاطبة من زاد ثقافي وحضاري، إذ إن المخاطب يحمل لصفات يلتقي فيها مع نسبة كبيرة من البشر ، فـــ" الثقافة والحضارة والمجتمع والنصوص الخلفية الثاوية في اللاوعي الجماعي ، الموجّهة للوعي وللفهم وللتعامل داخل الزمرة الاجتماعية الخاصة ، وبالتالي يكون الخطأ في رسم صورته الفعلية مؤدّيا حتما إلى نتائج عكسية".[3]

وقد أخذت فكرة "المخاطب المتخيل" أو "الخلق" تجليات عند بيرلمان:

1. المخاطب الكوني (من دون خصائص أو معالم محددة أي عاما شاملا)
2. المخاطب المحدد النابع من مكونات مقام القول وامكاناته التي على المتكلم الاجادة في استغلالها والاعتدال في توظيفها
3. المخاطب النابع من "الفاعل" أي المرسل للقول ذاته ويمثل جزاءا من تجريداته وطموحاته[4]

---

[1]-ينظر:أبو هلال العسكري : الصناعتين ، ص: 249.

[2]-ينظر: طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص: 228.

[3]-ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،، ص: 69.

[4]-ينظر: المرجع السابق ، ص: 79.

ودور الاستعارة في تشخيص الموجودات راجع إلى طاقتها الحجاجية ،والتي تعود إلى أنها :

1. **قول حواري**: وحواريته صفة ذاتية له، وذلك عن طريق اشتراك ذوات متعددة في بناء الكلام، وذلك بتألّف القول الاستعاري من مستويين ؛مستوى المعنى الحقيقي الظاهر غير المراد ،ومستوى المعنى المجازي المضمر المراد، إذ يتّخذ المتكلم الواحد كل هذه الذوات مظاهر لوجوده في القول الاستعاري ينقلب بينها، قائما بكل أدوارها الخطابية في آن واحد وليس من سبيل لحذف إحداها أولترجيحها على غيرها.
2. **قول حجاجي**:من خلال تدخّل آليتي الادّعاء والاعتراض في القول الاستعاري ، فالمستعير يدّعـــي وجود المعنى الحقيقي للجملة ، أي المطابقة بين المستعار له والمستعار منه، ومن ناحية أخرى يقوم بالاعتراض على وجود المعنى الحقيقي للجملة ذلك كله من خلال تقمّصه لأدوار الذوات التي تشترك فيبناء الكلام.
3. **قول عملي**:فعلى اعتبار أن الاستعارة تمثّل أبلغ وجوه تقيّد الكلام بالمقام، وجعلها تدخل في سياق "التواصل الخطابي"الذي يهدف إلى إجراء تغيير في سلوكات الناطقينودفعهم إلى الانتهاض للعمل، فتكون أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها.[1]

[1]-ينظر:طه عبد الرحمن :اللسان والميزان،ص:310،311،312.

المبحث الثالث: الأفعال الكلامية

1. نشأتها

2. الأفعال الكلامية عند الغرب

1.2. عند أوستن

2.2. عند سيرل

3. الأفعال الكلامية عند العرب (الخبر والانشاء):

أ. الاستفهام

ب. التمني

ج. الأمر

د. النهي

هـــ. النداء

و. خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر

الأفعال الكلامية:

1. نشأتها

لقد كان لظهور "الفلسفة التحليلية" بمفهومها العلمي الصارم على يد الألماني غوتلوب فريجه Gottlieb Frege واعتماد التحليل منهجا فلسفيا جديدا. كان له بالغ الأثر في ظهور "فلسفة اللغة العادية" على يد لودفيغ فيتغنشتاين Wittgenstein الذي رأى أن اللغة الطبيعية هي الأداة في المعنى والذهاب إلى أنه غير ثابت ولا محدد وتفادي البحث عن المعنى المنطقي الصارم[1] وأطلق فيتغنشتاين على الاستعمالات المختلفة للغة اسم ألعاب اللغة وأسمى كل استعمال لعبة لان له قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة كما يتفق اللاعبون على قواعد اللعبة. وأن كل نوع من ألعاب اللغة محكم بالبيان الاجتماعي الذي يرد فيه[2]

2. الأفعال الكلامية عند الغرب:

1.2. عند أوسيتن: يعد أوسJ.Austin مؤسس نظرية الأفعال الكلامية وواضع المصطلح الذي تعرف به إلى الآن. وذلك في المحاضرات التي ألقاها في أكسفورد oxford في العقد الثالث من القرن العشرين، ثم في محاضراته الإثنتي عشرة التي ألقاها في Harvard هارفارد سنة 1955 ونشرت بعد موته في 1962 بعنوان "كيف نفعل الأشياء بالكلمات"quand dire c est faire وقد تأثر بمحاضرات فيتغنشتاين في "ألعاب اللغة" وأرسى مبدأ "المعنى هو الاستعمال"3 فمثلا عند قولك "أوصي بنصف مالي للجمعيات الخيرية" فحين النطق بهذه العبارة فأنت لا تلقي قولا بل تنجز فعلا. وهو ما يسمى الفعل الكلامي: وهو "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد ...) وغايات تأثيرية actes perlocutoires لرفض أو قبول المتلقي. ومن ثم انجاز شيء ما[4]"

توصل "أوشين" في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم الفعل الكلامي الكامل acte de discours intégrale إلى ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي: فعل القول أو الفعل اللغوي acte locutoire

---

[1] – ينظر:مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1. 2005.ص :18،20 .

[2] – ينظر:محمود أحمد نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص:61.

[3] – ينظر : المرجع نفسه ، ص: نفسها .

[4] – ينظر : :مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب،ص:40.

إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية نوعية[1]، يوعي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي التركيبي والمستوى الدلالي. لكن "أوستين" يسميها أفعالا: الفعل الصوتي، وهو، وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، وأما الفعل التركيبي فيؤلف مفردات لغة معينة، وأما الفعل الدلالي فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة. فقولنا مثلا: إنها ستمطر، يمكن أن يفهم معنى الجملة، ومع ذلك لا ندري أهي: إخبار بـــ "أنها ستمطر" أم تحذير من عواقب الخروج في الرحلة، أم "أمر يحمل مظلة" أم غير ذلك...

إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد "قصد" المتكلم أو "غرضه" من الكلام

الفعل المتضمن في القول acte illocutoire

هو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ "أنه عمل ينجز بقول ما" وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح "أوشين" تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية. من أمثلة ذلك: السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد أمر، شهادة في محكمة

فالفرق بين الفعل الأول والفعل الثاني، هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء

الفعل الناتج عن القول acte perlocutoire

يرى "أوستين" أنه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن في القول (القوة)، قد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو "التسبب في نشوء أثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط... "بسمية الفعل الناتج عن القول، وسماه بعمتهم الفعل التأثيري"

خصائص الفعل الكلامي: يلاحظ "أوستين"أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل:

فعل دال، فعل انجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات)، فعل تأثيري (أي يترك أثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا)

ليقوم فعل كلامي على مفهوم "القصدية"، وتقوم مسلمة القصدية على أساس تداولية درسها فلاسفة التحليل ثم توسع في تعريفها وتصنيفها

التداوليون، حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة تملك قيمة تداولية نصية حوارية، وتعد مراعاة مفهوما وشبكتها المفاهيمية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية

[1]-ينظر :المرجع السابق ، ص :18،20 .

قام أوستين بتصنيف الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف:

– **الحكميات**actes verdictif وهي بجوهرها إطلاق أحكام على واقع، أو قيمة مما يصعب القطع به. ومن أمثلتها: برأ، قيم، حسب، وصف، حلل، صنف، أرخ، فسر.

– **الإنفاذيات**: وهي تقوم على استعمال الحق أو القوة وما إليهما. ومن أمثلتها: عين، سمى، استقال، أعلن، صوت، صرح، أمر، نهى.

– **الوعديات**:**actes promissifs** قد تكون الزمات المتكلم بأداء فعل ما، كما قد تكون إفصاحات عن نواياه، ومن أمثلتها: وعد، نذر، أقسم،راهن، عقد، عزم، نوى.

– **السلوكيات**: ترتبط بإفصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين، أو بالسلوك الاجتماعي، ومن أمثلتها: اعتذر، شكر، هنأ، عزى، انتقد، مدح، هجا، وبخ، ودع، بارك.

– **التيبينيات**: وهي توضح علاقة أقوالنا بالمحادثة أو المحاجة الراهنة، ومن أمثلتها: أثبت، أنكر، أجاب، اعترض (تأكد) مثل، استنبط، شرح، وصف، صنف[1]

2.2. عند سيرل: استطاع سيرل..... أن يطور تصور أوستين لشروط الملاءمة أو الاستخدام التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقا. تكون بمثابة شروط نجاح الفعل الكلامي، وتطبيق نتائج الفعل النموذجي على بقية الأفعال.

وقام بتحديد مفهوم القوة المتضمنة في القول بتحليله إلى ما يلي:

1. **الغرض المتضمن في القول**: مثلا الوعود غرضها إلزام المتكلم نفسه بعمل شيء .
2. **درجة الشدة للغرض المتضمن في القول**: حيث تحقق أفعال مختلفة متضمنة في القول نفس الغرض المتضمن في القول بدرجات مختلفة في الشدة. مثال: أنا أطلب منك أن تعمل على أقل شدة من: أنا أصر عليك أن تعمل على شروط المحتوى القضوي: فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب[2]
3. **الشروط المعدة**:conditions préparatoires وهي الشروط اللازم تحقيقها ليكون الفعل صحيحا مثلا: جميع الأفعال التي غرضها حمل المخاطب على القيام بفعل ما. يكون من شروطها المعدة قدرة المخاطب على القيام بذلك الفعل.

وهناك ارتباط بين الشروط المعدة ونمط تحقيق الغرض لقوة ما مثلا: المتكلم المصدر لأمر إداري – وهو نمط معين من أنماط تحقيق غرض الطلب– لابد أن يحوز مقاما إداريا يخول له الأمر ، وهذا المقام هو الشرط المعد اللازم لإصدار ذلك الأمر.

---

[1] – ينظر : طالب سيد هاشم الطبطبائي ،نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ،ص:10،11.

[2] – ينظر : المرجع نفسه ،ص :17،18 .

4. **شرط الإخلاص أو شرط الصراحة**:condition de sincérité المتكلم يريد من المخاطب حقا أن ينجز هذا الفعل، وبذلك يتمكن من تحقيق الغرض المتضمن في القول بدرجات متفاوتة حسب الشحنة التي يصفيها المتكلم على خطابه. مثلا: المتكلم الذي يقدم على طلب، يعبر عن رغبته بقيام المستمع بالفعل المطلوب لكنه إذا توسل أو استجدى أو تضرع فإنه يعبر عن رغبة أقوى من التي يعبر عنها بالطلب المجرد

أما الأقسام الخمسة للقوى المتضمنة في القول عنده فهي:

1. **التقريريات Assertive**: والغرض منها هو الغرض التقديري (واتجاه المطابقة في الغرض التقديري هو من القول إلى العالم ولا يوجد شرط عام للمحتوى القضوي في التقريريات إذ أن أية قضية يمكن أن تشكل محتوى في التقريرات. والشرط المعد لجميع التقريريات هو حيازة المتكلم على شواهد أو أسس أو مبررات ترجح أو تؤيد صدق المحتوى القضوي، والحالة النفسية التي تعبر عنها التقريريات هي الاعتقاد.
2. **الوعديات Commissives**: الغرض منها هو الغرض الوعدي (واتجاه المطابقة في الغرض الوعدي هو من العالم إلى القول، والمسؤول عن أحداث المطابقة هو المتكلم) أما الشرط العام للمحتوى القضوي في الوعديات فهو أن تمثل القضية فعلا مستقبلا للمتكلم، والشرط المعد هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به، والحالة النفسية التي يعبر عنها في الوعد هي القصد intention.[1]
3. **الأمريات (الطلبيات) Directives**: الغرض منها هو الغرض الأمري (الطلبي) (واتجاه المطابقة في هذا الغرض يكون من العالم إلى القول، والمسؤول عن إحداث المطابقة هو المخاطب) والشرط العام للمحتوى القضوي هو أن يعبر عن فعل مستقبل للمخاطب. أما الشرط المعد لها فهو قدرة المخاطب على أداء المطلوب منه، والحالة النفسية التي يعبر عنها في الأمريات هي الإرادة أو الرغبة want or desire والأمريات تخلق أسبابا للمخاطب كي يؤدي المطلوب منه.
4. **الايقاعيات Déclaratives** الغرض منها إحداث تغيير في العالم بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي .بمجرد الإنشاء الناجح successful performance للفعل الكلامي. ويتم ذلك بالاستناد إلى مؤسسة غير لغوية extraa-linguistique institution بحيث تعتبر هذه المؤسسة الإنشاء الناجح لذلك الفعل الكلامي إحداثا للتغيير المطلوب (واتجاه المطابقة هو الاتجاه المزدوج) وجميع الإيقاعات الصحيحة لها محتوى قضوي صادق. من هذه الجهة تتميز الايقاعيات عن غيرها من الأفعال الكلامية بأن إنشاءها بنجاح يكفي لتحقيق المطابقة بين القول والعالم. ولا يوجد شرط

[1] – ينظر :المرجع السابق ، ص:30.31.

خاص للمحتوى القضوي للإيقاعيات، وإن كانت الموضوعات التي يمكن للإيقاعيات أن تعمل عليها محدودة جدا. أما الحالة النفسية التي تعبر عنها الايقاعيات فهي الاعتقاد (التصديق) بوقوع الفعل بنجاح والرغبة في وقوعه ناجحا believe and desire ويتوافق الاعتقاد والرغبة مع القصد intention في تحقيق الغرض المتضمن في القول.[1]

5. **البوحيات Expressive** الغرض من البوحيات ذات الصيغة "ق(ض)" هو التعبير عن موقف attitude حيال الواقعة التي تعبر عنها القضية "ض" (واتجاه المطابقة في غرضها هو الاتجاه الفارغ). ويبدو أنه ليس ثمة شرط عام محدد للمحتوى القضوي في البوحيات لكن القضايا التي تتضمنها أكثر البوحيات ترتبط بنحو ما بالمتكلم أو المخاطب. والشرط المعد لأغلب البوحيات هو تحقق المحتوى القضوي سلفا، إذ أن المتكلم إنما يعبر فيها عن حالته النفسية تجاه الواقعة المفروض تحققها[2].

الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة:

لحظ الباحثون أننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية المباشرة التي لا تستخدم إلا مباشرة قليلة جدا، وهي تقتصر في الغالب على الأفعال المؤسساتية أو التشريعية، وهي كالتوكيل والتفويض والوصية والتوريث والإجارة ونحوها، لأن الأفعال الكلامية إذا استخدمت غير مباشرة سوف تؤدي إلى اللبس وضياع الحقوق.

والأفعال الإنجازية غير المباشرة لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل معنى المتكلم، والتركيز على أن المتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخر.

ويمكن التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة بتحديد ثلاثة فروق جوهرية:

– أن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازية غير الحرفية فموكولة إلى المقام حيث لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه.

– أن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة ؟ فقد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام.

– أن القوة الإنجازية لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية، تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه.[3]

---

[1] – ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص : 31.30 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه ، ص :33.32.

[3] –ينظر: أحمد محمود نحلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 84.83.

ويضع مانقونو maingueneau شروطا للتعامل مع المضمرات القصدية sous entendus intentionnels هي:

-الكفاءة اللغوية القائمة على معرفة الافتراضات المسبقة présupposés.

-معرفة قوانين الخطاب.

-المعرفة الموسوعية.[1]

وذلك لارتباط القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة؛ بقصد المتكلم من جهة وبخصوصية المقام الذي ترد فيه.

ويرتبط استعمال الأفعال الكلامية بغرض **توجيهorientation** المتلقي للفعل ، من خلال اتّباع المتكلم لـــ**لإستراتيجية التوجيهية** التي يولي فيها المتكلم العناية لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي، إتاحة الفرصة له لفرض قيد ولو بسيط على المتلقي ، وهي بهذا تعدّ ضغطا وتدخلا –ولو بدرجات متفاوتة –على المتلقي، وتوجيهه لفعل مستقبلي معيّن.[2] من خلال تطبيق **السلطة بالخطاب** عليه، عند امتلاكه لتسيير الخطاب بأنا المتكلم التي يجب أن تكون في مرتبة أعلى من المتلقي، لأن كون طرفي العملية التواصلية في مرتبة واحدة لا يستدعي استعمال الإستراتيجية التوجيهية،ولا يعدّ التوجيه فعلا لغويا فحسب ،بل يعدّ وظيفة من وظائف اللغة سماها رومان جاكبسون الوظيفة الندائية.

ومن بين الدراسات التي تتعلّق مباشرة بأفعال التوجيه **مبدأ التعاون** principe de coopération الذي صاغه **غرايس**، وهوكما يرى مانقونو D.maingueneau"يلزم عناصر التواصل بعدم قطع العلاقة التحادثية القائمة بينهم "[3]على اعتبار أنه ميتا مبدأ meta **principe**

مبدأ عام حول طبيعة المحادثة ،إذ يسهم في ضبط الأفعال في دلالتها على قصد المتكلم ، لأن همّه منصبّ تماما على تبليغ المتلقي قصده كما يريد، انطلاقا من أنه يفترض تعاون المتلقي معه. بالإضافة إلى مجموعة قواعد متفرّعة عنه ، يلتزم بها المتكلمون عادة اتحقيق نجاعة الفعل الكلامي ؛ويعرّف غرايس مبدأ التعاون كما يلي:

"أن تجعل مساهمتك في المحادثة كما هو مرجو منك ، من حيث اختيار التوقيت المناسب، وأن تكون تلك المساهمة متماشية مع الهدف والتوجه المسلّم بهما للتبادل الخطابي الذي تقع ضمنه".

والقواعد المتواضع عليها ، والمتمثلة في بديهيات تحادثية maximes conversationnellesوالتي يستند إليها هذا المبدأ هي:

---

[1] voir :Dominique maingueneau: pragmatique pour le discours littéraire ، bordas ، ، paris

[2] -ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 80.322 . .

[3] -voir :Dominique maingueneau: pragmatique pour le discours littéraire p 102.

- من حيث الكمmaximes de quantité أن تجعل مساهمتك إخبارية بالقدر المطلوب ، (حسب ما تمليه الحاجة في تلك المحادثة القائمة) ولا تقدم معلومات أكثر مما يلزم.

- من حيث الكيف maximes de qualité ألا تقول ما تعتقد أنه خطأ، ولا تتحدث بشيء لا تملك بشأنه حججا كافية.

- من حيث العلاقة maximes de relationأن تتحدث عما هو مناسب للموضوع.

- من حيث الأسلوبmaximes de modalité أن تكون واضحا وتتجنب الغموض في التعبير، (ابتعد عن ازدواجية المعنى)، وتتكلم بإيجاز(ابتعد عن الحشو)، وأن تكون منظما.

بهذا الطرح يكون غرايس قد وصف الضوابط التي تتحكم في استعمالات المتكلمين للغة أثناء المحادثة، وأتاح الإمكان لوصف أنواع الدلالات التي يمكن للمتكلم أن أن يوحي بها في حالة عدم التزامه بهذه الضوابط، فذلك يؤدي إلى إيحاء المتكلم بالإضافة إلى المعنى المباشر لمقولته بمعنى إضافي هو المعنى الضمني للمحادثة. [1]

فالقواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أنهما يتخالفان في تطبيق هذه القواعد ، فتنتقل الإفادة في المخاطبة من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معان ضمنية ومجازية.[2]

وقد صاغ غرايس ضوابط مبدأ التعاون على شكل قوانين تتجلى فيما يأتي:

-بديهية العلاقة :قانون الإفادة

- بديهية الصدق: قانون الصدق

- بديهية الكمية: قانون الإخبارية

- بديهية التوجيه: قانون الشمولية

أ- **قانون الإفادة:loi de pertinence** يعد أهم قانون يقوم عليه مبدأ التعاون، لأنه يتسم بالدقة والوضوح، من باب أن الملفوظ فيه يكون أقل إخبارا، لأنه يدفع المستمع لإثراء معلوماته أو تغييرها.فهو قانون يرتبط أساسا بمدى وجود فائدة للمستمع من الخطاب الموجه له.

ب- **قانون الصدق:loi de sincérité** حيث يؤكد غرايس على المشاركة الصادقة سواء أكان الأمر مرتبطا بالاستفهامات **أو** التقريرات؛ فمن يسأل يرغب بجدية في معرفة الإجابة في الأوامر، ومن ناحية المتلقي فهو –وفق هذا القانون – يعقد ثقته في المتحدث كونه كان صادقا في حديثه.

[1] -ينظر: ج.ب. براون،ج. يول: تحليل الخطاب،ص: 41.40.

[2] -ينظر: طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص: 239.

ج- **قانون الإخبارية و قانون الشمولية:** loi de information et loi exhaustivité يمثل الإخبار هدف التواصل عامة، وهو من دعائم تجسيد الفكر ، وإيصاله إلى المتلقي

3. الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب:

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ضمن مباحث علم المعاني وتحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعروفة بـــ :"الخبر والإنشاء "وبهذا يمكن أن نعدها مقابلة لنظرية أفعال الكلام عند الباحثين المعاصرين.

يعرف السكاكي علم المعاني بقوله:"اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره "[1]

ويوضح مفهومه لخواص تركيب الكلام فيقول:" وأعني بخاصية تركيب الكلام ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريا مجرى اللازم له "

ويقول ابن خلدون عن علم المعاني:"هذا العلم الحادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده، ويقصد الدلالة عليه من المعاني... ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليها لأنه من تمام الإفادة،و إذا حصلت للمتكلم ،فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه، وإذا لم تشتمل عليه منها فليس من جنس كلام العرب، فإن كلامه واسع، ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة "[2]

الملاحظ أن علماء العرب عامة كثيرا ما كانوا يركزون على دعامة "الإفادة"في دراستهم للجملة والنص، إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة.

1.3. الإنشاء:

لاحظنا فيما سبق أن البلاغيين وبداية من السكاكي لم يستعملوا مصطلح "الإنشاء" بل استعملوا مصطلح "الطلب".

ويوافق الطلب عند السكاكي الإنشاء ويرى أنه لا يعرّفه تعريفا حدّيا وأن الطلب لايعرف لأنه "حقيقة معلومة مستغنية عن التحديد ."

ويحده بأنه: "ما يستدعي مطلوبا وأن يكون مطلوبة ".غير حاصل وقد الطلب امتناع تحصيل الحاصل.

من خلال هذه التعريفات نجد أن الطلب عند السكاكي مفهوم عام، يشمل الطلب وغير الطلب وعند القز ويني يرادف الطلب الإنشاء الطلبي.

---

[1] ينظر:السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص:247.

[2] - ينظر: ابن خلدون ، المقدمة ،الدار التونسية للنشر والتوزيع والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر د.ط، 1984. ص:729.

1.1.3- الإنشاء الطلبي:

يشمل الإنشاء الطلبي على فروعه الخمسة: التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، النداء. ولكل من هذه الأنواع شروطه المعدة، التي إذا توفرت جرى الأسلوب على الأصل.وإذا اختل فيها شرط امتنع إجراؤها على الأصل. وتخرج إلى معان فرعية وإذا انطلقنا من ثنائية (الواقع/التمثيل الذهني) يمكننا أن نميز بين أفعال تكون على شكل تمثيل ذهني للواقع ، لا يشترط تحققه على الواقع وهي: التمني والاستفهام. وبين أفعال يمكن تحققها في الواقع وهي الأمر والنهي والنداء.

وهي كالآتي:

أ. **الاستفهام** : يصنفه أغلب البلاغيين على أنه من الإنشاء الطلبي، ويميز السكاكي الاستفهام عن باقي أنواع الإنشاء الطلبي بقوله: «إنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج نقش مطابق، فنقش الذهن في الأول (أي الاستفهام) تابع وفي الثاني (أي باقي الطلبيات) متبوع »[1].

أدواتـــــه: الأدوات الإنجازية للاستفهام هي: **الهمزة، أم، هل، ما، من، أي، كم، كيف، أين، متى، أيان،** هذه الكلمات ثلاثة أنواع: أحدها يختص بطلب حصول التصور وثانيها يختص بطلب حصول التصديق، وثالثها لا يختص .[2]

– **الهمزة:** يطلب بها التصور والتصديق كلاهما: دلالتها عل طلب التصور (طلب تعيين المفرد) قولهم: أدبس في الإناء أم عسل، ومن دلالتها على طلب التصديق (أي طلب تعيين النسبة) في قوله تعالى: ✉ ☎ ◆❑➔♎ 🖫🖻🖂❍❐🕮 🖚①♦☼❑↗★🚫⌛🖅♈♦☞⇔❍♦③◆❐ ☎ ✌🖻🖂♦♦🖚◉ 🕛🡐❍❋☼🚫❶ ☑❼🚫■🗁◆❻◆❐ ❽🚫❶ 🖄✍➔🔔

[3]. 🡸🚫🞬🖈 🖚▫⇦🞬❽🖈🡵🡶➔🡐☺🚫🖃 🖏🡐☞☼❐🕮 🖉✍♦✍◆❐

والراجح أن بين التصور والتصديق فرق وهو يتمثل في أن **التصور** يكون المتكلم فيه خالي الذهن من أي فكرة حول المستفهم عنه، أما في **التصديق** فيجب أن يكون لدى المتكلم فكرة مسبقة عن الموضوع المستفهم عنه، ويندرج ذلك ضمن ما أسماه **سيرل** معيار الشروط المعدة[4].

ونرى أن الشروط المعدة للاستفهام تتمثل في أن يكون المستفهم غير عالم بما يسأل عنه طالبا العلم به وهذا ما يؤدي إلى إجراء الاستفهام على أصله، أي يكون استفهاما لغرض الاستخبار وطلب العلم. فيكون فعلا كلاميا مباشرا، وهذا في أقل الحالات، أما إذا وجدنا الاستفهام في غير مقام الاستخبار وطلب العلم

---

[1]– ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم، ص: 416 .

[2] – ينظر : المرجع نفسه، ص :418 .

3 – الآية 53 من سورة يونس .

[4] – ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 158 ، 159 .

خرج عن غرضه الأصلي المباشر إلى أغراض تواصلية فرضتها المقامات التي يرد فيها الاستفهام، وامتنع فيها إجراء المعنى الأصلي المباشر إلى معنى فرعي غير مباشر؛ ويمكن عرضها كالآتـــي :

ب. التـــمـــنـــي: إذا قلت هل لي من شفيع؟ «في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع امتنع إجراء الاستفهام على أصله وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التمني »[1].

– **الـــعـــرض**: «إذا قلت لمن تراه لا يترل: ألا تترل فتصيب خيرا، امتنع أن يكون المطلوب بالاستفهام التصديق بحال نزول صاحبك لكونه حاصلا، ويوجه بمعونة قرينة الحال إلى نحو : ألا تحب الترول مع محبتنا إياه، وولد معنى العرض»[2].

– **الإنكار والزجـــر**: «إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب : أتفعل هذا ؟ امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله، وتوجه إلى مالا تعلم،...، وولد معنى الإنكار والزجر»[3].

– **الإنكار والتوبيخ**: «أو كما قلت لمن يهجو أباه مع حكمك بأن هجو الأب ليس شيئا غير هجو النفس، هل تهجو إلا نفسك؟، أو غير نفسك؟ امتنع منك إجراء الاستفهام على ظاهرة، لاستدعائهم أن يكون الهجو احتمل عندك توجها إلى غيره، وتولد منه بمعونة القرينة»[4].

– **الوعيد والزجـــــر**: كما قلت لمن يسيء الأدب: أو لم أو أدب فلانا؟ امتنع أن تطلب العلم بتأديبك فلانا وهو حاصل وتولد منه الوعيد والزجر»[5] .

– **الاستبطاء والتحضيض**: «إذا قلت لمن بعثت إلى مهم وأنت تراه عندك أما ذهبت بعد؟ امتنع الذهاب عن وجه الاستفهام إليه، لكونه معلوم الحال، واستدعى شيئا مجهول الحال مما يلابس الذهاب، أما تيسر لك الذهاب؟ وتولد منه الاستبطاء والتحضيض »[6].

نلاحظ أن السكاكي فصل في الأغراض غير المباشرة للاستفهام، في حال امتناع حدوثه على الأصل الذي يفرض معنى طلب العلم،وهذا التفصيل ما هو إلا مراعاة لمختلف المقامات التي يمكن أن يؤدي فيها الكلام ،والتي يعد مطابقة الكلام لهذه المقامات من الأولويات عند المتلفظ بالخطاب، إضافة إلى الاهتمام بقصده من ذلك التلفظ لأن مدار إجراء الكلام وفق مقتضى الحال يخضع لقصد وغاية، والهدف من المتلفظ بهذا القول. على أن هذه الأغراض التواصلية الفرعية ليست مفروضة بل قد يفرض السياق أغراضا أخرى غير مباشرة نحو التعجب، المدح، الذم.

---

[1] – ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص :416 .

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص : نفسها .

[3] – ينظر: المرجع نفسه ، ص : نفسها .

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص : نفسها .

[5] – ينظر: المرجع نفسه، ص: نفسها .

6 – ينظر: المرجع السابق ص 416 ، 417.

ب. **التمني**: وهو الأسلوب الإنشائي الذي يطلب فيه المتكلم ما هو ممتنع الوقوع، وهو حسب السكاكي: "أن تطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه"[1]

ويرى التفتازاني أنه: " طلب حصول بشيء على سبيل المحبة"[2] لكن البلاغين يفرقون بين نوعين من التمني:

الأول: توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلا. كقوله تعالى: ﴿ النساء الآية 73 ﴾

الفرق الجوهري بين التمني والترجي هو أن المتمني لا يطمع في حصوله، ومن ثم لا يعتقد إمكانه، أما المترجي فهو أمر يعتقد حصوله وإمكانه . والفرق الآخر أن التمني يكون في الأمر المحبوب فقط وأن الترجي يكون في المحبوب والمكروه معا ».[3]

يخرج التمني عن الغرض الأصلي المباشر إلى أغراض تواصلية أخرى فرعية، يفرضها تعدد المقامات نحو:

– **السؤال**: إذا قلت لمن يهمك أمره ليتك تحدثني، امتنع إجراء التمني والحال ما ذكر على أصله فتطلب الحديث من صاحبك غير مطموع في حصول، وولد بقرينة الحال معنى السؤال »[4].

الثاني: توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه ممكنا غير مطموع في نيله كقوله تعالى:

﴿ 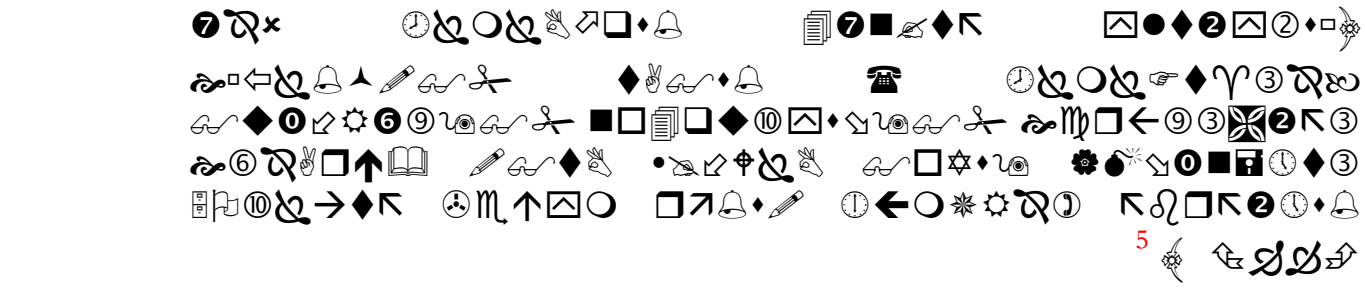 [5] ﴾

---

[1] –ينظر: المرجع نفسه، ص: 428.

[2] – ينظر: التفتازاني : مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، صيدا بيروت، ط1. 2003. ص: 194.

[3] – ينظر : الدسوقي ضمن شروح التلخيص، ج2، ص 241 – 243 ، ترتيب وتعليق عبد المتعال الصعيدي، منشورات دار الحكمة، قم، إيران، د. ت، نقلا عن مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب، ص 118 .

[4] – ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم ، ص 416 .

[5] – سورة القصص، الآية 79.

نستنتج أن شرط حدوث التمني على أصله هو عدم الطماعية في وقوعه. وهذا ما يسميه سيرل بالشروط المعدة لإجراء التمني على أصله.

أدواته:

- الكلمة الموضوعة في الأصل للتمني هي ليت، يقول السكاكي:"إنك تقول ليت زيدا يأتيني أو ليتك تحدثني، فتطلب إتيان زيد أو حديث صاحبك في حال لا تتوقعهما ولا لك طماعية في وقوعهما".

وقد يعدل المتكلم عن دلالة التمني غير المتحقق بـــ**ليت**، إلى ما يوحي بتحققه أو الرغبة في تحققه فيستعمل أدوات بديلة نحو: هل، لو.

- هل: نحو "هل لي من شفيع" حيث يعلم أن لا شفيع له حينئذ يمنع حمله عن حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتقائه. والنكتة بالتمني بـــ: **هل** هو إبراز المتمني لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه.

- لو: نحو: لو تأتيني فتحدثني، بالنصب على تقدير: فأن تحدثني فإن النصب قرينة على أن لو ليست على أصلها، إذ لا ينصب المضارع بعدها بالإضمار أن، وإنما يضمر بعد الأشياء الستة، والمناسب ههنا هو التمني.

- لعل: قد يتمنى ب**لعل**، فتعطي حكم **ليت** ،وينصب في جوابه المضارع على إضمار أن نحو: "لعلّي أحج فأزورك"(بالنصب)، لبعد المرجو عن الحصول .

- هلا- ألا- لوما- لولا وهي في الأصل ليست موضوعة للتمني، بل تفيد معنى متولدا عنه هو التنديم في الماضي، والتحضيض في المضارع.

يقول السكاكي: "وكأن الحروف المسماة بحروف التنديم والتخصيص وهي: هلا وألا ولولا ولوما. مأخوذة منها أي هل. لو. مركبة مع لا وما المزيدتين مطلوبا بالتزام التركيب، التنبيه على إلزام. هل ولو معنى التمني فإذا قيل هلا أكرمت زيدا أو ألا بقلب الهاء همزة ،أو لولا أو لوما، كان المعنى :ليتك أكرمت زيدا .

متولدا منه معنى التنديم وإذا قيل :هل تكرم زيدا . أو لولا فكان المعنى ليتك تكرمه. متولدا منه معنى السؤال".[1]

ج. الأمر:

يقول السكاكي:" الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو لترل- وانزل- ونزال وصه على سبيل الاستعلاء"[2] ويرى "أن هذه الصور، والتي من قبيلها، هل هي موضوعة لتستعمل على

[1] - ينظر: المرجع السابق ،ص:427.

[2] - ينظر:المرجع نفسه ،ص: 428

سبيل الاستعلاء،فالأظهر أنها موضوعة لذلك، وهي حقيقة فيه، لتبادر الفهم عند الاستماع نحو:قم، وليقم زيد، إلى جانب الأمر، وتوقّف ما سواه من الدعاء، والالتماس والندب، والإباحة والتهديد، على اعتبار القرائن من خلال هذا القول نلاحظ أن المتكلم هو المسؤول على أن يعبّر ما يقوله عن الأمر، حيث إذا فشل في أن يكون كلامه أمرا، لم يتعدّ أن يكون دعاء أو التماسا ...الخ .

ويشترط في جريان الأمر على أصل معناه، أن يكون الآمر أعلى رتبة من المأمور، يقول السكاكي: "لا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه ومن ثم كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور. استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه فإذا صادفت أصل الاستعمال الشرط المذكور أفادت الوجوب، وإلا لم تفد غير الطلب، ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام ".

الشروط المعدة لفعل الأمر:

- قواعد تداولية وهي ترتبط بوضعية المتخاطبين.
- أن يتوفر شرط الاستعلاء والسلطة: على الآمر أن يكون في مرتبة أعلى من مرتبة المأمور.
- أن يتوفر شرط القدرة: على الآمر أن يكون قادرا على إصدار الأمر.
- الإرادة: إرادة المتكلم في إصدار الأمر.
- الاقتناع أو القصد[1].

وإذا اختل شرط من هذه الشروط المعدة لفعل الأمر عدل عن المعنى الأصلي إلى معان فرعية أبرزها: الدعاء، والالتماس.

– **الدعاء:** في هذه الحالة يختل شرط الاستعلاء، فيصبح المتكلم أدنى رتبة من المخاطب، وبهذا فهو يمثل طلبا "إن استعملت على سبيل التضرع، كقولنا : "اللهم اغفر وارحم" .

– **الالتماس:**" كقولك لمن يساويك رتبة: افعل بدون الاستعلاء والتضرع فإن قيل أي حاجة إلى قوله. بدون الاستعلاء مع قولك لمن يساويك رتبة قلت قد سبق أن الاستعلاء لا يستلزم العلو فيجوز أن يتحقق من المساوي بل من الأدنى أيضا".[2]

– **التعجيز والتحدّي:** ويرتبط هذا الغرض المتضمن في القول بالمخاطب، ومدى قدرته على القيام بالفعل ف"إذا قلت لمن يدّعي أمرا ليس في وسعه، امتنع أن يكون المطلوب بالأمر، حصول ذلك الأمر في

[1] – ينظر: عمر بلخير ،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،ص :174 .

[2] –ينظر:التفتازاني :مختصر السعد ،شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم ،ص:212.

الخارج، بحكمك عليه بامتناعه، وتوجّه إلى مطلوب ممكن الحصول، مثل بيان عجزه، وتولد التعجيز والتحدّي".[1]

– **التهديد:** يربط هذا المقام بين المتكلم والمخاطب، ويتدخل القصد لفهم صيغة الأمر، ويضرب السكاكي مثالا بأنك" إذا قلت لعبد شتم مولاه، وأنك أدبته حق التأديب، أو وعدته على ذلك أبلغ إيعاد: اشتم مولاك، امتنع أن يكون الأمر بالشتم ، والحال ما ذكر ،وتوجه بمعونة قرينة الحال إلى نحو: اعرف لازم الشتم، وولّد معنى التهديد"[2]. نلاحظ أن الأمر هو فعل كلامي أصلي، وأن ماتلاه من الأفعال هي وظائف خطابية، وأغراض تواصلية تجمع بين المتكلم والمخاطب، حيث تختلف هذه الأغراض باختلاف الموقف الذي تتم فيه هذه الأفعال المتضمنة في القول.

د. النهي: وهو :"طلب الكف عن الفعل استعلاء"[3] .ولا يختلف عن الأمر من حيث شروط جريانه على الأصل. وهي:

– يقول السكاكي في هذا :"والنهي محذوّبه حذو الأمر في أن أصل الاستعمال: لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك، أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب" ويكون بصيغة واحدة هي لا الجازمة التي تدخل على الفعل المضارع[4]. والشروط المعدة لإجراء النهي على أصله هي:

– شرط الاستعلاء.

– إلزام المخاطب به.

وإذا اختل أحد الشرطين اللازمين لإجراء النهي على أصله، خرج إلى أغراض تواصلية فرضها السياق كالتهديد، والدعاء، والالتماس

هـــ. النداء: هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي حسّا أو معنى، بأحد الحروف المخصوصة، وهي عند السكاكي :يا، أيا، هيا، أيّ، أ،وا. وتستعمل منها يا، وأيا لنداء البعيد حقيقة يا عبد الله إذا كان بعيدا عنك، أو تقديرا لتبعيد نفسك نحو: يا إله الخلق أو لما هو بمنزلة البعيد من نائم أو ساه تحقيقا، أو بالنسبة إلى جد الأمور الذي ينادى له .

والدلالات التي تتولد من إجراء النداء كالندبة والزجر والتحسر والاستغاثة وغيرها تحمل في وطياتها معنى النداء ،ولا تبدو منقطعة عنه فليس هناك انفصال تام بين هذه الأغراض البديلة وغرض النداء الأصلي .

و. **خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر:** ويكون ذلك عندما يستعمل المتكلم الخبر وهو يقصد به الطلب، ويمثل هذا عدولا عن التعبير بالطلب إلى التعبير بالخبر، وذلك لأغراض منها:

---

[1] –ينظر: السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص:417.

[2] – ينظر: المرجع نفسه ،ص: 429.

[3] – ينظر: التفتازاني : مختصر السعد، شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم،ص:213.

[4] – ينظر: السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص:427.

– **الدعاء والتفاؤل:** يضرب السكاكي مثالا ويعلق عليه وهو أنه إذا قيل لك: "أعاذك الله من الشبهة، وعصمك من الحيرة ووفّقك للتقوى". ليتفاءل بلفظ الماضي بعدّها من الأمور الحاصلة، التي حقها أن يعبّر عنها بأفعال ماضية".[1] فتحمل الصيغة قوتين موجهتين للمتلقي، تؤثران عليه، وهما؛ قوة الدعاء وذلك ما يفتح المجال لتواصل وتوافق مع المخاطب، وقوة التفاؤل وهو ما يبعث المخاطب على الارتياح، وأن يأتي المتكلم ويكسب ثقته .

– **الحرص على وقوع الطلب:** وذلك بأن يناجي المتكلم نفسه، فيخيّل له بأن الأمر حاصل فيعبر عن الطلب بالخبر على اعتبار حصوله في الذهن. يقول السكاكي:"فالطالب من أن يبلغ حرصه فيما يطلب ربما انتنقشت في الخيال صورته، لكثرة ما يناجي به نفسه فيخيل إليه غير الحاصل حاصلا حتى إذا حكم الحس بخلافه غلطة تارة ،واستخرج له محملا آخر."[2]

– **التأدب في الخطاب:** يكون ذلك لاعتبارات خاصة بطرفي العملية التواصلية ،فإذا كان المتكلم أقل درجة من السامع فمن الأفضل أن يكسو خطابه بنوع من الاحترام والتأدب، ومثال ذلك خطاب العبد مولاه:"إذا حوّل عنه الوجه:" ينظر إليّ المولى ساعة"، احترازا عن فعل الأمر والتأدب في مخاطبته، ومراعاة حاله لأن مخاطبته بأسلوبي الأمر والنهي الطلبيين، يثير حفيظة المتلقي مما يؤدي إلى قطع عملية التواصل.

– **تنزيه المتكلم عن الكذب:** ففي جملة:" تأتيني غدا". هذه جملة خبرية لفظا طلبية معنى، وفيها جانب من التأدب والتودد للمخاطب، لتحقيق فعل الإتيان، إذ لو استعمل الحملة الطلبية باستعمال أسلوب الأمر على نحو: "ائتني غدا". فإنها لاتحمل جانبا عاطفيا يؤثر على المتلقي فيجعله يستجيب لفعل الإتيان.
ة ومدى خروجها عن مقتضى الظاهر. وهي أقرب من البلاغة إلى الدرس التداولي لأنها اهتمت بالمعاني المقصودة.

الأفعال الكلامية غير المباشرة في البلاغة العربية:

ميز العلماء العرب بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة ، وهم إن لم يعرفوا المصطلح فإنهم عرفوا ما يدخل فيه ويندرج تحته، وأطلقوا عليه مصطلحات نحو: مقتضى الظاهر، ما خرج عن مقتضى الظاهر.
وقد حدد عبد القاهر الجرجاني مفهوما واضحا للأفعال الكلامية المباشرة في قوله: "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد. وبالانطلاق عن عمرو فقلت :"عمرو منطلق".[3]

[1]–ينظر: المرجع السابق، ص:432.
[2]–ينظر: المرجع نفسه، ص:نفسها.
[3]– ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص:202.

فهذا النوع الأول من الأفعال الكلامية لا يزيد في الدلالة عن المعنى الحرفي الذي تمنحه اللغة، أما الأفعال الكلامية غير المباشرة فهي ما تدل هيئتها التركيبية على معنى لا يقصده المتكلم. فكأنه يقول شيئا ويعني شيئا آخر . ولها نوعان:

نوع لا يستلزمه الحوار: يتمثل في خروج الكلام عن مقتضى الظاهر أو عن أصل المعنى الحقيقي الصريح الذي تحمله العبارة اللغوية، وهي تتمثل في أن ما يقوله المتكلم هو ما يعنيه فعلا.

نوع يستلزمه الحوار: و ولأن هناك علاقة حميمة بين المتكلم والمتلقي، فإن المتلقي يأبى أن يصف المتكلم بالكذب، لأن عبارة تأتيني غدا تحتمل الصدق والكذب، والمتلقي يحقق فعل الإتيان استجابة لرغبة تتريه المخاطب عن الكذب.

ويقدم الدرس الأصولي جهودا بارزة في دراسة المعاني المقامي هو ما يتمثل في الأفعال المقامية التي يتغير بتغير السياق. فيحمل معناها صورة مختلفة عن الصورة السابقة في كل استعمال. ويتمثل في الكناية على اعتبار أنها معنى يحمل المستمع على التأويل للوصول إلى قصد المتكلم ، من خلال ما تتيحه اللغة من إمكانات تعبيرية يقول عبد القاهر الجرجاني: "وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده لكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض (...) أو لا ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى، فإنكفي جميع ذلك لا تعني من مجرد اللفظ. ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف، ومن طويل النجاد أنه طويل القامة، ومن نؤوم الضحى في المرأة، أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها (...) وكذلك تعلم عن قوله: بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى: أنه أراد التردد في أمر البيعة واختلاف العزم في الفعل (...)، وإذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك فلك المعنى إلى معنى آخر"[1]، إن قول عبد القاهر الجرجاني بـــ**المعنى** و**معنى المعنى** ،هو ما يجعل فرقا بين المعنى المراد من اللفظ على سبيل ما تواضع عليه الناطقون باللغة، والمعنى الذي يقصده المتكلم وهو ما يكمن وراء المعنى الأول الذي يستعمل ركيزة للوصول إلى معنى المعنى ، الذي يعد درجة أعمق من الدلالة تحمل المستمع على تأويل معنى العبارة اللغوية اعتمادا على المقام الذي وردت فيه ، والوصول بعدها إلى المعنى الذي يقصده المتكلم من إيراد ذلك المعنى الأول.

[1]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص: 203،202

ويحدد السكاكي الكناية بأنها :"ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كأن تقول:فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة."[1]فالمتكلم حين يستعمل الكناية فإن لكلامه معنيان؛ معنى ظاهري حرفي مستفاد من الدلالة الحرفية المتواضع عليها للعبارة، ومعنى خفيّ وهو ما يسمى بمعنى المتكلم والذي يعبر عن قصد المتكلم من إيراد العبارة اللغوية، و يفرض المقام أهميته على العبارة، لأن دلالة طول النجاد إذا استعملت في مقام المدح ،فإنها لا تعني المعنى ذاته من إذا استعملت في مقام الفخر، الذي يربط بين طول النجاد وطول قامة الفارس حسبما تواضع عليه العرف اللغوي العربي.

وللتعبير الكنائي القدرة على استيعاب البعد التلميحي للخطاب، من خلال أنها تستلزم من المتكلم عملا ذهنيا من جهة، وفتح باب التأويل عند المرسل إليه، وتوظيف البعد الثقافي الذي يقوم على استدلال عكسي، أي الاستدلال بما مضى في الزمان، وشاع بين الناس التعامل وفقه.

[1]-ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص: 512.

الفصل الثاني: التحليل التداولي لروميات أبي فراس الحمداني

المبحث الأول: الإشاريات في الروميات

المبحث الثاني: الحجاج في الروميات

المبحث الثالث: الأفعال الكلامية في الروميات

يهدف التحليل التداولي لروميات أبي فراس الحمداني، إلى استجلاء التواصلية بين المرسل أبي فراس والمرسل إليه؛ سيف الدولة ، أمه، أخيه ، وغيرهم من الحمدانيين كمخاطبين متخيلين، والدمستق الحاكم الرومي كمخاطب فعلي، وعلاقة التواصل هذه ، تقوم على دراسة مدى التأثير والتأثربين الشاعر الذي ينصّب نفسه على رأس العملية التواصلية ، والمخاطبين المختلفين ، من خلال أسلوب استعمال اللغة،وتبيان أثر هذا الاستعمال في علاقته مع السياق الوجودي المتعلق بالمخاطبين ، ومحاولته تحسين العلاقة بالخطاب من خلال المرونة فيه، وعناصر الزمان والمكان .

و استغلال السياق التأويلي الذي يحمل المخاطب على استنتاج قصد المتكلم من خلال ما يمكن أن يتضمنه القول ، ومدى قدرة الشاعر على إقناع متلقيه باستغلال الاعتقادات المشركة والمتقاسمة بين أطراف العملية التواصلية.

وكذا السياق الاجتماعي الذي يعمل فيه الشاعر على توجيه الخطاب للتعبير عن قصده، الذي يهدف من ورائه إلى توجيه المتلقي إلى أنجاز فعل ؛ لمنفعة خاصة بالشاعر، أو لمنفعة مشتركة بينهما.

وتدفعننا مختلف المعطيات السابقة عدم الاعتماد على قصيدة واحدة ، حيث لا يمكن استجلاء خصوصية استعمال الضمائر إلا بعرض استعمالاتها في مختلف القصائد، وتنوع تناول الحديث عن عناصر الزمان والمكان لاعتبارات سياقية تدعو إلى إيراد الحديث عن الزمان والمكان في الخطاب. وتنوع الحجج المستعملة واختلاف طاقاتها الحجاجية ، من خلال تنوع الآليات اللغوية والبلاغية والتدلولية.وعلى مستوى آخر لا نجد في القصيدة الواحدة أفعالا كلامية متنوعة ، لأن سياق الخطاب لا يتغير في نفس القصيدة، من جهة ، وثراء القصائد بمختلف السياقات التي تحدو بنا نحو نتائج تساعد على الإجابة على إشكال الدراسة.

المبحث الأول: الإشاريات في الروميات

1. الإشاريات الشخصية

1.1. ضمائر الحضور

أ. ضمائر المتكلم

ب. ضمائر المخاطب

ج. أسماء الإشارة

2.1. ضمائر الغياب

2. الإشاريات المكانية

3. الإشاريات الزمانية

المبحث الأول: الإشاريات

تعد الإشاريات االدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي ، وهي تعتتمد أساسا على السياق الوجودي للعلاقات بين المتخاطبين ، وحاولة الشاعر إكساب خطابه المرونة ، وذلك بغرض تدعيم العلاقة بينه وبين مخاطبه، وفسح المجال أمام هذا المخاطب للتعاطف معه.

ويستعمل المتكلم في هذه الإستراتيجية **مبدأ التأدب والتخلق**؛ وذلك إما مراعاة لعلاقته الحسنة مع المرسل إليه، أو بقصد تأسيسها معه بالخطاب.

وقبل التفصيل في أنواع الإشاريات وتوزيعها وتنويعها ،ارتأينا البحث عن معالم مبدأ التأدب في المدونة ، حيث أننا نلاحظ أنه كان حاضرا بقوة ؛لأن أبا فراس كان يقصد من خلال روملياته التقرب من أهله ، وتقليص المسافة بينه وبينهم بوصفهم مخاطبين فعليين ، خاصة إذا كان شخصية لها ثقلها السياسي كسيف الدولة الحمداني، أو شخصية لها وزن عاطفي لدى الشاعر كأمه أو أخيه.

ففي خطابه لسيف الدولة نجده يخاطبه بلقبه في أغلب القصائد، وهو يعد المخاطب الأول في الروميات

وأول ما يطالعنا هو العلاقة المتميزة بين الشاعر وسيف الدولة، وذلك التقدير و الإكبار الذي يحمله له، وصورة المثل الأعلى التي بقيت مسيطرة على فكر الشاعر، رغم الضغط النفسي الذي كان يعانيه في قصائده، وهو يعود إلى معاناته من عدم إنصات ابن عمه له عن طريق قبوله افتداءه، ورغم نبرة العتاب بعنف في الروميات إلا أن خطابه لسيف الدولة لم يخرج عن إطار ما يسميه الفكر المعاصر بمبدأ التأدب وهو أن الشاعر لم يتوجه في نداءاته لسيف الدولة باسمه "علي" أو بلقبه "سيف الدولة" بل نجده يتقرّب يناديه بألقاب وهو ما يبيّن لنا تضامنه مع المخاطب في مختلف السياقات، لما في استدعاء استعمال الطرفين اللقب من تقوية للتواصل والترابط والتماسك من خلال استغلال الإمكانات التي تتيحها اللغة ، ومن خلال تعبيرها عن التقدير والاحترام بالخطاب، بهذا تعدّ استراتيجية التضامن شاهدة على كفاءة الشاعر التداولية، التي تعمل على استثمار الكفاءة اللغوية في مستواها الدلالي ، بغرض كسب سيف الدولة من خلال المرونة معه بالخطاب والتودد إليه باستعمال ألقاب نحو: سيف الدين، ياجبل، سيف الهدى، قريع العرب، الملك، أيا سيدا. في قوله من قصائد متفرقة.

ففي قوله: [من المتقارب]

أسيف الهدى قريع العرب علام الجفاء؟ وفيم الغضب؟[1]

[1]-ينظر: أبو فراس الحمداني : الديوان،ص:28.

فتلقيبه له بسيف الهدى يعني أنه يضعه في المكانة المثالية التي تجعله رمزا للهدى ، والشخص المهدي بهذا الطرح يستبعد منه فعل مظلمة، هي الاستماع للحسّاد والأشخاص الذين لهم مصلحة في إبعاد أبي فراس عن البلاط الحمداني ، والشاعر إذ يتقرب إليه بهذا اللقب يريد أن يعيد اكتساب ثقة سيف الدولة فيه ، والتي اهتزت حين سمع بأن الشاعر ينوي مكالمة صاحب خراسان وغيره من أصحاب البلدان لأمر الفداء .ويعزز هذا التضامن بمخاطبته بقريع العرب ، وهو يعني أن سيف الدولة هو السيد العربي الذي يقصد للأمور العظيمة ،والنائبات، فكيف يتجاوزه لمن هو أدنى منه مترلة ويشكو إليه أمر الفداء.فلهذين اللقبين قيمة تداولية تتمثل في رغبة الشاعر في إصلاح العلاقة بينه وبين سيف الدولة.من خلال تموقعهما في مطلع القصيدة.

وفي قوله: [من البسيط]

يبكي الرجال وسيف الدين مبتسم حتى عن ابنك تعطى الصبر يا جبل[1]

.يطلق عليه في هذا البيت لقب سيف الدين وذلك لان السياق سياق تعزية ، والمعروف أن الطبيعة الإنسانية تكون اقرب إلى الدين في المحن لذ=لك نجد الشاعر حين يصف سيف الدولة بأنه سيف الدين وذلك يحتّم عليه الرضا بقضاء الله وقدره في هذا الموقف.

وفي قوله: [من الطويل]

بقيت ابن عبد الله تحمى من الردى ويفديك منا سيّد بعد سيّد 2

وفي استعمال الكنية وهي باعتبار الأصل بقوله ابن عبد الله حيث عبد الله هو والد سيف الدولة ، يعمل أبو فراس على استدعاء علاقة تساعده على كسب تعاطف سيف الدولة وهي في هذا المقام علاقة القربى ، والسبب في التركيز على نوعية القرابة وهذا بسبب أن القصيدة كتبت بسبب وجود قريب ملك الروم في الأسر لدى سيف الدولة ، وباعتبار أبي فراس قريب سيف الدولة فإنه يطلب إليه مفاداته به.

إضافة إلى ما تقدّمه اللغة من إمكانات مجازية استغلّها الشاعر لإبراز قصوده كقوله : [من الطويل]

فيا ملبسي النعمى التي جلّ قدرها لقد أخلقت تلك الثياب فجدّد[3]

فهو يدّعي أن سيف الدولة هو ملبسه النعمة التي يعيش فيها في حين أن ملبس النعمة الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وينسب لسيف الدولة هذا الفعل على سبيل المجاز وإقرارا بأنه رعاه طيلة حياته فمن المستبعد أن يتخلّى عنه في محنة الأسر.

---

[1] -ينظر : المصدر نفسه ،ص :205.

[2] -ينظر : المصدر السابق ،ص86.

[3] -ينظر : المصدر نفسه ، ص: 85.

وفي قوله: [من الطويل]

وإنك للمولى الذي بك أقتدي وإنّك للنجم الذي بك أهتدي [1]

فمخاطبته له بالمولى دليل على أنه يقدّمه عليه، ويعطيه الولاء ، ومخاطبته له بالنجم ، دليل على أنه يمنحه المكانة المرموقة بالنسبة إليه. إذ يحتل مكانة كبيرة واحتراما جما لدى الشاعر وعلو مكانته لديه، ويدل أيضا على نظرة الإكبار تجاه الذي احتضنه طفلا ورباه على أخلاق الفروسية والإمارة وقد ينطبق هذا على المناديات التي لا تنادي بالاسم مباشرة، وذلك بهدف التعظيم والإكبار وذلك عائد إلى الاحترام الذي يحمله أبو فراس لابن عمه ، إضافة إلى أنه عاش في البلاط زمنا طويلا ، اكتسب منه أساسيات التعامل مع الحكام ، لكن لو لم يكن يحمل له ودّا حقيقيا ، واعترافا بجميل التربية والتنشئة والرعاية ، لما خاطبه بنبرة تأدبية ، رغم شعوره

الداخلي بإجحافه في حقه.ونجد أنه في كل خطاباته كان يتودّد لمخاطبيه من خلال إظهار الود والاهتمام بهم، ونجده يطبّق قاعدة التعفف التي تقتضي بأن لا يفرض نفسه على المخاطب، فهو يمنح مساحات خطابية ، يعطي فيها للمخاطب الحق بقبول أو رفض ما يسمع دون ممارسة ضغط عليه.وهو ما يعني قاعدة التشكيك التي مقتضاها جعل المخاطب يختار بنفسه.

1. الإشاريات الشخصية:

من خلال تأمّل الروميات نلاحظ أنها تحفل بعنصر الذاتية ،فالشاعر انطلق من ذاته ،وذلك من خلال تعيين نفسه على رأس العملية التواصلية، وعبّر عن دواخل نفسه الأسيرة، ومختلف العواطف التي تجتاحها.

1.1. ضمائر الحضور: وتتمثل في ضمائر المتكلم والمخاطب، والعلة في تسميتها بضمائر الحضور، هي وجود صاحبهما وقت الكلام، "فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره"[2]، وهذا الحضور يمكن أن يكون فعليا، أي أن المتكلم والمخاطب حاضران في سياق الموقف، أو أن المتكلم يقوم باستحضار المخاطب وقت الكلام، فيخاطبه وكأنه أمامه، وبهذا أصبحت ضمائر حضور. وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، ضمائر المتكلم، ضمائر المخاطب، وأسماء الإشارة.

وعند القيام بمهمة تحليل مختلف طرائق استعمال الضمائر في الروميات، ننطلق من أن أبا فراس كتب كل القصائد الأسرية، وهو يعاني ظلمات الأسر، الذي جعله يخوض تجربة مريرة ملؤها لوعة الاشتياق للأهل؛ مثل أمه وابن عمه أمير الدولة الحمدانية سيف الدولة، وأصدقائه، في أسلوب دعمه

---

[1]-ينظر : المصدر نفسه ، ص :نفسها.

[2]-ينظر: تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 111.

بالعتاب والحسرة، وتذكّر أيامه الخالية التي عاشها أميرا فارسا وغازيا منتصرا. لهذا نجد الاستحضار أهم خاصية يمكن أن نسندها للروميات، فأبو فراس استحضر الذوات في ذهنه وكأنّه يجالسها، فقد سمحت اللغة للشاعر بامتلاكها من خلال اكتساب السلطة بالخطاب، واستعمالها وتضمين هذا الاستعمال لقصوده المختلفة. وهذا ما جعله يتضامن مع متلقيه المقصود بالخطاب، عن طريق إشراكه في موضوع الحديث، من خلال التوجه إليه ومخاطبته بالعتاب، واللوم، أو الشوق و الشكوى.

أ. ضمائر المتكلم:

أ.1. ضمير المتكلم المفرد:

- منفصلا: نلاحظ أن هذا الضمير ارتبط بالفخر الشخصي خاصة نحو قوله: [من الطويل]

أنـــا الحـــار لا زادي بطـــيء عليهـــم ولا دون مـــالي للحـــوادث بـــاب[1]

وقوله: : [من البسيط]

وأنـــا الـــذي مـــلأ البسيطـــة كلـــها نـــاري وطنّـــب في السمـــاء دخاني[2]

وفي استعمالاته الأخرى للضمير المنفصل (أنا) نراه يتسم بالحيرة إني عقبت صدمة فراق الخلان وغدرهم له بعد أسره.

كقوله: : [من الطويل]

ومـــا أنـــا إلا بيـــن أمـــر وضـــده يجـــدد لـــي فـــي كـــل يـــوم مجـــدد[3]

فهو يعبر عن انفراد في التقلب بين الأمور و تغير وجهات نظره في كل يوم عن اليوم الذي يسبقه كما قد استعمله في وصف حاله في المقدمة الغزلية التي أرسل بها إلى سيف الدولة: : [من الطويل]

بـــلى أنـــا مشتـــاق و عنـــدي لوعـــة ولكـــن مثلـــي لا يـــذاع لـــه ســـرّ[4]

الشاعر في هذه الأبيات كما يرى عبد القاهر الجرجاني يقصد إلى أن:" يكون الفعل فعلا ينصّ على واحد، فتجعله له وتزعم أنّه فاعله دون واحد آخر، أو دون كلّ أحد ومثال ذلك أن تقول: أنا كتبت في

---

[1]- ينظر:أبو فراس الحمداني: الديوان، ص: 25.

[2]- ينظر: المصدر السابق، ص: 304.

[3] - ينظر : المصدر نفسه ،ص: 83.

[4]- ينظر: المصدر نفسه ، ص: 157.

[4] -ينظر:عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني ،ص:99.

معنى فلان وأنا شفعت في بابه، تريد أن تدّعي الانفراد بذلك والاستبداد به، وتزيل الاشتباه فيه، وتردّ على من زعم أن ذلك كان من غيرك أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت".[1]

فأبو فراس يريد أن يوقع في نفس متلقّيه، أنّه هو الوحيد الذي يهبّ إلى نجدة القبائل القريبة من الحمدانيين، إذ يركّز على إثبات الفعل لنفسه، وكذلك فيما يخص الغزو والحروب، نجده يقصد إلى أنّه أهم فارس، يمارس الغزو وتبعاته، كالمبيت في العراء مترقّبا. حتّى في تبيان لوعته واشتياقه لأهله، أو حيرته في ليالي الأسر، نجد أنّه يقصر الفعل على نفسه، وأن لا أحد عانى مثل معاناته المريرة في نظره، هذا كلّه ليحمل المتلقي المقصود بالخطاب على التضامن معه ومؤازرته، في قالب كانت الأنا حاضرة فيه بقوة، وذلك لاهتمامه وتركيزه على التعبير عن الذات المتكلمة. وسنقوم برصد مختلف استعمالاته؛ من حيث الانفصال والاتصال ومختلف العلاقات النحوية التي يقوم عليها هذا الاستعمال، ومدى تعبيرها وتجسيدها لقصد الشاعر.

– متصلا:

لابد من الإشارة إلى أن ضمير المتكلم المتصل الذي يحيل على ذات الشاعر؛ قد ورد حينا متصلا مع الفعل الماضي، أو مع الفعل المضارع، ليحمل وظيفة الفاعلية، وحينا آخر ارتبط بالفعل الذي فاعله مستتر ليحمل وظيفة المفعولية.

ويعد التعبير بضمير المتكلم أهم ميزة أسلوبية في استعمال الضمائر في الروميات. ولابد أن نلفت الانتباه إلى أن استعماله جاء على وجهين:

1- حاملا معنى المتكلم

2- يمزج معنى التكلم بمعنى الخطاب فيجمع بين ضمير المتكلم وضمير الخطاب.

ولاستجلاء المهمات المنوطة بضمير المتكلم المتصل نورد هذا المقطع : [من الطويل]

إذا الليـــل أضواني بسطـــت يـــد الهـــوى وأذللـــت دمـــعا من خلائقـــه الكـــبر[2]
تكـــاد تضـــيء النـــار بيـــن جـــوانحـــي إذا هـــي أذكتـــها الصبابـــة والفكـــر
معللتي بالوصل، والموت دونه، إذا مت ظمآنا فلا نزل القطـــــــــــر
حفظت وضيعت المودة بيننا وأحسن، من بعض الوفاء لك، العـــــذر

فالشاعر يبدأ كلامه، بإسناد الأقوال إلى نفسه، فتحمل معنى التكلم، فيكون بداية مفعولا به للّيل، ثم يحمل وظيفة الفاعلية حين يتكلّم عن الدمع؛ فهو في كلتا الحالين يعاني من وطأة الليل، ومن عبء الدمع، ثم

[2] – ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان ، ص: 157،158.

يسند الفعل للمخاطب على صيغة اسم الفاعل، لكن فعل المخاطب سلبي لأن المخاطب حتى إذا رأى الشاعر يموت لن يصله ، فهو يركّز على المفارقة بين الإيجابية للشاعر والسلبية لمخاطبه، ويختمها بتقاسم الأدوار بينهما.

وفي قوله: [من الوافر]

فلا بالشام لذّ بفيّ شرب ولا في الأسر رقّ عليّ قلـــب [1]

فلا تحمل على قلب جريح به لـــحوادث الأيـــّام نـــدب

أمثلي تقبل الأقـــوال فيـــه؟ ومثـــلك يستمر عليه كذب ؟

جناني ما علمت ولي لسان يقدّ الدرع والإنسان عـــضب

وزندي وهو زندك ،ليس يكبو وناري وهي نارك ليس تخـــبو

وفرعي فرعك السامي المعلّى وأصلي أصلك الزاكي وحسب

فهو يصرّ على العلاقة المشتركة بينه وبين سيف الدولة، وذلك من خلال كونه يشاركه في المعارك جنبا إلى جنب ، ويغزو معه، إضافة إلى اشتراكهما في الأصل الحمداني، وكذا وجود علاقة بين أبنائهم.

ويستعمل الشاعر ضمير المتكلم المفرد في المناظرة التي جرت على المستوى الشخصي بينه وبين الدمستق. فرغم أنه أسير لدى الدمستق إلا أنه يساوي نفسه به، لكن علينا أن ننطلق من أن الشاعر لا ينوي التضامن مع هذا المخاطب، ويكتفي ببناء علاقة بالخطاب ولا يحرص على المواصلة فيها بعيدا بعد انتهاء المساحة الخطابية، لأنه أولا وأخيرا يخاطب عدوّه، وحتى السياق وهو المناظرة، لا يسمح له بالتضامن مع هذا المخاطب، ففي قوله: : [من الوافر]

وإني للصبور على الرزايا ولكن الكلام على الكـــلام[2]

جروح لا يزلن يردن مني على جرح قريب العهد دام

تأملني الدمستق، إذ رآني فأبصر صيغة الليث الـــهمام

أ تنكرني كأنك لست تدري بأني ذلك البطل، المـــــحامي

[1]-ينظر : المصدر السابق ، ص:31.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص:275.

فنلاحظ أنه يفخر بصبره ويشبه نفسه بالليث، ويواصل فخره بنفسه رغم المحنة التي يمر بها وهو أسير عند الروم، إذ يقول:[من الوافر]

أبيت مبرأ مـــن كـــل عيب وأصبح سالمـــا من كل ذام[1]
ومن لقي الذي لاقيت هانت عليه موارد المـــوت الزؤام
ثنـــاء طيب، لا خلف فيـــه وآثـــار كآثـــار الغمـــام
وعلم فـــوارس الحيّين أني قليل من يقوم لهم مقامـــي

تطغى في هذه الأبيات لهجة التفرد ، فهو يبرئ نفسه من عيب، ولا يساوره شعور في هذه القصيدة بأنه أسير ذليل ، ورغم أن الأسر محنة من جهة ، إلا أنه كسب بها الثناء ، لأنه زاد من عمق تجربته بالحياة ، فأصبح مثالا للشجاعة إذ لا يوجد دائما الفارس الذي يضحّي بحياته ، ومن ثمّ بحريته لأجل سلامة أرض قومه.

أ.2. ضمير المتكلم الجمع:

نرى أنه إذا ورد منفصلا فإنه يحمل قيمة تداولية تتمثل في اعتماده أساسا على مبدأ المشاركة بين طرفي العملية التواصلية، لأنه يحمل مشاركة بين التكلم والمخاطب قبل الكلام ، وهذا ما يسهّل المهمة على الشاعر في استدعائه للتعبير على التضامن مع المخاطب وتوطيد العلاقة بينهما بالخطاب .فدلالة " نحن في: نحن نسارع للخيرات نجد أنها لفظة واحدة في تكوينها، وصيغة مستقلة بنفسها، في أداء الغرض منها، وهو التكلم مع الدلالة على الجمع، أو على تعظيم المفرد، و لم يتصل آخرها اتصالا مباشرا بما يساعدها على ذلك الغرض "[2] فالضمير"نحن"من أصناف تلك الإشاريات الشخصية للدلالة على المتكلم الحاضر، انطلاقا من أنه" يسمى ضمير المتكلم والمخاطب،: ضمير حضور، لأن صاحبه لابد أن يكون حاضرا وقت النطق به "[3]، ولذلك يعد استعمال المرسل للضمير نحن دليل على استحضار الطرف الآخرحتى و إن كان غائبا عن عينه. وهو ما يعبّر عن قصد المتكلم من الخطاب.

[1] – ينظر: المصدر السابق ،ص: 276.
[2] –ينظر:عباس حسن :النحو الوافي ،ج1،ص:212.
[3] – ينظر:المرجع نفسه، ج1،ص : 197.

ولا يختلف استعمال الضمير المنفصل (نحن) عن استعمال (أنا) في الفخر وان كان يزيد عليه دلالة وقوة أو لنقل مبالغة في الوصف، فنراه حين يستعمله يبين من خلاله أهميته الكبرى لقومه بحيث أصبح من الأهمية كالساعد الذي يحمل السيف ويحارب به؛ يقول:[من الطويل]

بني عمنـــا نحـــن الســـواعـــد و الظبـــي ويـــوشـــك يـــومـــا أن يكـــون ضـــراب[1]

وقد استعمله في محل الفخر بقومه الحمدانيين، فكان هذا الضمير الأداة الجامعة بينه وبينهم لتدل على بقاء الود أرضه وعدم تغير ما في النفوس إذ يقول: : [من الطويل]

ونحـــن أنـــاس,لا تـــوســـط عنـــدنـــا لنا الصـــدر دون العـــالمـــين أو القـــبر[2]

أما إذا كان متصلا فنجد أن أبا فراس استعمل ضمير المتكلم للجماعة، مع الدمستق حين استفزّه في مناظرة بينهما إذ قال له:"إنما أنتم كتاب لا تعرفون الحرب" فرد عليه أبو فراس قائلا: "نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام؟" من خلال هذه المقولة نستنتج أن أبا فراس لا بد عليه أن يتكلم بصيغة الجمع لأنه سيتكلم بلسان الحمدانيين وبلسان الدولة الإسلامية –آنذاك- لذلك نجد نبرة خطابية قوية إذ يقول: [من الطويل]

أتزعم يا ضخم اللغاديد، أننا ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا؟ [3]
فويلك من للحرب إن لم نكن لها ومن ذا الذي يمسي ويضحي لها تربا
ومن ذا يلف الجيش من جنباته؟ ومن ذا يقود الشم أو يصدم القلبا؟
وويلك من أدرى أخاك بمرعش وجلل ضربا وجه والدك العضبا؟
وويلك من خلى ابن أختك موثقا وخلاك باللقان تبتدر الشعبا؟
أتـــوعـــدنـــا بـــالحـــرب حـــتى كـــأننـــا وإياك لـــم يعصـــب بهـــا قلبنـــا عصبا؟
لقـــد جمعتنـــا الحرب من قبـــل هـــذه فكنـــا بها أســـدا وكنـــت بهـــا كـــلبـــا

فالنظرة المتعالية على الدمستق والشعور بالفوقية والتميز عليه واضحة، وكلّلها ضمير المتكلم للجمع؛ إذ عزز موقف الشاعر بإحساسه حين يخاطب الدمستق أنه يخاطبه من خلال الجماعة لا من خلال شخصه. وهذا طبعا يعود إلى طبيعة الموضوع الذي لا يمس الجانب الشخصي لدى الشاعر، بل يتعلق بانتمائه،إذ

[1] – ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان، ص: 26.
[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص:161.
[3] – ينظر: المصدر نفسه ص:243.

شكّك الدمستق في شجاعة العرب وفروسيتهم ووضعهم بأنهم كتاب فقط. وهي صفة لم توجد في أي وقت عند العرب ما لم تسبقها قوة الروح القتالية لديهم.

ب. ضمائر المخاطب:

نلاحظ أن الشاعر عندما يخاطب سيف الدولة يمنحه تقديما وإبرازا على نفسه، وهذا ليضمن وجود نفع من الخطاب، وهو ما يسمى **بمبدأ التخلق** الذي "يدعو المتكلم إلى الخروج عن الأغراض والغناء (بفتح الغين) عن الأعواض، فقد لزم أن يكون الباعث عليه تحقيق المزيد من الإنسانية للمتكلم، إذ لا إنسانية بدون أن يزيد اعتبار الغير على اعتبار الذات، حيث لا تصح نسبتها إلى المتكلم حتى يزيد أنس المخاطب به، ولا يحصل للمخاطب هذا الأنس المطلوب، حتى يشعر بأن المتكلم قد تخلص من أقواله وأفعاله مما يقصر نفعه على نفسه ولا يتعداه إلى غيره علما بأنه لاشيء أقصر نفعا من الأغراض والأعواض".[1] ولاستجلاء كيفية استعماله نعرض تناوله منحيث الانفصال والاتصال، والعلاقات النحوية القائمة عليها.

فمن ناحية الانفصال لا يقف استعمال ضمير المخاطب في السياق عند الإحالة على المرجع فقط، بل يتجاوز ذلك ليصبح دليلا على غرض تداولي، وهو أن المشاركين في الخطاب يعتبرون أنفسهم ذوي علاقة حميمة من الناحية الاجتماعية ، ويمكن تعريف العلاقة الحميمة بأنها التعابير عن:" القيم المشتركة، والقرابة، والجنس، والجنسية، والموقع الوظيفي، وتكرار التواصل"[2]، وفي الروميات، يعد من الأساسيات القول بأن أبا فراس كانت تجمعه علاقة قرابة بالمخاطبين في قصائده، إذ يجتمع معهم في الأصل المشترك، وحتى في الموقع الوظيفي وهو ما يتعلق بقدرته على قيادة المعارك، وتحمل المسؤولية وتولّي المراكز الحسّاسة.

وقد ورد ضمير المخاطب المنفصل في معنى المدح الذي كان متضمنا في سياقات الاستعطاف كقوله: [من الوافر]

وأنـــت ، وأنت دافـــع كـــل خـــطـــب مـــع الخـــطـــب المـــلـــم عـــلي خـــطب [3]

و قوله: [من المتقارب]

[1]- ينظر : طه عبد الرحمان : اللسان والميزان،ص:224.

[2]-ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ،ص: 288.

[3]- ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان ، ص:31.

وأنــت الكــريــم وأنــت العــليــم وأنــت العــطــوف وأنــت الحـــدب [1]

فهو بمدحه للآخر(سيف الدولة) بصنعه في صورة مثالية حيث أنه دافع الخطوب والمتصف بالصفات النبيلة ف:"تقديم المحدّث عنه ، يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له، (..) ومما يحسن ذلك ويكثر الوعد والضمان كقول الرجل: أنا أعطيك، أنا أكفيك، أنا أقوم بهذا الأمر. وذلك من شأن من يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به، إنه من أحوج شيء إلى التأكيد. وكذلك يكثر في المدح كقولك: أنت تعطي الجزيل، أنت تقرى في المحل أنت تجود حين لا يجود أحد"[2]، فالشاعر يتقرب من سيف الدولة من خلال قصره لصفات نبيلة عليه، هي: الكرم، والعلم بدقائق الأمور، والعطف، وتحقيق هذه الصفات فيه، ويتعجب من رد فعله وعدم الإسراع في دفع الفداء، لذلك نجده يربطها بسياق العتاب العنيف وذلك ليحقق التكافؤ بين

بينة العتاب و بينة المدح؛ اللتين يظهر أنهما متناقضتان، لكنهما تتكاملان لتحققا غاية الشاعر، وهي أنه رغم تأنيبه لسيف الدولة وعتبه عليه، إلا أنه يبقيه في إطار الصورة المثالية التي ارتسمت في شخصيته منذ صغره، وهذا يحمل قيمة تداولية تتمثل في تقديم المخاطب بالمدح، والتقرب إليه قبل الاهتمام بعرض ما تعانيه ذات الشاعر.حيث لا تفارقه هذه الصورة أبدا بل هي التي تفرض عليه المواصلة في بنيه المدح إذ يقول: [من الطويل]

وإنك للمــولى، الــذي بــك أقتــدي وإنك للنــجــم، الــذي بــك أهتــدي[3]
وأنــت الــذي بلغــتني كــل رتــبــة مشــيت إليهــا فــوق أعنــاق حسّـــدي
فيــا ملبســي النعمــى التــي جــل قــدرها لقــد أخــلقــت تــلك الثيــاب فجــدد
ألــم تــر أنــي فيــك صــافحــت حــدها وفيــك شــربت المــوت غــير مصــرّد؟

فهو يسند القيام بالأفعال لسيف الدولة من خلال جعله أعلى رتبة منه، من ناحية كونه قدوة ومثالا يحتذى، ومن ناحية كونه مهما إلى درجة تشبيهه بالنجم الذي يهتدى به في الصحراء، ويشيد بفضله عليه وتغليبه على حسّاده، وهو يشير إلى مبدأ تداولي هام يتمثل في مبدأ الإخلاص" الذي يقتضي من المتكلم أن يقدم حقوق المخاطب على حقوقه وليس في هذا التقديم حط من مكانة المتكلم ولا حط لحقوقه فلا يحط هذا التقديم من قدر المتكلم"[4]، إذ نلاحظ أن أبا فراس أقبل على مخاطبه بالمدح الذي يعد في هذا السياق تقديما لحق المخاطب ولو من جانب ضيق، يتمثل في أحقية سيف الدولة بالمدح والتقديم وهو صاحب الفضل على أبي فراس، من خلال رعايته له والاهتمام به دونا عن بني عمومته الحمدانيين.

---

[1]- ينظر: المصدر السابق ، ص:28.

[2]-ينظر: عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز في علم المعاني ،ص:102،103.

[3]- ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان ، ص: 85.

[4]-ينظر : طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص:252.

وفي وروده متصلا نلاحظ أنه أول ما ورد استعمال ضمير المخاطب المتصل كان يأتي بعد ذكر الشاعر لنفسه ومدحها بالاعتداد بها، ثم يأتي ذكر هذا "الآخر" الذي لم ينل من عزة هذا الأسير، حتى وهو مأسور عنده، لنتأمل القول: [من الوافر]

أتنكرني كأنك لست تدري بأني ذلك البطل المحامي 1
وأني إذ نزلت على دلوك، تركتك غير متصل النظام
و لما أن عقدت صليب رأيي تحلل عقد رأيك في المقام
وكنت ترى الأناة، وتدعيها، فأعجلك الطعان عن الكلام
وبت مؤرقا، من غير سقم، حمى جفنيك طيب النوم حام
ولا أرضى الفتى ما لم يكمل، برأي الكهل، إقدام الغلام

فأبو فراس إذا نزل إلى الحرب مع الدمستق، تركه على المفعولية وكأن "الآخر" سلبي لا يفعل شيئا.

ورغم تكاثر الأفعال التي يقوم بها الأخر مثل: وبت مؤرقا، تحلل عقد رأيك، وكنت ترى الأناة، وتدعيها، لكن بنسبتها للماضي تصبح غير مجدية في الوقت الحالي لأنها لم تكن أفعال إنجاز بل اكتفت، بالتقرير، وهي على كثرتها إلا أنه لا تأثير لها على الشاعر.

ومن ناحية أخرى نجد الاستعمال الذي لايرجو منه الشاعر المحافظة على العلاقة بمخاطبه ، لأنه آسره ، ولورود القصائد الموجّهة إليه في سياق المناظرة ، الذي يفرض تيقّظا في دفاع كل طرف عن أقواله وإثبات نقاط القوة ، والتي تظهر باللهجة الجريئة أمام المخاطب والعمل على استصغاره.يقول: [من الوافر]

وكنت ترى الأناة وتدّعيها فأعجلك الطعان عن الكلام2
وبث مؤرقا، من كل سقم، حمى جفنيك طيب النوم حام

فهذه نظرة مقابلة لنظرة الفخر بالذات، في مقابل إنكار وجود الآخر وإنكار جدوى أفعاله وقيمتها، وفي نص آخر نجده يخاطب الآخر بـــ "أنت" المتصلة بتعبير اتّسم بالفوقية وعزة النفس. وهو لا يكتفي أن يذكر إيقاع قوم الشاعر بهذا العدو، بل يضيف إليه أخاه وأباه وابن أخته في قوله: [من الطويل]

وويلك من أردى أخاك بمرعش وجلل ضربا وجه والدك العضبا؟3
وويلك من خلى ابن أختك موثقا وخلاك باللقان تبتدر الشعبا؟
أتوعدنا بالحرب حتى كأننا وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا؟
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسدا وكنت بها كلبا

---

[1]- ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان ، ص 275.
[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص 275.
[3]- ينظر: المصدر نفسه ، ص 42.

فهو يلجأإلى سلسلة الخطابات المتوالية بالأسئلة، ويساعده ضمير المخاطب للجمع باستغلال دلالتها على الجماعة ومخاطبته بالمفرد ، مما يعزّز موقفه أمامه ، ذلك باستحضاره لقومه أثناء الخطاب، واستمداد القوة من هذا الاستحضار، حيث يحاول أن لا يترك مجالا للدمستق للكلام.

إذ يذكر له أقاربه من الروم وإيقاع قوم الشاعر بهم.في قوله:[من الطويل]

فسل بردسا عنا أخاك وصهره، وسل آل برداليس أعظمكم خطبا[1]
وسل قرقواسا والشميشق صهره، وسل سبطه البطريق أثبتكم قلبا
وسل صيدكم آل الملاين إننا نهبنا ببيض الهند عزهم نهبا
وسل آل بهرام وآل بلنطس، وسل آل منوال الجحاجحة الغلبا
وسل بالبرطسيس العساكر كلها وسل بالمنسطرياطس الروم والعربا
ألم تفنهم قتلا وأسرا سيوفنا وأسد الشرى الملأى وإن جمدت رعبا

وفي استعمال آخرنجده يطرح تساؤلا يجعل الدمستق مفعولا به، إذا المعلوم أن بعد المعلومات السابقة أن الدمستق وقومه قد هزموا بحد السيف وليس بأقلام العرب في قوله:[من الطويل]

بأقلامنا أجحرت أم بسيوفنا؟ وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا؟2
تركناك في بطن الفلاة تجوبها كما انتفق اليربوع يلتثم التربا
تفاخرنا بالطعن والضرب في الوغى لقد أوسعتك النفس يابن استها كذبا

وهو إذ يعمم الصورة السلبية على الروم عامة يختم القصيدة بالخطاب بالجمع في قوله: :[من الطويل]

وجدت أباك العلج لما خبرته أقلكم خيرا، وأكثركم عجبا

فهو يأخذ صورة أبي الدمستق ويتدنى به إلى أسفل درك إذ يجعله أقل الروم خيرا وأكثرهم عجبا. وإذ هو أبو الدمستق فإنه يورث هذه الصفة لابنه ليكون في أسفل درك في المجتمع الرومي.

ب.2- ضمير المخاطب للجماعة: أما في استعماله لضمير المخاطب للجماعة (أنتم)، نجد دلالة على تواطؤ كل الحمدانيين في عدم افتدائه إذ يقارنهم بالروم، وقد سبق معنا أن سيف الدولة كان يستدفع

[1]- ينظر:المصدر السابق ، ص:43.

[2]- ينظر: أبو فراس الحمداني : الديوان، ص نفسها .

بالأسرى الروم الذين عنده خطر هجومات الجيش الروماني، و لم تكن المسألة كما رآها أبو فراس من عين ذاتية شخصية ضيقة .في قوله:[من الطويل]

أأضحوا على أسراهم بي عودا وأنتم على أسراكم غير عود؟[1]

إنه يقارن بين الروم والعرب، في الاهتمام بأمر الأسرى ، حيث يستغرب إهمال أهله له في مقابل اهتمام الروم بأسيرهم .

وفي قوله: :[من الطويل]

بني عمنا ما يصنع السيف في الوغى إذا فلّ منه مضرب وذباب؟[2]

بني عمنا لا تنكروا الحق إننا شداد على غير الهوان صلاب

بني عمنا نحن السواعد والظبى ويوشك يوما أن يكون ضراب

وأن رجالا ما ابنكم كابن أختهم حريّون أن يقضى لهم ويهابوا

فعن أي عذر إن دعوا ودعيتم أبيتم بني أعمامنا وأجابوا؟

يهدف في هذه الأبيات إلى تبيان أهمية الأسرى لبني عمهم الحمدانيين الطلقاء، ويصر على أهميتهم بالنسبة لهم وضرورة اتخاذهم قرارا فيما يخص عملية الافتداء ، ثم يفرد الخطاب لسيف الدولة وهو يصبو من خلاله إلى تذكيره بعلاقته به في: "ابنكم"على أساس انه هو من أنشأه وربّاه إلى أن صار فارسا، ويقارن هذه العلاقة بعلاقة الأسير الرومي بحاكم الروم وهو الذي اهتم بأمر افتدائه ،رغم أن علاقة البنوة أقوى في حين أن سيف الدولة لم يكلف نفسه التفكير في هذا الأمر لأنه من ناحية إستراتيجية يريد استدفاع خطر الروم بأسراهم الذين عنده

إن هاتين الدلالتين تتضافران لتبديا أن ذات الشاعر هي التي نالت المعاناة والعذاب، و هي نتيجة سلبية المقدمات كانت كلها توحي بالسبر الجيد للأحداث.

ج. أسماء الإشارة:

سبق معنا أن بيننا أن أسماء الإشارة تصنف ضمن ضمائر الحضور وذلك لأنها تحيل على حاضر في وقت الكلام، كما تدل على استحضار الذوات أثناء الخطاب ، فنجد أنه يشير به إلى الحساد الذين ظهروا

[1]- ينظر: المصدر السابق ، ص: 84.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص: 26.

على حقيقتهم بعدما أسر، وخانوه بعد أن كان له معهم ودّ قديم، وبإشارته إلى الناس إشارة على أنهم كثيرون، يقول: [من الطويل]

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئابا على أجسادهن ثياب[1]

فصورة الحساد لاتفارقه ، وهذا يدفع بنا إلى قيمة تداولية تتمثل في وعي أبي فراس بالخفايا التي تحدث في بلاط الدولة الحمدانية، ويدرك خطر الحساد الذين يعملون على التأثير في موقف سيف الدولة تجاه ابن عمه.

في تعزيته لسيف الدولة عن زوجته التي هي أخت أبي فراس يختم القصيدة بقوله: [من البسيط]

هذا الأسير المبقّى، لا فداء له يفديك بالنفس و الأهلين والولد[2]

فبعد أن أتم واجب العزاء وضرورة الرفوف إلى جانب سيف الدولة في هذه المحنة، يذكّر سيف الدولة ببقائه في الأسر، وهذا أمر يبقى حاضرا في ذهن الأمير، بعد انتهاء الخطاب.

وقد استعمل اسم الإشارة المفرد الدال على المؤنث ليشير به إلى سرعة سير الجيوش نحو حلب وتأهبها لمحاربة سيف الدولة. فهو بالإحالة على الجيوش (بصيغة الجمع) يدل على كثرتها لا على أنها جيش واحد. وهذه دعوة إلى شحذ همة الجيش الحمداني وتبيان أهمية وخطورة هذا الوضع،ويبين جدّية الموضوع الذي ينقله لسيف الدولة. في قوله: [من البسيط]

هذي الجيوش تجيش نحو بلادكم محفوفة بالكفر والصلبان[3]

2.1. ضمائرالغياب: على قلة استعمال الغائب إلا أن له دلالة هامة، فهو يدل على عدم الاكثرات بوجود هذا المناظر العدو أمام الشاعر، إذ يقول: [من الوافر]

تأملني الدمستق، إذ رآني، فأبصر صيغة الليث، الهمام[4]

فهو بهذا يعلن نفسه فائزا في المناظرة.

---

[1]-ينظر : أبو فراس الحمداني : الديوان ، ص: 25.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ص: 76.

[3]-ينظر: المصدر نفسه ، ص: 304.

[4]-ينظر: المصدر السابق ، ص :275.

ونجده في قصيدة يبعث بها لأخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد بعدما لحقه من الجزع بعد أسر أبي فراس، يقول فيها: [من الطويل]

أأبقى أخي دمعا أذاق كرى أخي ... أآب أخي بعدي من الصبر آئب [1]

بنفسي وان لم يرض نفسي لراكب ... يسائل عني كلما لاح راكب

قريح مجاري الدمع مستلب الكرى ... يقلقله همّ من الشوق ناصب

أخي لا يذقني الله فقدان مثله ... وأين له مثل وأين المقارب ؟

تجاوزت القربى المودّة بيننا ... فأصبح أدنى ما يعدّ المناسب

ألا ليتني حمّلت همّي وهمّه ... ولأنّ أخي ناء عن الهمّ عازب

نلاحظ أنه يتكلم عن أخيه باستعمال ضمير الغائب رغم أن القصيدة موجهة لأخيه وذلك لغاية أن يبين للآخرين أن علاقته مع أخيه حتى في بعدهما لم تتغير من حيث أن أبعادها بقيت حاضرة. وهذه الأبعاد متمثلة في أن أبا الهيجاء جزع عندما أسر أبو فراس. وأن هذه العلاقة ليس لها دخل بطلب الفداء لأن أخاه لا بد له في هذا الأمر.

أ. **ضمير الغائب:** عند استقرائنا لاستعمالات ضمير الغائب لاحظنا أنها تستعمل على شقين :

– في استعمالها مع الحساد والذين يمثلون ذوات معيقة له في موقع حساس بالنسبة إليه، وهو بلاط سيف الدولة.

– والشق الآخر يستعمل ضمير الغائب في تحديثه عند الروم.

ويهدف بناء الخطاب على ضمير الغائب إلى تغييب الأمر بقصد من الشاعر ففي قوله: [من الكامل]

وان ناب خطب أو ألمت ملمة ... جعلت لهم نفسي ومامملكت فدا [2]

يودون ان لا يبصروني سفاهة ... ولو غبت عن أمر تركتهم سدى

معال لهم لو أنصفوا في جمالها ... وحظ لنفسي اليوم وهو لهم غدا

إلى الله أشكو عصية من عشيرتي ... يسيئون لي في القول غيبا ومشهدا

[1]– ينظر: : المصدر نفسه،ص: 38.

[2]–ينظر : أبو فراس الحمداني : الديوان ، ص: 90.

حيث يدور حديثه في هذه الأبيات على عصبة من الحمدانيين، لكنهم جماعة غير معروفة ومبهمة للمتلقي، لكن ما يحضر هو فعلهم، فهو يسند لهم دور الفاعلية في قوله: يسيئون، حاربوا، ضاربوا، يودون. ويربط وجودهم بوجوده، في أنهم لا يمكنهم فعل شيء إلاّ بوجوده، وذلك من خلال مقا بلة أفعالهم بأفعاله في قوله: وان حاربوا كنت الجن امامهم، وان ضاربوا كنت المهندا واليدا، ولو غبت عن امر تركتهم سدى، فهو إلى أنه يردّ الإساءة إحسانا، فهو يقصد إلى أنه يردّ الإساءة إحسانا، وهذا بفضل أخلاق الفارس العربي التي يعيش بها.

هذا كله في عتابه لسيف الدولة عن تأخّره بافتدائه، لكنه يرمي إلى أن الحساد المتواجدين في بلاط سيف الدولة في حلب هم وراء إيغال صدر سيف الدولة على الشاعر، فهم يدعونه –ولو ضمنيا– إلى نسيان أمره، وهذا عائد إلى وجود أسباب وخلافات شخصية بينه وبينهم قبل أسره.

وفي قوله: [من الوافر]

وتكنفه بطارقة تيوس تباري بالعثانين الضخام [1]

لهم خلق الحمير فلست تلقى فتى منهم يسير بلا حزام

يريغون العيوب وأعجزهم وأيّ العيب يوجد في الحسام

– **ضمير الفصل:** ويظهر استعماله من خلال استعظام وتهويل الأمر الذي يليه،ونجده في خطاب تعزية سيف الدولة في أخته في قوله: : [من الطويل]

هي الرزية إن ضنت بما ملكت منها الجفون فما تسخو على أحد [2]

فهو يستعظم أمر وفاة أخت سيف الدولة،ويهوّل الرزية فتعم الجميع.

ويستعمل ضمير الفصل كذلك في سياق الفخر في خوض المعارك المستحيلة وركوب الصعاب ففي قوله: : [من الطويل]

هو الموت فاختر ما علا لك ذكره فلم يمت الانسان ما حيي الذكر [3]

[1]–ينظر : المصدر نفسه ، ص :275.

[2]–ينظر: المصدر نفسه ، ص:75.

[3]–ينظر: المصدر السابق ص:160.

فهو يشير إلى أن كل إنسان مصيره الموت، لكن عليه أن يموت في حرب أو نزال ليحيا ذكره وهذا أمر عظيم لايتاح لعامة النّاس.

فالشاعر يصفهم بصفة الغائب على أساس أنهم لا يهمون المتلقي، الذي يدين بالإسلام، وهو يقوم باستحضار المتلقي المفترض والمقصود من طرفه، ويغيّب الذين يناظرونه وهم البطارقة.

– **الإحالة المطلقة:** وتظهر فائدتها التداولية في إمكان الاستشهاد بها في في كل زمان ومكان، على اعتبار أن لا علاقة تربطها بزمان أو مكان التلفظ، لذلك يمكن أنت تذهب مذهب الأمثال والحكم.

ففي القصيدة التي مطلعها : [من الطويل]

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر[1]

والتي يبعث بها إلى سيف الدولة بمقدمة غزلية طويلة ، نلمس الكثير من الإحالات المطلقة كقوله: [من الطويل]

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر[2]

والشاهد في هذا البيت في قوله: وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر، فهذه مقولة يمكن أن ترتبط بأيّ زمان أو مكان، ولا يقتصر استعمالها على الزمن الذي عاش فيه أبو فراس فقط، بل تتجاوزه إلى أزمان بعده. وتظهر أهمية تداولية من استعمال الإحالة المطلقة، وهي تكمنم في مراعاة المتلقي وذلك من خلال تخفيف حدّة العتاب، فالقول المطلق يمنح المتلقي المقصود بالقصيدة فسحة من التأمل، تعمل إلى دفعه إلى إعمال الذهن فيما قال الشاعر، منحه استراحة من الضغط الذي عاناه من قبله، واستعمال الإحالة المطلقة يدلّ على كيفية استثمار الكفاءة التداولية التي يملكها الشاعر.

وقوله: [من الطويل]

ولو سدّ غيري ما سددت اكتفوا به وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر[3]

[1] –ينظر : المصدر نفسه ، ص: 161.

[2] –ينظر: المصدر نفسه، ص: نفسها.

[3] –ينظر : المصدر نفسه ،ص: 161.

ويستعرض حكمته وخبرته بالحياة من خلال الزيادة في إطلاق الأمثال السائرة، ونجده هنا يستشهد بأنّ التبر وهو ماء الذهب لا يمكن أن يغلو أبدا لو نفق الذهب، أي لو قلّ وجود الذهب، وهو صالح للتمثيل به في كل زمان ومكان.

وفي قوله: [من الطويل]

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر [1]

وفي خطابه لأخيه أبي الهيجاء حرب بن سعيد يستعمل الإحالات المطلقة التي تدل في سياق دعوة أخيه إلى الصبر والابتعاد عن الجزع، وضرورة تحمّل حوادث الدّهر، حيث يقول : [من الطويل]

ومن مذهبي حب الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب [2]

الإشاريات الزمانية: وتتمثل في استعمال الألفاظ الدالة على الزمن ، لكن هذا الاستعمال خاضع لما يقصده الشاعر،ولا نجد أن هذه الإشاريات تدل على زمن معين بل هو مبهم، لا يمكن للقاريء أن يدرك دلالته إلا بمعرفة السياق الذي وردت فيه، ففي قوله:[من الطويل]

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذللت دمعا من خلائقه الكبر[3]

إنه ليل مظلم وطويل ، ليل أسير متشوّق لأهله الذين أهملوه أ و لم يعد يهمهم السؤال عنه ،وقوله: :[من الطويل]

وأسر أقاسيه وليل نجومه أرى كل شيء غيرهن يزول [4]

وزمان الليل هو الزمن الذي تزيد فيه الأفكار وتتسع آفاقها.فكل شيء يزول إلا عبء هذا الليل الذي لا ينجلي لأن الشاعر يقضيه ساهرا ينتظر الفتداء الذي لا يأتي.

وكقوله: :[من السريع]

---

[1] -ينظر أبو فراس الحمداني : الديوان ، ص: نفسها .

[2] - ينظر : المصدر نفسه ،ص: 35.

[3] - ينظر: المصدر نفسه ،ص: 157.

[4] - ينظر: المصدر نفسه ،ص 232.

يا ليل ما أغفل عمابي حبائبي فيك وأحبابي[1]

يا ليل نام الناس عن موجع ناء، على مضجعه نابي

نجد أنه يرى نفسه وحيدا يقاسي آلام هذا الليل ،وقوله: :[من الطويل]

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببال

في خطابه للحمامة ، نجده ينأى عن الشكوى للبشر ، ويشخّص من الطبيعة مخلوقا يعبّر له عن ألمه ، وبيّن لها مدى صعوبة الأفكار التي تطرق بالليل.

الأيام: تحيل الأيام على المستقبل غالبا وهي منيرة تحمل دفعة ايجابية للشاعر فهي التي لن تمنح لهم مثله إذ يقول: :[من الطويل]

متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى طويل نجاد السيف رحب المقلد[2]

– بلاد الروم: يمثل الحديث عن بلاد الروم الحديث عن الواقع السيء الذي يعيشه الشاعر في ظل تهميش ذويه له. ولعلنا نلحظ بداية ذكر بلاد الروم من خرشنة وهي القلعة التي أسر بها أولا في قوله: :[من الكامل]

إن زرت خرشنة أسيرا فلكم أحطت بها مغيرا[3]

وقوله على لسان أمه: :[من المنسرح]

يا من رأى لي بحصن خرشنة أسد شرى في القيود أرجلها[4]

فمن عادة الروم إذا أسروا ذا مكانة أبقوه في خرشنة زمنا وبعد أن ييأسوا من عدم مفاداته من طرف أهله ينقلونه إلى القسنطنطينية ،وفهم المخاطب لأهمية ذكر هذا المكان والإحالة عليه يتوقّف على علمه السابق بأهمية خرشنة في الإطار الزمكاني الذي ينتمي إليه الشاعر وحاله التي يمرّها ويعبّر عن مرحلة حسّاسة تتأسّس عليها حياة الشاعر وثقته التي ستهتز،لأنه ترقب أهله للمبادرة بافتدائه لكن شيئا من ذلك لم يحدث، بل تم نقله إلى القسطنطينية. حيث عبّر عن بلاد الروم بعدة تعابير من بينها: كقوله على لسان أمه: :[من المنسرح]

---

[1]– ينظر: المصدر السابق ،ص: 57.

[2]– ينظر: المصدر نفسه ، ص:84.

[3]– ينظر: المصدر نفسه ،ص: 155.

[4]– ينظر: المصدر نفسه ،ص: 241.

يا من رأى لي الدروب شامخة دون لقاء الحبيب أطولها[1]

وقوله:[من الطويل]

وما كنت أخشى أن أجيب وبيننا خليجان والدرب الاشم وألس[2]

وقوله: بأهمية خرشنة في الإطار الزمكاني الذي ينتمي إليه الشاعر وحاله التي يمرّبها ويعبّر عن مرحلة حسّاسة تتأسّس عليها حياة الشاعر وثقته التي ستهتز،لأنه ترقب أهله للمبادرة بافتدائه لكن شيئا من ذلك لم يحدث، بل تم نقله إلى القسطنطينية. حيث عبّر عن بلاد الروم بعدة تعابير من بينها: كقوله على لسان : وقوله: :[من الطويل]

فكيف وفيما بيننا ملك قيصر وللبحر حولي زخرة وعباب[3]

فهو يعبر عن البعد الكبير الذي يعيشه بين بلاد الروم وبلاد الحمدانيين ورغم أن البعد المادي ليس كبيرا. إلا أنه يستغله للتعبير عن البعد الذي تسبب في قومه بإهمال الافتداء. وذلك ما يؤثر في التعبير عن بلاد الروم. بأن الدروب بينها وبين الشام شامخة وبأن البحر له خرة وعباب حول انفراد الشاعر.

الإشاريات المكانية:

وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للسامع أو المخاطب.

ولا يمكن للمتكلم أن يتخلّى عن المكان عند تلفّظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشاريات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب، فنجد أنها تختص" بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة بأن هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء هما: إمّا بالتسمية أو الوصف من جهة أولى أو بتحديد أماكنها من جهة أخرى "[4]

وتتمثل الأماكن المذكورة في الروميات في أسماء الاماكن التي عاش بها الشاعر الفترة التي تسبق الاسر وهي: الشام، حلب، منبج واسم المكان الذي ارتبط به أسره وهو: بلاد الروم، خرشنة. وعند الحديث عن المكان في الشعر فإننا نجد اهتمام الشعراء بالمكان،حيث يمثل في عين الشاعر منظرا جديدا، وفي نفسه إحساسا متميزا نابعا عن الشوق والغربة الناجمة عن البعد عن ذلك المكان الذي كان مسرح أحداث حياة الشاعر، فيتحول المكان من دلالته الجغرافية إلى دلالة شخصية، لا يمكن فهمها والوعي بأهميتها إلا بالعودة إلى

[1]- ينظر: أبو فراس الحمداني : الديوان ،ص:176.

[2]- ينظر: المصدر نفسه،ص: 241.

[3]- ينظر : المصدر نفسه ،ص: 27.

[4] -ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص :84.

السياق الذى وردت فيه، والمتمثل في حياة الشاعر وما اعتراها من ظروف، فرضت أهميتها في استعمال الدلالة السياقية للمكان، لتوضيح مقصوده من إيراده.

1. ذكره للشام: تمثل الشام المكان الذي ينتمي إليه حكم الحمدانيين فهي تضم حلب ومنبج، لكنها ترتبط أكثر في القصائد بمايقارب فكرة الطلل وذلك عائد إلى أن أغلب ذكرها كان في مطالع القصائد وارتباطه بالذكرى الجميلة التي لا يمكن نسيانها في قوله:[من المتقارب]

قل لمن حل بالشام طليقا بأبي قلبك الطريق الأسير[1]

ويذكر الشام عندما يتذكر الأحبة فيها ويقرنها بوجوده في الأسر: :[من البسيط]

أبكي الأحبة بالشآم وبيننا قلل الدروب وشاطئا جيحان[2]

لكنه يرى أن أسره لن يطول وسيهب له الحمدانيون بالفداء إذ يقول: :[من الوافر]

يعز على الأحبة بالشآم حبيب بات ممنوع المنام[3]

ويتأثر بوحدة أمه من بعده فيقول: :[من الكامل]

عليلة بالشآم مفردة بات بأيدي العدى معلّلها[4]

إن الجانب التداولي في تمفصل "الشام" يظهر من أنه مكان عاش فيه الشاعر فترة معينة قبل الأسر وأثناءه فالقارئ إذا لم يعرف السياق الذي قيلت فيه القصائد لن يدرك مدى تأثر الشاعر بالابتعاد عن الشام إن معاناته من الحساد تقتضي منه المكان الذي يوجدون فيه، فهو قد عانى منهم قبل الأسر ،وحتى طوال فترة أسره فقد أوغلوا عليه صدر سيف الدولة –في نظره- يقول: :[من الوافر]

فلا بالشام لذ بقي شرب ولا في الأسر رق علي قلب[5]

2. حلب: تمثل حلب عاصمة الحمدانيين لذلك يكون ذكره لها له دلالة سياسية ،كقوله عندما اتهمه سيف الدولة بمكاتبه صاحب خرسان ومطالبته بدفع الفداء: :[من المتقارب]

وإن خراسان إن أنكرت علاي فقد عرفتها حلب[6]

إنه يدافع عن نفسه من خلال ذكره للمكان ولا يمكن فهم المعنى السياسي لخرسان وحلب إلا بربطهما بالفترة التي قيل فيها البيت وبسبب القول

ويعتز بالانتماء للحمدانيين وبأصله العريق منهم إذ يقول: :[من الكامل]

---

[1]- ينظر: أبو فراس الحمداني : الديوان ،ص: 152.

[2]-ينظر: المصدر نفسه ،ص:303

[3]-ينظر: المصدر نفسه ،ص: 275

[4]-ينظر: المصدر نفسه ،ص:241.

[5]-ينظر: المصدر السابق ،ص:31.

[6] -ينظر : المصدر نفسه،ص: 29.

ففي حلب عدتي وعزي والمفخر[1]

3. منبج: تمثل منبج المنطقة التي ولاه عليها سيف الدولة وهو ابن السنة عشر عاما لقد عاش فيها سنين فروسته وعاش فيها فترة استقرار مع اهله وأمه خاصة في قوله: :[من الكامل]

وفي منبج من رضا ه أنفس ما أدخر[2]

وقوله في قصيدة أخرى:[من الكامل]

لولا العجوز بمنبج ما خفت أسباب المنية[3]

وقوله:[من الكامل]

أمست بمنبج حرة بالحزن من بعدي حريه[4]

وقوله: من الكامل

لازال يطرق منبجا في كل غادية تحيه[5]

وبعد مرور عامين على أسره يقول :[من الطويل]

أقمت بأرض الروم عامين لا أرى من الناس محزونا ولا متصنعا[6]

ثم يتخذ من "اليوم" مطية لتذكر الماضي وأمجاده إذ يقول: :[من الطويل]

ولم أر مثلي اليوم أكثر حاسدا كأن قلوب الناس لي قلب واجد[7]

فلا يعقل أن يتعرض للحسد وهو في الاسر إذ يتطلب الحسد وقوع أمر محمود يتطلب عنصر الحسد وقوله :[من الطويل]

معال لهم لو أنصفوا في جمالها وحظ لنفسي اليوم وهو لهم غدا [8]

---

[1]-ينظر: المصدر نفسه ،ص: 153.

[2]-ينظر: المصدر نفسه ،ص نفسها.

[3]-ينظر: المصدر نفسه ،ص: 317.

[4]-ينظر: المصدر نفسه ،ص نفسها.

[5]-ينظر: المصدر نفسه ،ص: 318.

[6]-ينظر: المصدر نفسه ،ص: 183.

[7]- ينظر : أبو فراس الحمداني : الديوان ،ص: 87.

[8]-ينظر: المصدر نفسه ،ص: 90.

ويزيد من تأزم وضعه إذ يعبر بالاطلاق على الزمن في قوله: :[من الطويل]

فإن عدت يوما عاد للحرب والعلا وبذل الندى والجود أكرم عائد[1]

في ختام هذا المبحث نصل إلى جملة من النتائج هي :

-منح استعمال الإشاريات بمختلف أنواعها الشاعر إمكان التعبير عن قصوده المختلفة ، وبيّن من خلال استقرائنا لاستعمالها ، أبعاد علاقاته بمخاطبيه وتطور تلك العلاقة ، وأثر الأمور الطارئة على استعمال الإشاريات في الخطاب.

- ساعدت الإستراتيجية التضامنية التي تعمل على كسب المخاطب، من خلال المرونة التي يمنحها استعمال الضمائر، وكيفية توزيعها وتنويع استعمالها ، ساعدت أبا فراس على التواصل الناجع مع مخاطبيه ، والتوفيق بين حالته النفسية، ومخاطبه، والسياق الذي يسوق فيه القصيدة، و الحرص على التعبيرعن قصده منها.

-ساعد احترام مبدأ التأدب واستعمال اللقب والكنية ، على التقريب بين أبي فراس ، ومخاطبه الأول سيف الدولة الحمداني ، فرغم الضغط الذي يعانيه جرّاء إهماله في الأسر —على حد ظنه-ورغم تطاول مدة الأسر، وتزايد الظنون في إمكانية افتدائه، إلا أنه لم يخلّ في أي موضع بمبدأ التأدب وحافظ على توطيد علاقته معه بالخطاب في كل الروميات.

- ساعده استعمال ضمير المتكلم منفصلا كان أو متصلا على التعبير عن ذاته و بسط الحديث عنها، وذلك من خلال تذكر أيامه الخالية التي قضاها في الغزو و المعارك و البطولات، ويستغرق حياته الحالية التي تظهر عليها نفيسة الأسير الذي أهمله أهله فراح يشكو حاله و يعبر عنها بكل ما أتاحت له اللغة من إمكانات تعبيرية ،كان أهمها ما يخصنا في هذا السياق اكتساب ناصية العملية التواصلية و التحكم في توزيع أدوار الكلام، عن طريق امتلاك اللغة حال التلفظ بالخطاب.

[1]-ينظر: المصدر نفسه ، ص: 89.

- ساعده استعمال أسماء الإشارة على كسب تأييد المخاطب له. و ذلك من خلال استحضار الأمور التي أشار لها و تذكير المخاطب بضرورة فعل شيء حيالها.
- كان حريصا على مشاركة الآخر (الأنت) له في الخطاب و ذلك بغرض توصيل المعاناة التي يحس بها و دفعه إلى مواساته و الإحساس به. و هذا يحفظ التواصل بين الطرفين من خلال إنشاء علاقة طيبة بالخطاب فكانت العلاقة في نهاية الخطاب أحسن بكثير عنها في بدايتها .
- عبر عن انتمائه – و هو في غربة– للحمدانيين من خلال استعماله في التعبير بـــضمير الجمع منفصلا كان أو متصلا. و ذلك ما يحذو بهم إلى الإصغاء لما يقول و التعاطف معه لأنه جزء لا يتجزأ منهم.
- حاول تغييب الذوات المعيقة له في حياته وفي علاقاته ، والتي تنغص عليه من خلال التعبير عنهم بضمير الغائب و هو ما أضفى عليهم إبهاما. و كأنهم لا يستحقون الذكر، وما اقتصر على ذكره هو أفعالهم السلبية ، والمتمثلة في فعل الحسد ، وفي إ يغال صدر سيف الدولة.
- نستنتج أن استعماله لضمير الفصل كان في مقامات التعزية و المواساة و هذا ليبين لمخاطبه بوجوده معه ووقوفه إلى جانبه في العسر، و ذلك من خلال تعظيم القضاء.الذي حلّ على المخاطب .

– استعمال الاشاريات الزمانية تميز بالإبهام والإطلاق وذلك لان هذا الزمن بطيء ولا يمر بسرعة ويؤثر سلبيا على الشاعر لأنه يفقده الثقة .....الذين تماطلو في فدائه. ومع مرور الزمن أصبحت الأيام والليالي تتشابه وتطول. ولا شيء مميز فيها.

وللتعبير على أن من طبيعة الأسر أن لا يميز الأسير بين الليل والنهار لأنه يعـــاني ظلمـــة الإهمـــال في كليهما.

وارتبط الليل أكثر بالتأمل والتفكير والاستغراب

أما اليوم أو الأيام فقد ارتبطت بالاسترجاع وذكر محاسن أبي فراس وبلائه الحسن في المعارك وهو ما يفتقده الحمدانيون في الأيام الآتية.

الاشاريات المكانية مثلت مراجع لكلام الشاعر على أساس أن لها تأثيرا في سير أحداث حياته وعبرت عن الأماكن التي عاش فيها فترات عمره وهي الشام، حلب، منيج، خرشنة، بلاد الروم. وهي أماكن لا تعرف مرجعيتها إى من خلال التعرف على حياة الشاعر وإدراك أثر وطأة تغير المكان أو مجرد ذكره في نفســـية الشاعر. فارتبط ذكره لحلب ومنبج والشام بالتشوق للأهل وارتباط ذكره للروم بالقلق من الوجود في ذلك المكان الذي يفضي به إلى الشك في أهله وإهمالهم له في فترة الأسر.

المبحث الثاني: الحجاج في الروميات

1. الآليات اللغوية (التكرار)

2. الآليات البلاغية

3. الآليات التداولية

1.3. تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة

أ. الحجاج بواسطة الفخر

ب. الحجاج باستعمال المثل التاريخي

2.3. التشخيص

الآليات اللغوية:

تتمثل الآلية اللغوية التي عرضنا لها في بحثنا هذا في التكرار لمختلف الصيغ اللغوية، انطلاقا مما تفرضه علينا المدونة، وعلى اعتبار أن "التكرار أسلوب شائع في الخطابات على تنوع مواضيعها واختلاف أجناسها ، ولكنه لايدرس ضمن الحجج والبراهين ، وإنما يعد رافدا أساسيا يرفد هذه الحجج والبراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما ، حيث يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي ، وتساعد على نحو فعّال في إقناعه ، أو حمله على الإذعان ، لأن التكرار يساعد على:

- التبليغ والإفهام.

-ترسيخ الرأي أو الفكرة في المتلقي"[1].

وسنعرض إلى أهم الصيغ اللغوية المتكررة ، وإلى دورها الحجاجي.

3. تكرار اسم الفاعل:

نلاحظ أن الشاعر كرّر اسم الفاعل على أساس أنه قافية في قصائد بعينها مما جعله يتكرر تلقائيا فيها.

ونلاحظ أن تكرار اسم الفاعل جاء لإضفاء وتعميق دلالة التجدد والاستمرارية وتأكيدها.

ففي مثل قوله: [من الطويل]

لمن جاهد الحساد أجر المجاهد وأعجز ما حاولت إرضاء حاسد[2]

ولم أر مثلي اليوم أكثر حاسدا كأن قلوب الناس لي قلب واحد

ألم ير هذا الدهر غير فاضلا ولم يظفر الحساد قلبي بما جد

وهل غض مني الأسر إذ خف ناصري وقل على تلك الأمور مساعدي

ألا لا يسر الشامتون فإنها موارد أبائي الأولى ومواردي

وهل نافعي إن عضني الدهر مفردا إذا كان لي قوم طوال التواعد

أيا جاهدا في نيل ما نلت من علا رويدك إني نلتها غير جاهد

وياسا هذا لعينين فيما يريبني **ألا إن طرفي الأذى غير ساهد**

فالحسد صفة دائمة في الأشخاص المناوئين لأبي فراس لا تفارقهم ، مما يكرّس صورة الحساد التي لا تفارقه.ثم كأنه متفرد في فضله ومجده وهذا الفضل صفة ذاتية فيه لأنه حمداني ومتجددة فيه لأنه صقلها بالقتال.

[1] -ينظر: سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 168.

[2] - ينظر:أبو فراس الحمداني، الديوان، ص: 87.

ويستعمله بصورة سلبية تعكس استمرارية وجود الحساد الذين يسعون لتقليل أنصاره ومساعديه في محنته فهم شامتون لمدة طالت. والقصد من هذا هو أن السبب في تطاول مدة أسره ، يعود في جانب من جوانبه إلى الدور السلبي لهم ، لأنهم يعيقون مساعيه في إقناع ابن عمه، بوجودهم الفعّال في حلب .

فتكرار اسم الفاعل تم على مستوى بنيتين:

- الفخر: في قوله "فاضلا، ماجد، غير جاهد، غير ساهد"
- العتاب: "حاسد، خف ناصري، قلّ مساعدي، الشامتون، جاهد، ساهد"

إنه يدفع المتلقي للاختيار ، بعرض مفارقة تقوم على عناصرهي : الأصل الحمداني له، وانحدار الحساد من فئات عرقية لا ترقى إلى منافسة الحمدانيين في فضلهم ، وتقديم صفات نبيلة له لا تجد تشجيعا من الوسط الذي يوظفها فيه، لأن دور الحساد غالب على الوضع.

ونلاحظ ترواح التكرار بين الإثبات والنفي في قوله: [من الطويل]

أيا جاهدا في نيل ما نلت من علا رويدك إني نلتها غير جاهد[1]

ويا ساهدا لعينين فيما يريبني ألا أن طرفي الأذى غير ساهد

فنيل العلا دون جهد من طباع العائلات الحاكمة.والفارس النبيل يتنزه عن تتبع الأذى وعورات الآخرين. ليس كمن يعيش حاسدا فلا يدرك نيل العلا رغم جهده ،ولا يجد لمن يحسده أمرا يريبه.فأبو فراس لا يلبث أن يحتج لنفسه بأنه الأفضل ، لأن لديه السبق بالوصول إلى العلا، ، التي اكتسبها بأصله ، واستحالة لحاق هذا الآخر بمكانته، وما للأصل الشريف آنذاك من سيطرة على المواقع الحساسة في الدولة، ولعل ما جعله دائم التر.

وفي قوله: [من الوافر]

غفلت عن الحساد من غير غفلة وبت طويل النوم من غير راقد[2]

فبسبب استمرارية وجود الحساد يتظاهر بالرقاد ولا يظهر لهم مضانّ نفسه بل يقاومهم.

4. تكرار أفعل التفضيل:

ففي قوله: [من الوافر]

تمنيتم أن تفقدوني وإنما تمنيتم أن تفقدوا العز أصيدا

[1] – ينظر: المصدر السابق، ص: 88.

[2] – ينظر: : المصدر نفسه، ص نفسها.

أما أنا أعلى من تعدون همة وإن كنت أدنى من تعدون مولدا

فقد استعان باسم التفضيل ووظفه في الفخر بنفسه في الأسر في قوله: أصيدا، ، أعلى وفي لومه على قومه في غدرهم به وحسدهم له في: أدنى من تعدون مولدا وهو الذي أصبح قائد إقطاع له دوره الإستراتيجي في حماية الدولة الحمدانية في فترة وجيزة .وتوظيفه لاسم التفضيل، يمنح مساحة خطابية لقومهوذلك لاستعمال للدلالة على أن شيئين اشتركا في معنى، وزاد أحدهما على الآخر فيه،وهذه الدلالة تكسب من السياق أهميتها وقصد الشاعر من خلالها ؛ والمتمثل في أن كل الحمدانيين يشتركون في الفضل من حيث؛ المكانة العالية والعزّ المتوارث، وعلوّ الهمّة، وأن فرسانهم يندمجون بسرعة في ميدان الحرب والقتال ، وقصد أبي فراس من هذا التقديم ، هو الاحتجاج لنفسه بأنه الأعلى همّة، وبأنه أصغر فرسان الدولة سنّا ، لكنه استطاع قيادة المعارك ، وكل هذا يخوّله إلى مهام جليلة في المستقبل تحمل في طياتها رغبة حساده في فقده.

5. تكرار صيغ المبالغة:

في قوله: [من الطويل]

قناتي على ما تعهدان صليبة وعودي على ما تعلمان صليب[1]

صبور علي طبي الزمان ونشره وإن ظهرت للدهر في ندوب

نلاحظ أن صيغ المبالغة تؤدي إلى ترسيخ المعنى وتقويته في وصف صبره وجلده: شديدة، صليب، صبور كلما تزيد من الصبر والجلد اللذين يحتملهما الشاعر في أسره

وفي قوله:[من الطويل]

صبور ولم تبق مني بقية قؤول ولو أن السيوف جواب [2]

وقور وأحداث الزمان تنوشني وللموت حولي جيئة وذهاب

وإن حاربوا كنت المجن أمامهم وإن ضاربوا كنت المهند واليدا

2. الآليات البلاغية:

يعد التشبيه من أوضح الصورالبيانية ، لأنّ العلاقة بين المشبه و المشبه به تدرك ببساطة،لأنها تقوم على القياس والاستنتاج المباشر ،إذ لا تحتاج الى إعمال الذهن، ونجد أن أبا فراس جاءت أكثر استعمالاته للتشبيه في سياق المناظرة بينه وبين الدمستق في الدين ،حيث نجده يتمكّن من إصابة مناظره في صميم رموز

[1]- ينظر:أبو فراس الحمداني: الديوان، ص:56.

[2]-ينظر: المصدر نفسه، ص: 90

الصّليبية ،من خلال توظيفه لأصل الذين يدينون بالنصرانية وهم العلوج أي الرّوم،ورمز البطارقة وهم رجال الدين المسيحيين حين يشبّههم بالتيوس والحمير في قوله: :[من الوافر]

وتكنفه بطارقة تيوس تباري بالعثانين الضخام[1]

لهم خلق الحمير فلست تلقى فتى منهم يسير بلا حزام

وفي مناظرة أخرى بينه وبين الدمستق ، حيث قال له الدمستق: "إنما أنتم كتّاب ولا تعرفون الحرب" فردّ عليه أبو فراس قائلا :"نحن نطأ أرضك منذ ستّين سنة بالسيوف أم بالأقلام"،نجده يوظّف التشبيه البليغ أداة حجاجية تقوم على القياس البسيط الذي في العلاقة المباشرة بين المشبه والمشبه به وحذفه لأداة التشبيه ووجه الشبه أوضح صورة

وقوله:[من الطويل]

ألم تفتهم قتلا وأسرا سيوفنا وأسد الشرى الملأى وإن جمدت رعبا [2]

تركناك في بطن الفلاة تجوبها كما انتفق اليربوع يلتشـــــــــم التربا

فيشبه نفسه وقومه بالأسد ويشبه الدمستق باليربوع في مفارقة جسّدها في صيغة تشبيه تام الأطراف، ساعد على إيضاح صورة السخرية.

استعمال التشميل في علاقته بسيف الدولة حين يصوره بالحبيبة في قوله: : [من الطويل]

كأني أنادي دون ميثاء طبية على شرف ظمياء جللها الذعر

تجفل حينا ثم ترنو كأنها تنادي طلا بالواد أعجزه الحضر[3]

فعندما ينادي ابنة عمه وهي لا تكترث به كأنه ينادي من ميثاء (ما اتسع من فوهة الوادي/ ظبية واقفة على شرف (مكان عال)) خائفة خوفا شديدا فهي لن تستجيب له لأمرين أولهما لأن الظباء حيوانات برية لا تستأنس للانسان وثانيهما هو أن الحيوان البري لا يمكنه أن يترل من عل لأجل نداء إنسان له. فطبيعة الخوف تبقى مرتبطة به.

[1] ينظر : المصدر السابق ،ص:276.

[2] ينظر: المصدر نفسه ،ص:43.

[3] ينظر: المصدر نفسه ،ص: 159.

نلاحظ أن الصور البيانية تحمل قيما حجاجية تداولية بقيامها على عنصر الاستنتاج والربط بين عوالم مختلفة قصد التعبير فيما يخص الشاعر وقصد دفع المتلقي من جهة أخرى إلى التأويل وفهم المراد من الصورة.
وما يعنينا أكثر هو اكتشاف الطاقات الحجاجية التي تحملها الصور البيانية المختلفة من خلال قيامها على حمل المتلقي على الاستنتاج ، وهو ما يعني أنه يستغرق وقتا في التأمل لاكتشاف العلاقة بين عناصرها من جهة ، واكتشاف القصد الي يحمّلها المتكلم إياه.
ونصل إلى ذلك من خلال تطبيق السلم الحجاجي الذي يعمل على توضيح كيفية العمل الذهني المنطقي المنوط بالمتلقي ، لاستنتاج المعاني المرادة من الصور.
يقول :[من الطويل]

أتزعم يا ضخم اللغاديد أننا ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا[1]

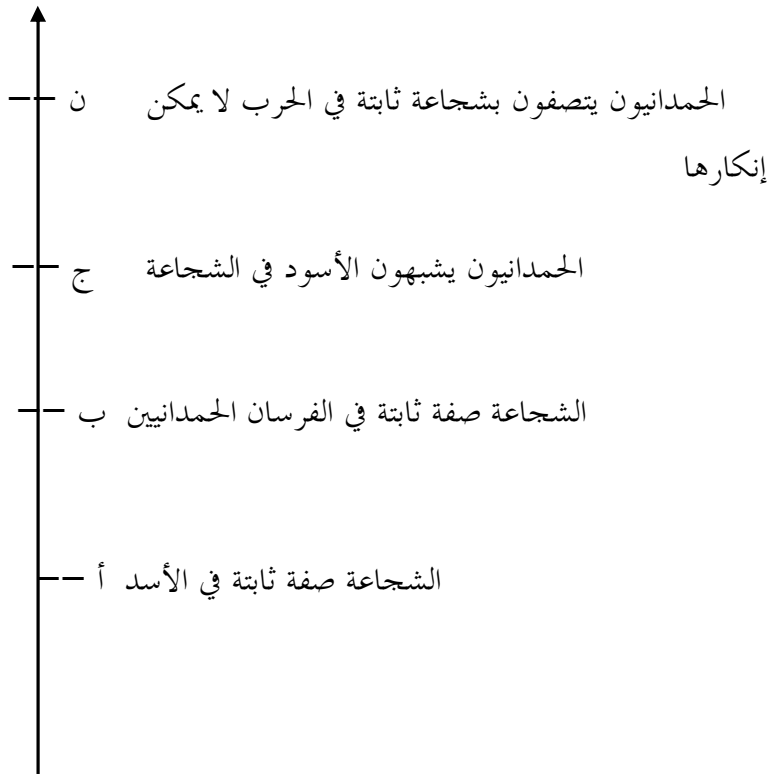

نجد أن الشاعر ينطلق من مقدمات تربط بين شجاعة الأسد التي تمثل صفة ثابتة فيه ، وبين الشجاعة عند الحمدانيين ، وهم الفرسان الذين يعيشون على الحدود مع بلاد الروم ، ويصل إلى نتيجة مفادها أن الحمدانيين يتصفون بشجاعة لا يمكن إنكارها.فهو يدحض بهذه الحجة الرأي القائل بأن الحمدانيين فرسان

[1]- ينظر : أبو فراس الحمداني : الديوان،ص: 42.

أقلام وليسوا فرسان ميدان.وهو يدفع للمتلقي المقصود بالحجة على شكل صورة عليه أن يفهمها ويدرك ما ترمي إليه.

وفي قوله: :[من الوافر]

يريغون العيوب وأعجزتهم وأي العيب يوجد في الحسام[1]

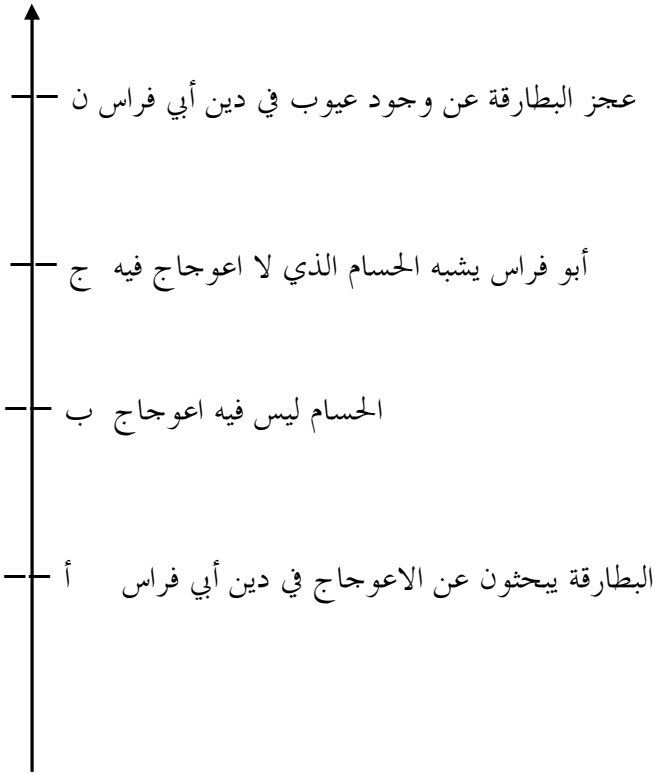

ويستعمل التشبيه البليغ لوصف نفسه بالحسام أمام البطارقة في المناظرة التي جرت بينه وبين الدمستق في الدين وهو ينطلق من أن البطارقة يبحثون حثيثا عن الاعوجاج في دين أبي فراس ومن أن الحسام ليس فيه اعوجاج ويصل إلى التشبيه بينه وبين الحسام في غياب عنصر الاعوجاج عنهما. ليصل إلى نتيجة مفادها عجز البطارقة عن إيجاد عيوب في دين أبي فراس.

[1]-ينظر : المصدر السابق، ص: 276.

وفي قوله :[من الطويل]

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر[1]

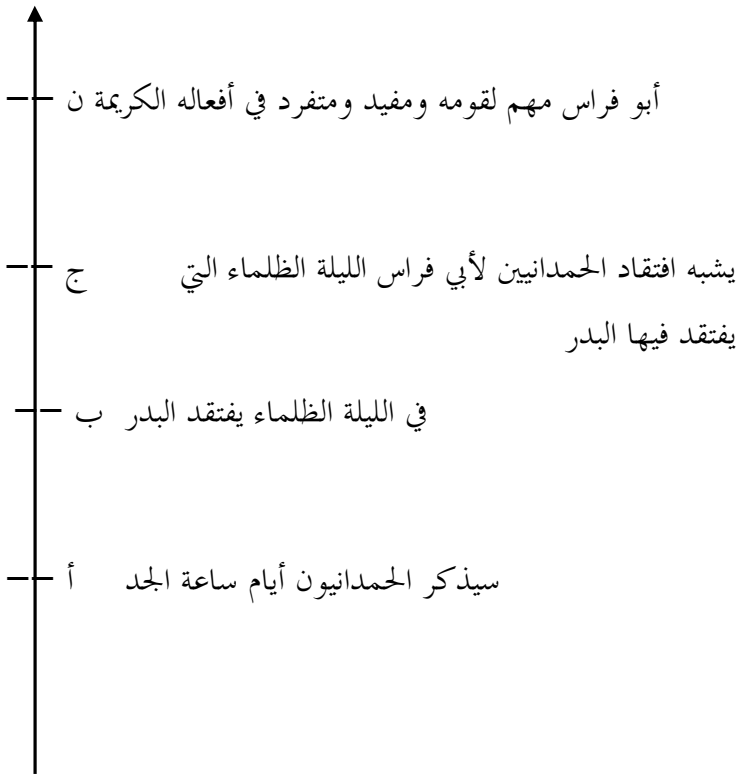

[1]-ينظر: أبو فراس الحمداني : الديوان ،ص:161.

وفي قوله: من الطويل

ولكن لقيت الموت حتى تركتها وفيها وفي حد الحسام فلول[1]

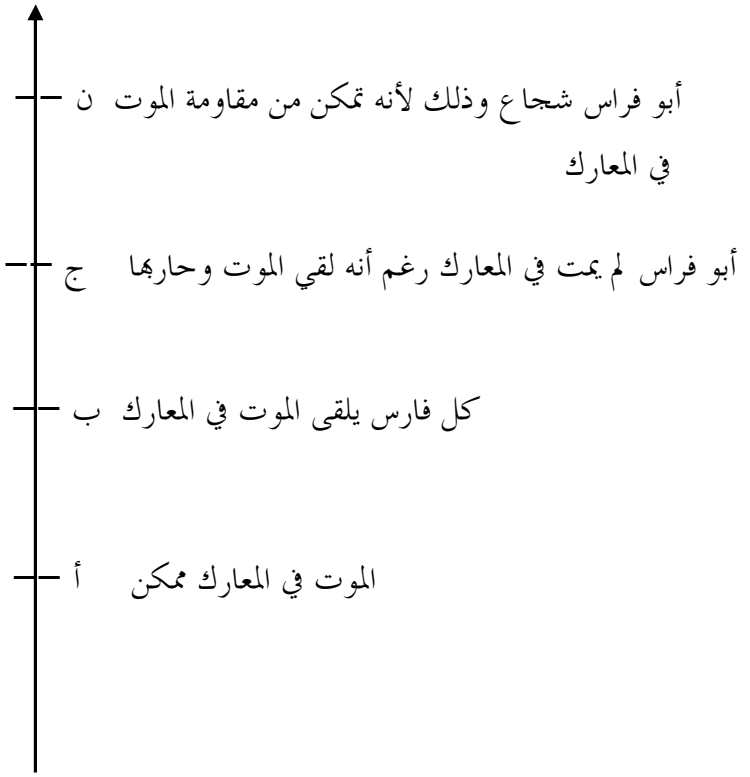

[1]-ينظر: المصدر السابق، ص:233.

وفي قوله:[من البسيط]

تردّى رداء الذل لما لقيته كما تتردى بالغبار العناكب[1]

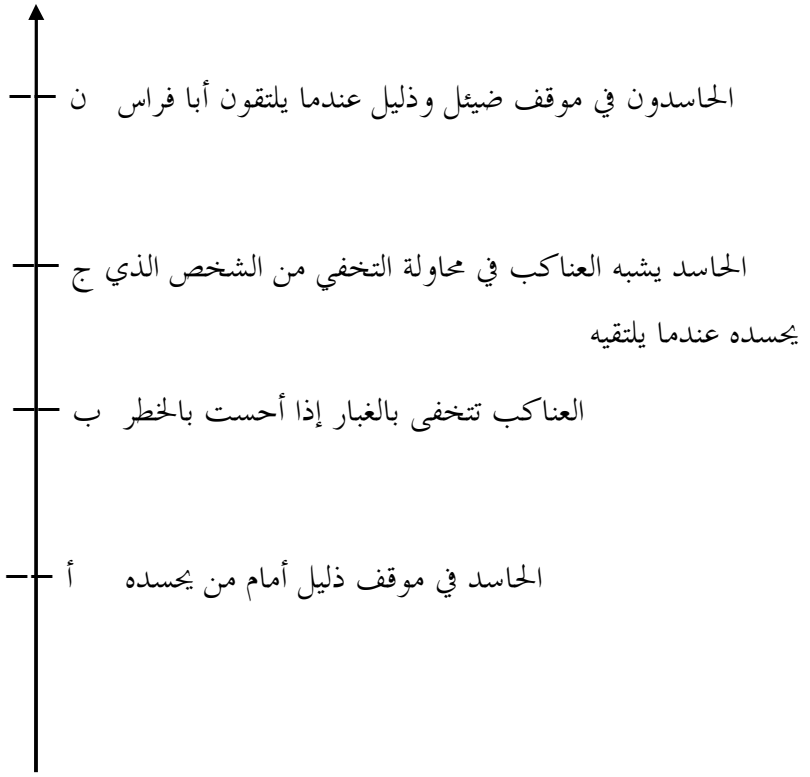

[1]-ينظر: أبو فراس الحمداني : الديوانص: 36.

وفي قوله: :[من الطويل]

وإن حاربوا كنت المجن أمامهم وإن ضاربوا كنت المهند واليدا[1]

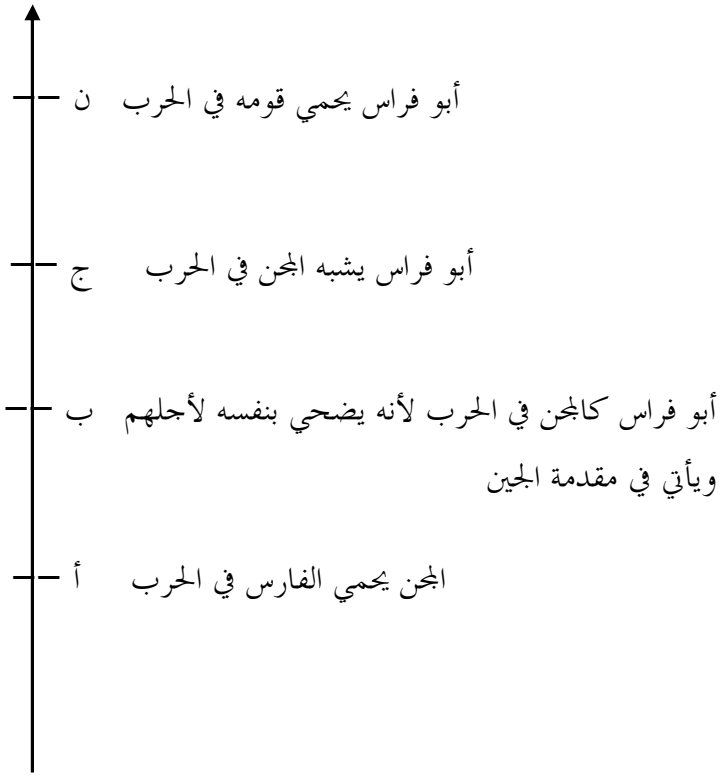

نجده في هذا البيت يحتج لشجاعته وتحمله للمسؤولية من خلال ذوده ومدافعته على قومه وإن كان يوجد بينهم من يحمل له الضغينة

وهو يقدم حجة مركبة من جزئين:

- فهو في الشطر الأول يربط العلاقة بين دور المجن في حماية الفارس في الحرب ويمنحه على سبيل المجاز لنفسه أي أنه يحمي قومه. وينتهي إلى أنه يحمي قومه ويدافع عنهم
- وفي الشطر الثاني يصل إلى استنتاج ؟أنه جزء لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة لقومه. من خلال إقامته لعلاقة تشبيه بينه وبين السيد التي تعد الجزء الفعال في الجسم الذي يقوم بمهمة حمل السيف
- فرغم لومه لحساده في هذه القصيدة إلا أنه يدفعهم للاستنتاج ويحملهم على تلقي القصد من شعره من خلال الاستماع لما يقول والعمل على استنتاج القصد

[1]-ينظر: المصدر السابق، ص: 90.

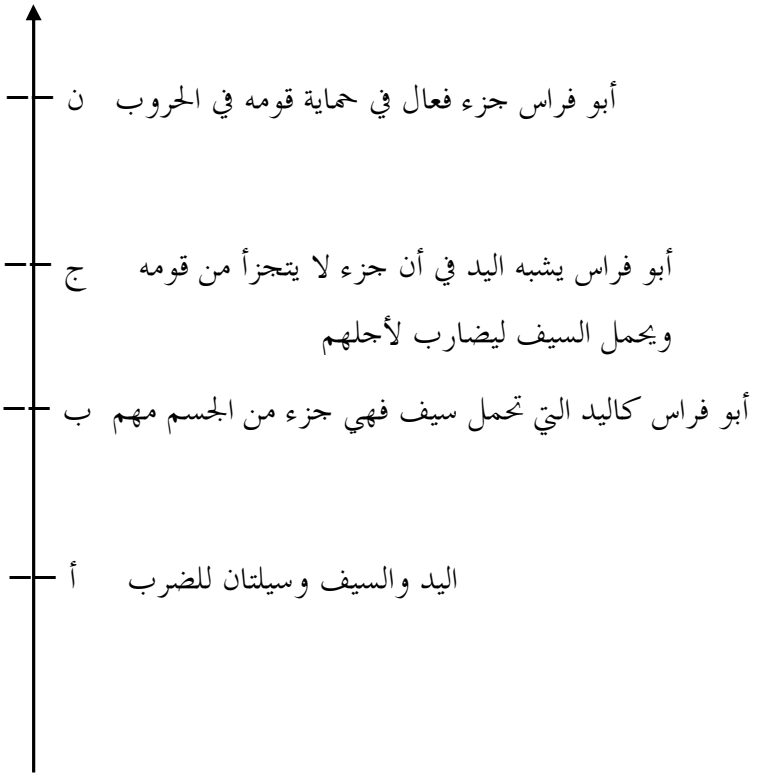

3. الآليات التداولية:

1.3. تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

حيث يتم الاستدلال بناء ا على المثال المعزول، حيث يؤسس الشاعر الواقع على ظاهرة مفردة، ثم يقوم بتوسيعها فتصبح حالة عامة، بعد أن كانت مجرد حالة خاصة.لا تتجاوز صاحبها.

أ. الحجاج بالفخر:

عند التمييز بين أغراض الشعر في روميات أبي فراس الحمداني، نجد أن غرض الفخر أهم الأغراض الشعرية، حيث لا تخلو أي رومية منه، وذلك لما له من قدرة على استرجاع الشاعر لأيامه الماضية، وإظهار أهميته لقومه وقوته ومكانته التي لا يمكن لهم الاستغناء عنها، فينطلق من هذا الواقع آملا في بناء واقع جديد، ينطلق فيه من ذكر محاسنه ليحمل المتلقي على الإذعان والاقتناع بقوته وأهمية تحريره من الأسر، لئلا يخسر الحمدانيون فارسا مقداما.

ففي مطلع القصيدة التي قالها في خرشنة في بداية أسره قبل نقله الى القسطنطينية،وفي وقت مازال يحمله زهو كبير بنفسه يقول:[من الكامل]

إن زرت خرشنة أسيرا فلكم أحطت بها مغيرا [1]

[1]- ينظر: : أبو فراس الحمداني : الديوان، ص:155.

ولقد رأيت النار تنـــ هب المنازل والقصورا
ولقد رأيت السبي يجـــ لب نحونا حواّ وحـــورا
نختار منه الغادة الـــ حسناء، والظبي الغريرا
إن طال ليلي في ذرا ك فقد نعمت به قـــصيرا

فهو يشير إلى انه كان يحرق المدينة حين يحل فيها مغيرا، فتأكل النار منازلها وقصورها، وكان ينتصر ويغنم، ويشير إلى أن ليل وألمه وأسره فيها مهما طال، فلطالما قصر ليله عندما كان يتمتع فيها بالملذات.

وفي خطابه لسيف الدولة يقول:[من الطويل]

وإني لجرّار بكل كتيبة معودة أ ن لا يخل بها النصـــــــر[1]
وإني لنزّال بكل مخوفة كثير إلى نزّالها النظر الشـــــــزر
فأضمأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر
ولاأصبح الحي الخلوق بغارة ولا الجيش مالم تأته قبلي النـــــــذر

فنجد أنه يفخربأنه قائد للمعارك التي يتأكد من انتصاره فيها، ويترل البلاد المخوفة كثيرة الأعداء، وينتصر فيها، وهذا فخر ضمني بالشجاعة والجرأة. يحمل صفات المقاتل؛ والتي تتمثل في كثرة القتال بالسيوف والرماح، وعدم اعطاء أهمية للغنائم في المعارك، وعدم الإغارة على حيّ لا رجال فيه ولا على جيش إلا بعد ان تأيه النذر بالزحف عليه، وإمكانياته في مباغتة الأراضي المنيعة ومحاربتها فجرا. وفي خطابه لقومه يقول:[من الطويل]

فإن تفتدوني تفتدوا شرف العلا وأسرع عوّاد إليها معـــــــوّد [2]
وإن تفتدوني تفتدوا لعلاكم فتى غير مردود اللسان أو اليد

فهو يفخر أن العلا من شيمه، اذ لا يمكنه نوال الشرف الا بالقتال، و يصوّر نفسه كأنه الفتى الوحيد المخول له ذلك.

وفي قوله:[من الطويل]

ألم ير هذا الناس غيري فاضلا ولم يظفر الحساد قبلي بماجد [3]

يرى أنه أهل للفضل والمجد، وهما أمران يجلبان الحسد لصاحبهما، ومعلوم أن الانسان يفخر بالاخلاق الكريمة التي يحسده غيره عليها.

---

[1] – ينظر:المصدر السابق، ص:159.
[2] – ينظر: المصدر نفسه ، ص:91.
[3] – ينظر: المصدر نفسه ، ص:90.

وفي خطابه لأخيه يقول:[من الطويل]

عتادي لدفع الهم نفس أبية وقلب على ماشئت منه مصاحب [1]

إذ يفخر بنفسه الأبية التي تدفع الهموم و القلب يساعدها في ذلك.

وقوله:[من الطويل]

أرى ملء عينيّ الردى فأخوضه إذ الموت قدّامي وخلفي المعايب

إذ يفخر بشجاعته في خوض المعارك التي لا ترتجى منها حياة.

وقوله:[من الطويل]

عليّ طلاب المجد من مستقرّه ولا ذنب لي إن حاربتني المطالب [2]

وهل يرتجى للأمر إلا رجاله ويأتي بصوب المزن إلاّ السحائب

وعندي صدق الضرب في كل معرك وليس علي ان نبون المضـــــارب

فهو يفخر بهمته العالية وطموحه الذي يأبى الا أن يطالب بالمجد.

وفي سياق ذكره لاصحابه الذين كانوا معه في موقعة الأسر يقول :[من الطويل]

يقولون:جنب عادة ماغرفتها شديد على الانسان ما لم يعود[3]

يورد كلاما على ألسنتهم لأنهم لا يتجاوزون القول الى الفعل، ولايبادرون بإظهار الشجاعة؛فأهم صفة لهم هي تثبيط الهمة والسلبية،وفي قوله:[من الطويل]

يقولون لي:بعت السلامة بالردى فقلت:أما والله ما نالني خســـر [4]

هو الموت فاخترما علا لك ذكره فلم يمت الانسان ما حيي الذكر

فأصحابه يلومونه على اختياره القتال بدلا من الانسحاب مقابل العدد الكبير من جنود الروم الذين لقوهم، ويردّعلى قولهم بأنه لا يناله خسر مادام هدفه طلاب المعالي، فهو لاينظرللموقعة فقط بل يتجاوزها لخلود ذكر أفعال الإنسان الحميدة .

وحين يفخر بأن الروم لم ينزعوا عنه ثيابه في خرشنة يقول:[من الطويل]

يمنون أن خلوا ثيابي وانما علي ثياب من دمائهم حمـــــــر [5]

وقائم سيف فيهم اندق نصله وأعقاب رمح فيهم حطم الصدر

---

[1]- ينظر: : أبو فراس الحمداني : الديوان، ص: 35.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص:36.

[3]- ينظر: المصدر نفسه ، ص: 85.

[4]- ينظر: المصدر نفسه ،ص: 160.

[5]- ينظر: المصدر نفسه ، ص:161.

فهو يقابل منهم بترك ثيابه عليه باستصغار فعلهم مقابل جعلهم مسرحا للاحداث: من دمائهم، سيف فيهم اندق نصله، رمح فيهم حطم الصدر. ولا ينسب الأفعال لنفسه بل لأسلحته: السيف، الرمح.

ب. الحجاج باستعمال المثل التاريخي:

وتتمثّل خاصّة في استحضار الوقائع المستمدة من التاريخ العربي الذي يجمع الشاعر ومخاطبيه، وما لها من قدرة كبيرة على تواصلية بالغة التأثير، لأن تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها (...) وتدخل الشاعر في هذا السياق ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصودة للاستدلال عليه".[1] "وثمّة نزوع في الخطابات الحجاجية إلى استدعاء "المشترك" commun وهو ما يشكل موضوع اتّفاق بين المتلقّين، أو يمثّل جملة من المعارف المشتركة الشّائعة بينهم، ذلك أنّ للمشترك سلطته على النفوس، فهي تذعن لما تعوّدت عليه "وقد ظهر استدعاء الحجج الجاهزة في شكل هيئة خبرية، وهي-كما ترى آمنة بلعلى-تأتي عندما يحسّ المتكلّم بأنّ كفاءته اللغوية لم تعد قادرة على مواصلة المسار التواصلي، فتكون هذه الحجج بمثابة البديل، وقد تأتي لوظيفة تدعيمية، فهذه المقطوعات الحجاجية الصناعية، غالبا ما تؤدّي وظيفة التدعيم إلى جانب وظيفة إعادة التوازن بين المتكلم والمخاطب، بعدما يعتري العملية التخاطبية نوع من الخفوت في التفاعل "[2] ويترك المجال للإخبار بأن يسيطر لما يحمله من معطيات حجاجية، فيسهم في تمديد الخطاب.

ومن هنا نصل إلى سبب طول في القصيدة التي بعث بها إلى سيف الدولة يعرّفه خروجه إلى الشام في جموعه ويحذّره منه فهي تتكوّن من واحد وخمسين بيتا (51) يبدؤها بمقدّمة طلليّة طويلة، حوت ستّة عشر بيتا (16) تمثّلاها فخر شخصي حاز ثمانية عشربيتا(18)، وبعد هذه المساحة الكبيرة يقدّم الخبر الذي كتبت لأجله القصيدة وهو توجّه الدمستق نحو الدولة الحمدانية ،في ثلاثة أبيات (3) فقط ويردفها بأبيات لأربعة (4) فيها من الشحن بواسطة أفعال كلامية ... ويشرع في رصف الحجج القائمة على المشترك ويراعي في ذلك المقام الذي سترد فيه الحجج، الذي يتمثّل في أنّ الجيش الرومي يفوق الجيش الحمداني عدّة وعتادا وهي-كما ترى آمنة بلعلى-تأتي عندما يحسّ المتكلّم بأنّ كفاءته اللغوية لم تعد قادرة على مواصلة المسار التواصلي، فتكون هذه الحجج بمثابة البديل، وقد تأتي لوظيفة تدعيمية، فهذه المقطوعات الحجاجية الصناعية، غالبا ما تؤدّي وظيفة التدعيم إلى جانب وظيفة إعادة التوازن بين المتكلم والمخاطب، بعدما يعتري العملية التخاطبية نوع من الخفوت في التفاعل " ويترك المجال للإخبار بأن يسيطر لما يحمله من معطيات حجاجية، فيسهم في تمديد الخطاب، ففي قوله:

---

[1]-ينظر: محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي،-مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا.إفريقيا الشرق، ط2. 2002، ص: 90.

[2]-ينظر: آمنة بلعلى: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، ص: 120.

في قوله:من البسيط

فبنو كلاب وهي قلّ أغضبت ... فدهت قبائل مسهر بن قنـــان [1]

وبنو عباد حين أحرج حارث ... جرّوا التخالف في بني شيبـــان

خلّوا عديّا وهو صاحب ثأرهم ... كرما، ونالوا الثأر بابن أبـــــان

والمسلمون بشاطئ اليرموك لـــ ... مّا أحرجوا ، عطفوا على هامان

وحماة هاشم حين أحرج صدرها ... جرّوا البلاء على بني مـــــروان

والتغلبيون احتموا عن مثلها ... فعدوا على العادين بالســـــلان

وبغى على عبس حذيفة فاشتفت ... منه صوارمهم ومن ذبيـــــــان

وسراة بكر، بعد ضيق فرّقوا ... جمع الأعاجم عن أنوشـــــروان

أبقت لبكر مفخرا وسما لها ... من دون قومهما يزيد وهـــــاني

المانعين العنقفير بطعنهم ... والثائرين بمقتل النعمـــــــــــان

إن مناط الحجاج في هذه الأبيات هو الانطلاق من الفئة القليلة التي تمثل الحق وهزيمتهم للفئة الكثيرة، فالفئة القليلة هي الدولة الحمدانية التي تتاخم حدودها الروم الذين يمثلون الفئة الكثيرة الظالمة.

وأبو فراس يلجأ لقوة العنصر العربي من خلال إيراد أمثلة تاريخية تثبت تفوق القبائل العربية على قوى الشر والطغيان ويبدو من أن "بني كلاب هزمت قبائل مسهر بن قنان على كثرتها".[2]

ويشير إلى يوم التخالف وهو يوم من أيام بكر على تغلب ومفاده هو أن الحارث بن عباد قتل بابنه بحير ابن أبان بدل صاحب ثأره المهلهل. ويكمن الاحتجاج هنا في ضرورة القيام بفعل الدفاع عن روح القريب فرغم أن ابن عباد لم ينجح في الثأر لابنه من المهلهل إلا أنه قام بفعل الثأر. واستهدف واحدا من رجالات تغلب وهو ابن أبان.

ويستدعي مثلا تاريخيا إسلاميا يتمثل في موقعة اليرموك الشهيرة ،والتي جمعت بين جند المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وانتصارهم على الروم الذين استنجدوا بالأرمن الذين يقودهم هامان.[3]

ويتخذ من انتزاع بني العباس وهم الهاشميون للخلافة من بني مروان[4]. وهم: الأمويون في وقت كان فيه العباسيون قلة لكنهم نجحوا في اعتلاء سدة الحكم بدلا من الأمويين. وهو مثال تاريخي يثبت انتماء

---

[1]-ينظر: أبو فراس الحمداني:الديوان، ص: 306.305.

[2]: ينظر: المصدر نفسه ص 305.

[3]: ينظر: المصدر نفسه، ص نفسها.

[4]: ينظر: المصدر نفسه، ص نفسها.

الحمدانيين ولو شكليا للدولة العباسية. واعتزازهم بذلك الانتماء. لأن هذه الدولة حسبهم قامت على حق أل البيت في الخلافة. وقد تحقق لها مرادها بعد هزيمة الأمويين.

ويحتج بالأصل التغلبي للحمدانيين ، وبداياته تحديدا لما كسر كليب وائل- الذي يقود العدنانيين- العرب القحطانيين والتخلص من سيطرتهم.[1]

ويضرب المثل بأحداث حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، وفي أن حذيفة بن بدر سيدذبيان ظلم وأخطأ في حق العبسيين ، "حين بعث ابنه مالكا إلى قيس بن زهير يطلب إليه حق السبق ، فقال قيس : كلا لا مطلتك به، ثم أخذ الرمح فطعنه به فوق صلبه، فرجعت فرسه عائرة، فاجتمع الناس واحنملوا دية مالك مائة عشراء، وزعموا أن الربيع بن زياد حملها وحده فقبضها حذيفة وسكن الناس، ثم أن مالك بن زهير نزل اللقاطة من أرض الشرية فأخبر حذيفة بمكانه فعدا عليه فقتله(...) فقال بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا ، فأبى حذيفة أن يردّ شيئا ، وكان الربيع بن زياد القيسي عم قيس مجاورا لبني فزارة(...) وكان بينه وبين قيس بن زهير بغضاء وخصام، فلما قتل مالك بن زهير قال بنو فزارة: قتلنا مالك بن زهير، قال : بئس ما فعلتم بقومكم ، قبلتم الدية ثم رضيتم بها وغدرتم ، قالوا : لولا أنك جارنا لقتلناك (...) بعد ثلاث ليال أخرج عنا ، فخرج ، واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه ، وأتاه قيس بن زهير فعاقده(...) ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان إلى بني فزارة وذبيان ، ورئيسهم الربيع بن زياد ، ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر ، واستمرت الحرب بين الفريقين أربعين سنة".[2]

ويحتج بقصة انتصار العرب على كسرى أنوشروان وجيشه الكبير في موقعة ذي قار، التي تبدأ من أن عدي بن زيد العبادي كان أستاذا للنعمان بن المنذر ، ثم التحق عدي بخدمة أنو شروان وعندما مات المنذر أشار عدي على كبرى بتولية النعمان على الحيرة مكان أبيه. ثم وشى خصومه بشعر. ولكنه خاف منه فقتله، واحتل زيد مكان أبيه عدي في خدمة كسرى، وأخذ يحرض كسرى على النعمان فاستدعاه من الحيرة فلجأ إلى هاني بن قبيصة مستجيرا به ، ووضع عنده أمواله وسلاحه وبناته. وذهب إلى كسرى فحبسه حتى مات في السجن، وولّى مكانه على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي وأمره أن يأخذ أمانات النعمان من هانيء، فطلبها منه فرفض فثار كسرى وانتظر على بني شيبان، حتى أنزلهم الحر بـــ**ذي قار** وأرسل إليهم جيشا كثيفا يحاربهم به. ولكن بني شيبان وأحلافها من العرب صمدوا لجيش الفرس وهزموه هزيمة منكرة، وانتصر العرب انتصارا مؤزرا. وفي هذا اليوم خطب هاني يقول: "يا معشر بكر هالك معذور خير من تاج قرور" وكان هذا اليوم مبعث الرسول صلّى الله عليه وسلّم.[3]

---

[1]-ينظر: أبو فراس الحمداني:الديوان، ص: 305.

[2]- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الادبية في العصر الجاهلي،دار الجيل بيروت، ط1، 1992. ص: 81.80.

[3]: ينظر : المرجع نفسه ، ص: 98.97.

وأنّ من حقّ الحمدانيين الذّود عن بلادهم ،كما دافع العرب المذكورون في الحجج عن قبائلهم وأفكارهم وكلّ هذه الحجج تلفت الانتباه من حيث أنّ كل الحوادث المكورة كان الانتصار فيها حليفا للعرب وللقلّة،على الظالمين الكثرة وهذه الحجج من حيث مناسبتها للمقام يتجلّى في أنّ كل تلك الحجج تمثل دفعا إيجابيا وتشجيعا معنويا لسيف الدولة وبني حمدان. ويرى الزركشي أن الحكم والأمثال:" تصور المعاني تصور الأشخاص فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيما بالحواس: بخلاف المعاني المعقولة: فإنها مجردة عن الحس ولذلك دقت، ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما عند السامع".

"وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى، إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والشاهد بالغائب وفيه أيضا تبكيت الخصم"[1].

"وعن ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة، التذكير والوعظ، والبحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبته المحسوس إلى الحس"[2]

وسنرصد كيفية استدعائه للحجج القائمة على الأمثلة التاريخية، والتي تقوم على توظيف المقومات الثقافية والتاريخية المشتركة بينه وبين مختلف المتلقين لخطابه الشعري ومدى مواءمة هذا الخطاب لعقلياتهم؛ ونجد أكثر ذلك الاستعمال مع سيف الدولة ومع والدته، وسنستعرضها كما يلي:

1-سيف الدولة الحمداني:

ففي قوله :[من الوافر]

وقد جرت الحنفاء حتف حذيفة وكان يراها عدة للشدائد[3]

وجرت منايا مالك بن نويرة عقيلته الحسناء أيام خالد

وأردى ذوابا في بيوت عتيبة بنوه وأهلوه بشدو القصائد

ويورد الثعالبي أن :"الحنفاء :أراد بها القوس، و الحنف في الأصل الاعوجاج."[4]والمحتمل أن إيراد حذيفة حذيفة وهو حذيفة بن بدر[1]، أنه لما بعث ابنه مالكا الى قيس بن زهير يطلب منه حق السبق، فقال قيس:

---

[1]- الزركشي، بدر الدين : البرهان في علوم القرآن، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، د.ت.ط .ص: 486.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص: 486،487.

[3]-ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان ،ص: 89.

[4]-ينظر:الثعالبي، يتيمة الدهرفي محاسن أهل العصر،ص:82.

كلا، لا مطلتك به؛ ثم أخذ الرمح وطعنه به فوق صلبه، ورجعت فرسه عائرة، فاجتمع الناس فاحتملوا دية مالك مائة عشراء، وزعموا أن الربيع بن زياد حملها وحده، فقبضها حذيفة وسكن الناس.[2] وهذا دليل على الفعل السيّء الذي يؤدي حتما إلى نهاية صاحبه بسبب التعسف الذي يطبّقه على الآخرين ، وقد وردت في مقام ذكره للحساد ، الذين يقومون بأدوار يلبية ومعيقة ، تعرقل الشاعر من الارتياح لعلاقاته مع قومه في وجود تعنّتهم.

ويحتج .بمالك بن نويرة البطل الإسلامي الذي قتله خالد بن الوليد في حروب الردة التي قادها في زمن أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–، ويقصد في البيت الثالث إلى الاستشهاد بعتيبة بن الحارث، وذؤاب أسيره.الذي لم يقم أهله بفدائه ، وعندما مات في أسره شدوه بالقصائد.

إن الأمر المشترك في الأبيات الثلاثة هو الموت ؛ الذي يأتي عن طريق الاحتكام للرأي الشخصي والإسراع في تنفيذه، مما يجرّ وبالا على صاحبه، وهو هنا يحاول إقناع الحساد بضرورة التحلّي عن الأفعال الظالمة والمنطلقة من الذاتية،و يحذّرهم من النهايات التعيسة للأمثلة التاريخية المذكورة.

ويضرب المثل في خيانة الأهل والأصدقاء بقوله:[من الطويل]

وفارق عمرو بن الزبير شقيقه وخلّى أمير المؤمنين عقيل[3]

فعمرو بن الزبير فارق أخاه عبد الله بن الزبير، وذلك لما" أمّره عمرو بن سعيد على جيش من المدينة، حيث ضرب على أهل الديوان البعث إلى مكة وهم كارهون للخروج، فقال إما أن تأتوني بـــأدلاّء وإما أن تخرجوا، قال فبعثهم الى مكة، فقاتلوا عبد الله بن الزبير، فانهزم عمرو بن الزبير وأسره أخوه عبد الله فحبسه في السجن [4]" واستغنى عقيل بن أبي طالب عن أخيه علي وذلك لّما "قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية، أكرمه وقربه وقضى حوائجه وقضى عنه دينه، حيث خرج الى معاوية مغاضبا لأخيه علي، وذلك حين سأل أخاه عليّا أن يقضي عنه دينه، فأمهله علي حتى يخرج اليه عطاؤه، فظن عقيل أنه يسوقه، فتركه وذهب الى معاوية، وقال رجل لعقيل انك لخائن حيث تركت أخاك وترغب الى معاوية. قال: أخون مني والله من سفك دمه بين أخي وابن عمي أن يكون أحدهما أميرا."[5] والحجة في هذا البيت هو أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم الأصفياء بعد الأنبياء ، وهم الذين عايشوا الرسول –صلى الله عليه وسلم– لم

---

[1]–وهو أحد اللذين أدالروا رحى حرب داحس والغبراء،للتوسع ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي،دار الجيل بيروت .ط1992،1.ص 79.

[2]–ينظر :المرجع نفسه ،ص:80.

[3]–ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان ،ص: 233.

[4]–ينظر : ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، د.ط .1986.ج4.ص:377.

[5]–ينظر : المرجع نفسه ،ج4.ص:5.4.

يأمنوا أن يحدث لهم السوء والاختلاف الذي يؤدي إلى القطيعة، فما بالك بالعصر الذي يعيش فيه أبو فراس، فهو في مرحلة فقد للثقة حتى في أقرب الناس إليه، ولا يستغرب أن يكون تصرف قومه سلبيا ، مقارنة بتصرف الشخصيات في المثال الوارد.في سياقمساندته لأمه والعمل على دعوتها إلى الصبر ، وعدم الاستغراب من تصرفات سيف الدولة ، مادام أن في التاريخ الإسلامي السابق أمورا مشابهة لما يحدث للشاعر ، من إهمال وعدم الاكتراث لأمره.

ويضرب الأمثال بالتاريخ الإسلامي المشرف في محاولة إقناعه لأمه بضرورة تحلّيها بالصبر، لأن لها ابنا فارسا، ويقدّم لها نماذج إيجابية في هذا المجال؛ في قوله:[من الوافر]

أمالك في ذات النطاقين أسوة بمكة والحرب العوان تجول[1]

أراد ابنها أخذ الأمان فلم تجب وتعلم علما أنه لقتيـــــــل

وكوني كما كانت بأحد صفية ولم يشف منها بالبكاء غليل

ولو رد يوما حمزة الخير حزنها إذا ما علتها رنة وعويـــــل

حيث يصور أسماء بنت أبي بكر وهي تشجع ابنها ، ودفعه إلى ساحة الحرب ، رغم أنه فلذة كبدها وتشجعه على الشهادة والثبات على مبدئه. ويصور مرحلة تالية للدفع بالعزيز إلى الحرب وهو استقبال خبر استشهاده في مثال بطلته صفية بنت عبد المطلب وأخوها حمزة عمّ النبي—صلى الله عليه وسلم- بأن الإسلام لم يمنع النساء من الوقوف إلى جانب الرجل في الحرب ومساعدته.

ويؤكد بأنه ليس الوحيد من العرب الذي جاد بنفسه في سبيل العلا والمجد ؛ ففي قوله:[من الوافر]

وفي طلب العلا مضى بجير وجاد بنفسه كعب بن مام[2]

وبجير هو ابن الحارث بن عباد، وهذا الأخير يعد بطلا من أبطال حرب البسوس بين بكر وتغلب من ربيعة، وكان قد اعتزل تلك الحروب بين بكر وتغلب، حيث أنه لّما "أسرف مهلهل في القتل و لم يبال بأي قبيلة من قبائل بكر، وكان أكثر بكر قد قعد عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليب بن وائل، فكان الحارث بن عباد اعتزل الحرب حتى قتل ابنه بجير، فلما بلغ الحارث قتله قال: نعم القتيل قتيلا أصلح بين ابني وائل."وكان ذلك سبب يوم قضة.[3] ، وكعب بن مام، هو" كعب بن مامة الإيادي وهو أحد الثلاثة الكرماء في الجاهلية، و لم يأت عنها إلا ما ذكر من ايثاره رفيقه النمري (أو يقال له السعدي) بالماء حتى مات عطشا ونجا النمري "من جاد بشربة ماء –كانت قادرة على أن تحفظ حياته–لصديقه وكأنه جاد بنفيسه في ذلك

[1]–ينظر: أبو فراس الحمداني :الديوان ص:233.

[2]–ينظر : المصدرنفسه،ص:276.

[3]– ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي،ص:89.وللتوسع ينظر ص:85. وما بعدها.

الموضع".[1] فأبو فراس يستمد من أصله التغلبي مثالا على التضحية في سبيل الأمن والاستقرار، وحيث الجود الجود بالنفس يمثّل أعلى درجة من درجات التضحية.

2.3. التشخيص: personnification

يصنف طه عبد الرحمن هذه الظاهرة نوعا من أنواع الحجاج أطلق عليه اسم: "الحجاج التقويمي" وهو: "إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية يتزلها منزلة المعترض على دعواه ،فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا على حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل المتلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به. مستبقا استفساره واعتراضاته، ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها، وهكذا فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار بينه وبين نفسه،ومراعيا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية حتى كأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه"[2].

ويقول عنه بنفنيست بأنه خاصية تلفظية بالنظر إلى أن التلفظ يتميز بحدة العلاقة الخطابية مع الشريك سواء كان شريكا حقيقيا أو متخيلا"[3]

وقد عمد أبو فراس إلى تشخيص المعاني المجردة ومظاهر الطبيعة الجامدة. وكثيرا ما كان يلجأ إلى الطبيعة يبثها آلامه وأحزانه. فيسقط عليها أحاسيسه ويشخص مظاهرها. وقد رسمت تشخيصاته ملامح قاتمة الألوان إذ عمد إلى إضفاء القساوة والجهامة على تشخيصاته:

أ. **تشخيص المجردات:** إن من أهم التشخيصات التي قدمها أبو فراس المعاني المجردة تشخيصه للدهر فأكسبه صورة سوداوية الملامح في مواطن عدة من الروميات كقوله:[من البسيط]

يادهر خنت مع الأصادق خلتي وغدرت بي في جملة الإخوان[4]

حيث نلاحظ أنه يدخل في حوار مع الدهر، ويخاطبه ويؤنبه وكأنه إنسان خائن للشاعر بعد أسره.

ويعيش دهره وهو غير مرتاح لأنه لايوجد أمر مطلق مع هذا الدهر فكل شيء ينطلق من النسبيةوالريبة في قوله:[من الطويل]

---

[1]-ينظر : ابن عبد ربه: العقد الفريد،ج1،ص:293.

[2]- ينظر: طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص:228.

[3]- ينظر: حبيب أعراب : الحجاج والاستدلال الحجاجي،(عناصر استقصاء نظري)مجلة عالم الفكر الكويت، ع1. سبتمبر.2001 ص: 104.

[4]- ينظر: أبو فراس الحمداني:الديوان،ص212.

فمن حسن صبر بالسلامة واعدي ومن ريب دهر بالردى متوعدي[1]

ويجعل الدهر هو القدر الذي أسره فيقول:[من الطويل]

أقلني أقلني عشرة الدهر إنه رماني بهم صائب النصل مقصد [2]

والدهر من بين عداه إذا ما اقترن بالموت؛ فالدهر عدو، و المنية ترميه عن يد لا تخطيء هدفها:[من الطويل]

ولم أدر أن الدهر في عدد العدى وأن المنايا السود يرمين عن يد[3]

ويصور الدهر بأنه وحش مفترس:[من الطويل]

وهل نافعي إن عضني الدهر مفردا إذا كان لي قوم طوال السواعد[4]

ورغم هذا فالدهر محكوم فهو لايصيب عبثا بل هو محكوم بقدر الله يقول:[من الطويل]

ولا وأبي ما يفتق الدهر جانبا فيرتقه إلا بأمر مسدد [5]

ويليه تشخيص الموت. وقد استعملها بمرادفاتها؛ المنايا، الردى، فالموت يحاصر الشاعر جيئة وذهابا لأن الشاعر فارس محارب ولا غريب من أن يلتقي الموت في كل معركة فيقول:[من الطويل]

وقورو أحداث الزمان تنوشني وللموت حولي جيئة وذهاب[6]

والموت وحش يتخطى كل العراقيل ليقضي على ضحيته في قوله:[من الطويل]

يا ويح خالك بل يا ويح كل فتى أكلّ هذا تخطّى نحوك الأجل [7]

والموت لا يبالي بأهمية الشخص أو جاهه في قوله في تعزيته عن ابن سيف الدولة:[من البسيط]

يا من أتته المنايا غير حافلة أين العبيد وأين الخيل والخول [1]

---

[1]- ينظر: المصدر السابق ، ص: 83.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ،ص:85.

[3]- ينظر: المصدر نفسه،ص:86.

[4]-ينظر: المصدر نفسه، ص: 87.

[5]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 85.

[6]- ينظر: المصدر نفسه ،ص74.

[7]-ينظر: المصدر نفسه.ص:205.

والموت فارس عدو يلقاه في المعركة فيحدث فيه جراحا: :[من البسيط]

ولكن لقيت الموت حتى تركتها وفيها وفي حد الحسام فلول[2]

سمح التشخيص للشاعر بتوظيفه للإقناع ، وذلك لاستناده على استدعاء ذوات و العمل على محاورتها . و نستنتج أن أكثر الذوات المستدعاة في الروميات كانت ذواتا مجردة ،وجدنا أنها في أغلب الأحيان تمثلت في الدهر و الموت؛ الدهر الذي له صورة الخائن، الغدار، الذي يمثل شخصية معيقة لسير الأحداث بالنسبة لأبي فراس ، و الموت الذي يمثل حافزا للبقاء حيث لا وجود للموت إلا بوجود أبي فراس ندّا له. و هذا ما يجعل الروميات تدور في سجال بين الشاعر و حسرته من دهره و مقاومته للموت.

فهناك تحاور بين الشاعر و بين الدهر و الموت. والتشخيص ساهم في تبيان خطر هذين العدوين على سير الأحداث في أسر أبي فراس، ثم في تعذر فدائه، رغم أن له تاريخا يشهد له بتقديم المقابل المتمثل في شجاعته، ومجابهته للموت في كل المعارك التي خاضها قبل أسره. و هذا ما يحمل المتلقي على الاقتناع بأمرين :

الأول : سوء حظ أبي فراس حيال دهره ؛الذي مثل ذاتا معيقة للأحداث مثله مثل الحساد الذين يوغلون صدر سيف الدولة و يحبطون مساعي الشاعر.

الثاني :حمل المتلقي على الإقناع بشجاعة أبي فراس في المعارك و ضرورة وجوده فيها، من خلال حمل المتلقي على استنتاج هذا الأمر ثم الإذعان له.

في ختام هذا المبحث نصل إلى جملة من النتائج تتمثل في ما يلي:

- انطلقنا من فرضية مفادها أن لا خطاب بلا حجاج، فلا وجود لخطاب شعري كان أو نثري. لا يقال لغاية تتمثل في إقناع المتلقي وحمله على الإذعان لما يقول الشاعر

[1]- ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان،ص:205.

[2]ينظر، المصدر نفسه، ص:35.

– يتوفر في روميات أبي فراس الحمداني التوجه الإقناعي وذلك لأنه يروم من إنشاء روملياته وإرساله للحمدانيين، وبالتالي ذيوعها وشيوعها بينهم يروم لهدف هو إقناع المسؤول المباشر عن عملية الفداء وهو ابن عمه أمير الدولة الحمدانية سيف الدولة. بضرورة الإسراع بالفداء. لفوائد يعرضها أبو فراس من خلال استغلال غرض الفخر في ذلك. والذي يقوم أساسا على الانطلاق من مذات الشاعر بوصفها حالة مثالية والدعوة إلى وضعه في سياقه الذي من المفترض أن يكون فيه، وغالبا ما يكون ساحات الحروب لمدافعه الأخطار التي تحدق بالدولة الحمدانية. ويستمد هذا النوع من الحجاج شرعيه من مطابقته للواقع. وذلك لأن ما يحدث في الواقع يؤيد ما يذهب له أبو فراس في قصائده وهو دوام حالة التأهب في الدولة الحمدانية على صعيدين الصعيد الداخلي أمام القبائل العربية الثائرة وخارجيا أمام الخطر الأجنبي المتمثل في حرب الروم والاستعداد لذلك من خلال التواجد في الثغور وهي المناطق المتاخمة لحدود الدولة العباسية والروم.

- إن الحجج المستمدة من المشترك والمتمثلة في الأمثلة التاريخية كانت لها شرعيتها أي أنها تجمع بين الشاعر وبين قومه من زاوية أنها تخص تاريخ الثقافة العربية. وهذه الحجج تلاءمه إلى حد كبير مع السياق الذي وردت فيه وبالتالي تم فسح المجال لتأثيرها المرتقب على المتلقي الذي يخاطب بأحداث مستمدة من ثقافته الأصيلة. مما يجعله يعثر بذلك التاريخ ويوافق ضمنيا على قول الشاعر وبالتالي التفاعل معه من خلال التواصل الذي يكون في أدنى درجاته في طريقة تقبل المتلقي للحجج التاريخية التي صادق على وجودها مسبقا وكسب الشاعر تأييد المتلقي من باب أنه خاطبه بما هو متواتر عنده ويمس أخلاقه العربية الكريمة خاصة كاستعمال الحجاج بأيام العرب في الجاهلية والإسلام مثلا.

و كسب الشاعر تأييد المتلقي من باب أنه خاطبه بما هو متواتر عنده، ويمس أخلاقه العربية الكريمة خاصة كاستعمال الحجاج بأيام العرب في الجاهلية و الإسلام مثلا.

– قام أبو فراس باستغلال الإمكانات التي تمنحها الآليات اللغوية ،كالتكرار الذي يتجلى استعماله و كونه خاصية أسلوبية في الروميات. و من خلال تكراره لاسم الفاعل و اسم المفعول و صيغة المبالغة و أفعل التفضيل – و لو بقلة — نستنتج أنه استغلال الدلالات التي يضفيها استعمال تكرار هذه الصيغ و المتمثلة في دوام الحال، و الدلالة على الصفة و المبالغة فيها .

وقرنها بقيم تداولية تتمثل في التأكيد للمتلقي على وجود هذه الأسماء التي تكون صفات يتحلى بها الشاعر في الخطاب الشعري و محاولة حمله على الاقتناع بها. عن طريق إيرادها في السياقات التي تمس أمن المتلقي،

وإيمان أبي فراس بضرورة تواجده في مكانه المنوط به في هذه الظروف، من خلال التأكيد على استعمال هذه الصيغ اللغوية من خلال تكرارها من جهة. و من جهة أخرى إثبات بقاء صفات الفارس الذي يذود على حماه من خلال صيغ الفاعل خاصة و كونه ابتلي بسوء الحظ من خلال تحمله لاسم المفعول.

ساعدت كل هذه الصيغ بطريقة أو بأخرى في إقناع المتلقي و حمله على الإذعان.

- ساعدت الآليات البلاغية في إثبات دعاوى قال بها أبو فراس، وهذا ما استنتاجاه من خلال تتبعنا للطاقة الحجاجية التي تحملها مختلف الصور البيانية، واستخراج السلالم الحجاجية المستمدة منها، حيث نستنتج أن الخطاب الأدبي الذي يعتمد على استعمال الصورة البيانية في الحجاج أقوى تأثيرا من القول العادي، لأنها توفر إمكانية التأثير على مختلف المتلقين من خلال إحكام عرى التواصل معهم من خلال دعوتهم للقيام بعمليات استنتاجيه تتراوح بين البساطة والتعقيد، ولكنها في نهاية الأمر تؤدي حتما إلى الوقوف على قدرة أبي فراس على استعمال الصور البيانية بطريقة تلفت انتباه المتلقي ، وتدفعه للاستنتاج مما يجعله يتأثر بما يسمع و يقبل على مساندة آراء أبي فراس على الأقل، أو على فعل ناتج عن التأثير الذي طبقه الشاعر على المتلقي من خلال استغلال السياق الذي ترد فيه الأقوال و الصور و العبارات الحجاجية، والذي يكون ملائما لطبيعة المتلقي من حيث كونه حمدانيا. حسودا أو قريبا مقربا كسيف الدولة ، أو أخ أبي فراس أباالهيجاء ،أو من خلال كونه عدوا مناوئا له كالروم. كل هذا خضع له اختيار الصور البيانية و شحنها بطاقة حجاجية تضمن من المتلقي إصرار على تحليلها للوصول إلى مكامن قصد أبي فراس من إيرادها .

- لعب التشخيص دورا كبيرا في الإقناع، وذلك لاستناده على استدعاء ذوات و العمل على محاورتها . و نستنتج أن أكثر الذوات المستدعاة في الروميات كانت ذواتا مجردة وجدنا أنها في أغلب الأحيان تمثلت في الدهر و الموت؛ الدهر الذي له صورة الخائن، الغدار، الذي يمثل شخصية معيقة لسير الأحداث بالنسبة لأبي

فراس ، و الموت الذي يمثل حافزا للبقاء حيث لا وجود للموت إلا بوجود أبي فراس ندّا له. و هذا ما يجعل الروميات تدور في سجال بين الشاعر و حسرته من دهره و مقاومته للموت.

هذا ما سمح لنا بلمس تحاور بينه و بين الدهر و الموت. و تشخيص ساهم في تبيان خطر هذين العدوين على سير الأحداث في أسر أبي فراس، ثم في تعذر فدائه، رغم أن له تاريخا يشهد له بتقديم المقابل المتمثل في شجاعته، ومجابهته للموت في كل المعارك التي خاضها قبل أسره. و هذا ما يحمل المتلقي على الاقتناع بأمرين :

الأول : سوء حظ أبي فراس حيال دهره ؛الذي مثل ذاتا معيقة للأحداث مثله مثل الحساد الذين ....لسيف الدولة و يحبطون مساعي الشاعر.

الثاني :حمل المتلقي على الإقناع بشجاعة أبي فراس في المعارك و ضرورة وجوده فيها من خلال حمل المتلقي على استنتاج هذا الأمر ثم الإذعان له.

– تلعب الإشاريات و الأفعال الكلامية دورا في الحجاج، و هذا ما لم نتطرق له في هذا البحث لتفادي تكرار الأمثلة وبالتالي تكرار الاستنتاجات، رغم إدراكنا البون الشائع بين إستراتيجية الإقناع و إستراتيجية التضامن و التوجيه.اللتين تنتهيان بنوع من الإقناع في نهايتهما .

المبحث الثالث: الأفعال الكلامية في الروميات

أ. الاستفهام

ب. النداء

ج.الأمر والنهي

د.التمني

هـ.خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر

و.التعبير الكنائي

المبحث الثالث: الأفعال الكلامية

ترد الأفعال الكلامية وهي التي تتمثّل في الأساليب الإنشائية ، هذه الأساليب التي تتناسب مع السياق الذي ترد فيه وتخرج عن الأغراض الأصلية التي وضعت لها، وقد صيغت في هيئة طلبية تستدعي مطلوبا يثبت حصوله بتلفظه، وهو طلب المشاركة التخاطبية التي تمثل البديل لما افتقده الشاعر، مثل الرحمة

والاستعطاف والرجاء، والتي تعبّر عن أثر نفسي ناشئ عن احترام قوانين الخطاب التي هي بمثابة حقوق وواجبات تؤدّى في الخطاب.

وتعمل هذه الأغراض الشعرية على استدراج المخاطب باستعمال أساليب قائمة على الطلب، عن طريق الاستفهامات والنداءات المتكررة والأوامر والنواهي ...، التي يلقيها الشاعر، والتي تخرج إلى الاستمالة في حال انعدام ردود أفعال المخاطب المفترضة أو المنتظرة ، وتتظافر هذه الأساليب لزيادة القوة الإنجازية للأفعال، فقد نجد الاستفهام مع الأمر في نفس البيت الشعري، وذلك ما يدفعنا إلى ترجيح الفعل الذي نراه يتلاءم مع قصد المتكلم في ذلك السياق التواصلي، من خلال الاعتماد على الغرض المتضمن في القول في ذلك الموضع، ونحن لا نطلق حكما قيميا على الأفعال الكلامية من حيث قدرتها على الإنجاز والفعل في المتلقي، وبالتالي القول بأنها ناجعة من حيث تطبيق القوة الإنجازية على المتلقي، بل حتى وإن لم تدفعه للإنجاز، فإنها على الأقل توجهه للفعل، حيث تجعله يتفاعل مع ما يطرحه المتكلم من أفكار .

وأبو فراس كان يهدف إلى إسماع صوته من الأسر، واستغلال قدرته على مدّ جسور التواصل مع متلقيه، فكان ينطلق في أغلب الروميات من الشكوى والتشوق والاستعطاف، وذلك ليكسب اهتمام المتلقي بما يقوله، ليفسح المجال في داخل القصائد لتقديم أفكاره.

و بهذا فهو ينطلق في التخاطب مع المتلقي الذي يعمل على استحضاره، بإثارته من خلال استفهامات ونداءات ، يحاول المتلقي إيجاد أجوبة لها، وتقتضي تفاعلا مع الشاعر.

وقبل الدخول في تحليل مختف الأفعال الكلامية في الروميات ، نبدأ بإبراز معالم الاستعانة بمدأ التعاون الذي يعدّ أهم مبدأ تعتمد عليه نظرية الأفعال الكلامية ، فأهم شيء يركز عليه **غرايس** في صياغته **لمبدأ التعاون** ؛هو قدرة هذا المبدأ على توجيه أفعال المتكلم للدلالة على قصده، حيث يمارس ضغطا على المتلقي، وقيدا خطابيا ولو بسيطا من أجل توجيهه لفعل معين في المستقبل.

لأن غاية ما يهم المتكلم هو تحقيق هدفه من الخطاب. وتساعد الإستراتيجية التوجيهية على إنجاز الأفعال، من خلال تطبيق مبدأ السلطة بين طرفي الخطاب ودرجة التفاوت فيها بينهما.

وفي روميات أبي فراس الحمداني نجد احتراما لمبدأ التعاون، من خلال وجود مناسبة القصيدة التي يوردها ابن خالويه راوية الديوان قبل إيراد نص القصيدة، وذلك من خلال الاتفاق المسبق على السير الذي يتوجه نحوه النص؛ من حيث كون القصيدة مناظرة، أو عتابا، أو جوابا عن سلوك معين، حتى وإن كان هذا الاتفاق ضمنيا، وهذا ما يدعو المتلقي القاريء إلى عدم الاستغراب من وجود نبرة عنيفة بين أبي فراس وسيف الدولة مثلا ، فذلك يعود إلى أن سيف الدولة فتح المجال أمام الشاعر للدفاع عن نفسه ، وإمكانية الانفعال أثناء ذلك ، وهو لايؤثر على سير العملية التواصلية لأنه في كل مرة ، يعود لاستعمال استراتيجية تضامنية يعمل فيها على كسب المتلقي.

فمثلا نلاحظ أن تقريع سيف الدولة واتهامه أبا فراس بمراسلة صاحب خراسان إن عجز الأمير عن سداد مال الفداء، يثير حفيظة الشاعر ويدفعه إلى الدفاع عن نفسه دون استغناء عن وضع حدود للتأدب مع المخاطب.

وعن تطبيق قوانين الخطاب المنبثقة عن مبدأ التعاون نلاحظ ما يلي:

- **قانون الصدق:** فتجربته تحمل وجها من وجوه المعاناة التي يعيشها الأسير، فالشاعر بذل النفس رخيصة في سبيل الذود عن حصن منبج الذي ولاّه سيف الدولة عليه، والصدق من أبرز مظاهر التعبير عن العواطف والتجارب النفسية كالأسر مثلا. فالشاعر شارك مخاطبه همومه بصدق، صدق لا يهم فيه إن كان مبالغة أم لا المهم أنه قدم صورة صادقة عن خوالج نفسه.

- **قانون الإخبارية والشمولية:** وذلك من خلال التزام الشاعر بمبدأ الكمية، من خلال اهتمامه بنقل الخبر بالاستعانة بالتوسع والاسترسال،هدا ما نلمسه حين كان يعاتب أويشكو فإنه ينشئ قصائد طويلة. فهو يقصد إلى التفصيل في الإخبار؛ سواء أكان تعبيرا عن معاناته جرّاء الأسر، وإصراره على الإخبار عما يدور في نفسه.

- **قانون الإفادة:** وذلك من خلال جعل كلامه مناسبا للمقام الذي يرد فيه بتقديم نتائج يستفيد منها المتلقي، تتمثل فيما يسوقه من خبرة بالحياة وتجربة وباع في القتال والتدبير والقيادة، كل هذا يمنحه أبو فراس لمخاطبه في قالب حكمة تلخّص تجربة ثريّة، والتزامه بمناسبة القصائد ففي خطابات التعزية لا يزيد بأن يساند المتلقي وهو سيف الدولة، لكنه لا يضيع فرصة تذكير ابن عمه بأنه أسير لم يفد.وفي النصوص الأدبية خاصة يصعب علينا إسناد دور حقيقي وفاعل للمخاطب لكن يمكننا في أي حال وصف أبعاد العلاقة بين المتكلم والمتلقي من خلال ظهورهما في النص ، فالقارئ يهتم بكيفية مقدرة الكاتب على ضمان التفاعل واستمرارية النشاط الخطابي بينه وبين المخاطب المفترض، من خلال رصده لتشكل العلاقة بين المتكلم والمتلقي.

وكذلك في المناظرتين اللتين أجراهما مع الدمستق ؛ الأولى في الطعن في شجاعة العرب وأنهم رجال قلم لا سيف، والثانية في الدين، حيث يرمي بثقله أمام هذا المتلقي ويفخر بانتمائه العربي وبقومه.

أما عند القيام بتحليل الأفعال الكلامية، فإننا سسنهتم بمدى ملاءمة الغرض المتضمن في القول للمقام الذي ورد فيه الفعل الكلامي، وتبيان سبب وروده على الأسلوب المباشر أوالأسلوب غير المباشر، ورصد العوامل المقامية التي تعمل على استدعاء التعابير الكنائية بوصفها مستوى ثانيا من الاستعمال غير المباشر للأفعال الكلامية.

أ. الاستفهام:

– **الموجه إلى سيف الدولة:** يصنف أغلب البلاغيين الاستفهام على أنه من الإنشاء الطلبي، ويميزه السكاكي بقوله: «إنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج نقش مطابق، فنقش الذهن في الأول (أي الاستفهام) تابع وفي الثاني (أي باقي الأساليب الطلبية) متبوع »[1].ونجد أن أبا فراس "يستدرج" [2]مخاطبه [2]مخاطبه في الروميات من خلال عروض تحمل في طياتها توقع قابلية حصول التفاعل من خلال وضع المخاطب المسبق لشروط التواصل بينهما، لأن بعض القصائد التي يلفت استعمال الاستفهام فيها النظر ، كانت جوابا عن عتاب. و يمثل الاستفهام في القصائد الموجهة إلى سيف الدولة خاصية أسلوبية بارزة، إذ نراه يتكرر في كل القصائد؛ وذلك لقدرة هذا الأسلوب على تحمّل معان كثيرة، تدخل ضمن التساؤل عن الأمر الذي يجعل سيف الدولة –وهو الذي اصطنع أبا فراس لنفسه ولأمن دولته – يتباطأ في افتدائه، ثم لا يخرجه من الأسر إلا بفداء عام، فيساويه في هذا الأمر بأقل أسير في سجون الروم. فالتغير المفاجئ لأبعاد العلاقة بين أبي فراس وسيف الدولة، من وجهة نظر الشاعر بعد دخوله للأسر، أمر شكّل صدمة للشاعر وأثار ذهوله وتساؤلاته عن الأسباب.وهذا عائد إلى أن الشاعر ينظر إلى الأمر من منظور ذاتي محض ، ويفوته أن الدولة الحمدانية تعاني خطر هجومات الروم.

ونجد أن هذا الأسلوب يتدرج حسب مراحل الأسر–حسب ما استنتجناه– وحسب تغير نفسية الشاعر مقارنة بطول المدة التي يقضيها في الأسر. فالغرض من استعمال الاستفهام في الروميات الأولى، كان لجلب اهتمام وانتباه المخاطب الفعلي المقصود بالخطاب وهو سيف الدولة غالبا، على اعتبار أنه الوحيد الذي يملك الإجابات عن تساؤلات الشاعر، فقد أراد منه الاستخبار الذي يعدّ غرضا مباشرا من صياغة الاستفهام، ويمكن أن نضيف له أغراضا متضمنة في القول تتمثل في الإنكارا أوالعتاب، أوالتعجب، لما يحدث، بأسلوب تسوده اللطافة والرقة، وإن كان فيه من الحيرة ما لا يمكن إغفال أهميته.

فنجده في قوله: [من المتقارب]

أسيف الهدى وقريع العرب علام الجفاء؟ وفيم الغضـــب؟[3]

وما بال كتبك قد أصبحت تنكّبني بعد هذا النكـــــــب

وأنت الكريم وأنت الحليم وأنت العطوف وأنت الحدب

[1]– ينظر : السكاكي : مفتاح العلوم، ص 416 .

[2]–نستمد هذا المصطلح من : آمنة بلعلى : تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2002 ، ص: 104.

[3]–ينظر:أبو فراس الحمداني: الديوان ،ص:28.

إن استهلال القصائد بالاستفهامات ينم عن محاولة استدراج للمخاطب، من خلال طرح أسئلة كثيرة، لاينتظر المتكلم عند طرحها إجابات عليها، بل يهيئ نفسية وانتباه المتلقي ومن ثمّ يقبل عليه بالمدح أو الاستعطاف أو الرجاء.

وقوله: [من المتقارب]

أتنكر أني شكوت الزمان وأني عتبتك فيمن عتـــــب [1]

فألاّ رجعت فأعتبتني وصيّرت لي ولقولي الغلـــب

إنه في هذه الأبيات يحاول أن يبرئ نفسه أمام سيف الدولة، حين بلغه أن بعض الأسرى قال إن ثقل هذا المال –يعنون مال الفداء –كاتبوا فيه صاحب خراسان وغيره من أصحاب البلدان، وخفّفوا–بذلك – عن الأمير، وباستعماله لأسلوب الاستفهام ليس قصده معرفة سبب غضب وجفاء ابن عمه، لأنه أمر يعرفه بل ويدرك خطورته على مسار وأبعاد العلاقة بينهما، فيخرج الاستفهام من الغرض الأصلي الموضوع له، وهو طلب الاستخبار إلى غرض مستفاد من السياق تمثّل في نفي التهمة عن نفسه، لأن اللجوء لخارج الإمارة لطلب الفداء، أمر يتعدّى رغبة الأسرى في التخلّص من الأسر إلى وجود بوادر خيانة في النفوس، ناتج عن تلاشي الثقة في الأمير. لهذا رأى الشاعر أن عليه تبرير هذا الموقف، وإبعاد نظرة شك من سيف الدولة تجاهه، ولعل هذا يتّضح من خلال تطعيم أسلوب الاستفهام بالتحضيض الذي يستغلّه الشاعر، لينقل لسيف الدولة حقيقة أنه لا يزال يحتفظ بمكانة مرموقة عند أبي فراس، وأن له كلّ الحقّ في معاودة عتبه، من خلال دلالة الفعل: أعتب، فيزيد الأسلوب رقة فيحمّله معنى الأمل في رجوع سيف الدولة من تجافيه.

ويزداد الاستفهام شدة بتزع نبرة الرقة منه. ووروده جافا من أية انفعالات أو عواطف في قوله: [من الوافر]

زماني كله غضب وعتب وأنت علي والأيام إلـــــــب[2]

إلى كم ذا العقاب وليس جرم؟ وكم ذا الاعتذار وليس ذنـــب،

أمثلي تقبل الأقوال فيه؟ ومثلك يستمر عليـــــه كذب؟

جاءت هذه الأبيات جوابا على عتاب سيف الدولة له وهو في أسره، فهو في هذه الأبيات يساوي بينه وبين سيف الدولة لأنه زيادة على هموم أسره يعاتبه، فوجد أنه لا يأبه بحالته النفسية ، فهو يسترهب الموت في ديار الغربة ويخاف من النهاية في غياهب الحبس. فعليه أن يخاطبه بنبرة مساواة لأنه بذل الاعتذار دون أن يرتكب ذنبا، ثم عوتب دون اقتراف جرم، وهذا يعود إلى أن سيف الدولة سمح –ولو ضمنيا– للشاعر

[1] –ينظر: المصدر نفسه ،ص:29.

[2] –ينظر: المصدر نفسه، ص: 31.

بقول ما يختلج في نفسه، هذا السماح يكون من استثمار فعل العتاب الذي بدر من الأمير، واستلزامه لرد فعل يماثل قوّة الفعل المسبّب له.

ويوظف أسلوب الاستفهام للتعبير عن عتاب سيف الدولة والتعريض به، لكن بطريقة غير مباشرة. بالإحالة على الغائب الذي يورد ابن خالويه أنه سيف الدولة في قوله: [من الطويل]

فما هو إلا أن جرت بفراقنا يد الدهر حتى قيل: من هو حارث؟[1]

يذكّرنا بعد الفراق عهوده وتلك عهود قد بلين رثائـــــــث

فقد أصبحت مماطلة سيف الدولة بالفداء مكشوفة، ورغم أن الواضح من الأبيات أن سيف الدولة يحتفظ بنفس المكانة لأبي فراس وسيوفي له بعهود قد وعدها له في سالف الأيام، إلا أن الشاعر يرى أن تلك العهود قديمة بالية ولا حاجة له بها، لأنه يحتاج في الوقت الحالي الفداء، فهو لا يضمن له حياة يوفي له فيها سيف الدولة بعهوده.

ثم ينتقل الاستفهام إلى مرحلة المواجهة الصريحة بعد أن يردّ سيف الدولة والدة أبي فراس، عندما تذهب إليه لمطالبه بافتداء ابنها. فالشاعر يرى أن كرامته من كرامة أمه. فكيف يخيّب أم أمير من الحمدانيين. فنجده في هذه الأبيات يواجهه بالتقريع حين يقول: [من المنسرح]

بأي عذر رددت والهة؟ عليك دون الورى معوّلها[2]

جاءتك تمتاح رد واحدها ينتظر الناس كيف تقفلها

تلك المودات كيف تمهلها تلك المواعيد كيف تغفلها

وأكبر أمر أثّر في الشاعر هو شماتة الحساد فيه وفي أمه حين ردها سيف الدولة خائبة، في قوله: "ينتظر الناس كيف تقفلها" ويعبّر بصراحة عن رفضه لموقف سيف الدولة واستنكاره له، لأنه لايستطيع التماس أي عذر لسيف الدولة، ورغم أن كل المعطيات تقول بأنه سيتقبلها ويجيب طلبها. إلا أنه يخرج عن المألوف والمتوقع ويتجاوز صلة الرحم التي بينهما، علما أن سيف الدولة رجل مواقف نبيلة تجاه من يقصد منه خدمة. وأقاربه أولى بمعروفه فيرد قائلا: [من المنسرح]

تلك العقود التي عقدت لنا كيف وقد أحكمت تحللها؟[3]

[1]-ينظر: المصدر السابق ص:62.

[2]-ينظر: المصدر نفسه،ص:243 .

[3]-ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان، ص:244.243.

أرحامنا منك لم تقطعها؟ ولم تزل دائما توصلـــها
أين المعالي التي عرفت بها؟ تقولها دائما وتفعـــــلها
لم يبق في الناس أمة عرفت إلا وفضل الأمير يشملها
نحن أحق الورى برأفته فأين عنا؟ وأين معدلـــها؟

نجد أنه يكثف من االاستفهامات، لإظهار الحيرة والاستنكار لموقف سيف الدولة من مجيء والدة أبي فراس له ، ويجعل منها ثقلا يوضع على كاهل المتلقي بقوة إنجازية تحمّله خطأ تخييب والدته ، ومدى تعسفه في هذا الموقف ، وأثره السلبي الذي تركه في نفسية الشاعر.

ونلاحظ أنه في الخطاب الموجه لسيف الدولة أنّ الشاعر يكثّف من استعمال أدوات الاستفهام وينوّعها، والغرض التداولي لهذا التكثيف هو إظهار الاضطراب والحيرة من مواقف سيف الدولة الغريبةوعتابه له فوق كل ذلك. واستعمل الاستفهام وسيلة لنقل استغرابه من هذه المواقف، وإثارة حفيظة سيف الدولة الذي لا يأبه به –في نظر الشاعر– وهو في الأسر.

– **الاستفهام الموجّه إلى المخاطبين الآخرين:** يظهر الاستفهام فعلا كلاميا يتجسد من خلال تقدير الشاعر لذاته في مرحلة الأسر،وهذا لأنه يهرب من حاضره التعيس إلى ماضيه العزيز، وهو إذ يستفهم فإنه يضع أمامه متلقّيا مفترضا للإنصات لتساؤلاته، وينقل له شعوره بكونه متفرّدا عند قومه لا يضاهي أيّ منهم مكانته القتالية في قوله: [من الطويل]

متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى طويل نجاد السيف رحب المقلّد؟[1]
متى تلد الأيام مثلي لكم فتى شديدا على البأساء غير ملهّـــد ؟

ونلاحظ أن هذا الفعل الكلامي إذا كان غرضه الصريح والمباشر هوالاستخبار عن شيء، فإن الشاعر يتجاوزه إلى غيره، وهو يتجاوزه هنا إلى إبراز أهميته لقومه، وتوجيههم إلى هذه الأهمية من خلال الإخبار بمحاسنه وانتصاراته. ويورد الاستفهام مع المخاطبين الآخرين في معنى الشكوى.الذي يهدف من ورائه إلى تأسيس علاقة تواصلية وطيدة مع هؤلاء المخاطبين، أملا في جعلهم يستأنسون بكلامه ويعززون موقفه عند سيف الدولة، لذلك فإن الخطاب معهم يكون بهدف مد جسور التواصل للهدف السابق. ، ومحاولة التأثير النفسي فيهم، لتوجيههم إلى قصده من الخطاب ، وهو معرفة الأسباب التي دفعت سيف الدولة إلى إهمال الشاعر. الأمر الذي شكّل صدمة للشاعر وأثار ذهوله.

---

[1]–ينظر: المصدر نفسه، ص: 84.

وتنوع أدوات الاستفهام يدل على حيرة ذات الشاعر، فهذا التنويع يجعل الذات تبحث عن أي الأدوات أجدى للسؤال واضطراب الذات التي لا تدرك سببا لهذا الإهمال.

يقول معاتبا ابني سيف الدولة أبا المعالي وأبا المكارم: [من الكامل]

يا سيدي أراكما لا تذكران أخاكـــمـــا؟[1]

أوجدتما بدلا به يبني سماء علاكـــمـــا

يرمي منه إلى التعجب من موقفهما تجاهه، لأنه إضافة إلى كونه فارسا في الجيش ، هو خالهما ، لذ لك ينبههما إلى ضرورة تذكّره ضمنيا ، ويعاتبهما عن تعويضه بأي بديل، فاستعمال الاستفهام جاء لكسب تعاطف المتلقين من خلال الفعل فيه.

ونجده في خطاب آخر يخرج مخاطبا من ذاته ليشاركه تساؤلاته.ففي قوله: [من الطويل]

وهل غض مني الأسر إذ خف ناصري؟ وقلّ على تلك الأمور مساعدي؟[2]

رغم أن معنى القول يحمل استنكارا لموقف قومه،ولا يخاطبهم مباشرة بل يتوجه بالخطاب لنفسه ويتركهم يتفرجّون على المشهد، فالاستفهام مرآة أسفه عليهم، من خلال سياق المفارقة الذي ورد فيه : خف ناصري، قلّ مساعدي.

ب. النداء:

– **النداء مع سيف الدولة:** يعد سيف الدولة المخاطب الأول في الروميات وقد استعمل الشاعر معه أسلوب النداء بطريقة مميّزة. وذلك لأن المواضيع التي ناداه فيها هي العتاب والاستعطاف، فهي تستوجب النداء سواء للفت الانتباه في بداية النص، أو استعماله في غضون النص لبثّ الروح الخطابية في النص. ومن المعلوم أن تعالي صوت الشاعر في النص يدفع إلى الاهتمام بما يقوله، بعدما يحس ببعض الخفوت في التفاعل من طرف المتلقي ، أو بعد الإحساس بطول الفكرة ، لذا يظهر جليّا أن النداء يساعد على تمتين عرى التواصل بينهما ، من خلال اعتماده على مبدأ المشاركة ، ورغبة الشاعر في إشراك الآخر في الخطاب ، بإلزامه بأن يكون مخاطبا ، بتوجيه الكلام له بالنداء.

وتطالعنا العلاقة المتميزة بين الشاعر وسيف الدولة، وذلك التقدير والإكبار الذي يحمله له، وصورة المثل الأعلى التي بقيت مسيطرة على فكر الشاعر رغم الضغط النفسي الذي كان يعانيه في قصائده، وهذا يعود إلى معاناته

[1]– ينظر : المصدر السابق ، ص:274.

[2]–ينظر: المصدر نفسه، ص:87.

من عدم إنصات ابن عمه له عن طريق قبوله افتدائه، ورغم نبرة العتاب بعنف في الروميات إلا أن نداءاته لسيف الدولة اتسمت بمعنى الاستغاثة. التي تحمل في طياتها معنى النداء ولا تبدو منقطعة عنه ، فليس هناك انفصال تام بين الاستغاثة بوصفها غرضا بديلا و بين غرض النداء الأصلي.

ومن جهة أخرى نجد أن النداء في الروميات الأولى والتي نظمها في بداية أسره، كانت تطغى عليها نبرة الرجاء والاستعطاف، إذ كان يعتقد بأن سيف الدولة سيهب في افتدائه. لطيب العلاقة بينهما.
ففي قوله: [من الطويل]

فيا ملبسي النعمى التي جلّ قدرها لقد أخلقت تلك الثياب فجدّد[1]

ففي هذه الأبيات ما يزال الشاعر يحتفظ لابن عمه بالصورة المثالية التي رسمها له.لأنه هو الذي يهتم بأن لا يصيبه مكروه، ويحرص على سلامته، وهو يذكّره بأنه ذو فضل عليه. ولا ضير من مواصلة هذا الفضل في فترة الأسر. إن النداء يدعم الرؤية المنحصرة في ذات الشاعر، حيث أنه لا يرى غير محنته ولا يراعي الظروف التي تمر بها الدولة الحمدانية.
والدلالات التي تتولد من إجراء النداء كالندبة والزجر والتحسر والاستغاثة وغيرها تحمل في وطياتها معنى النداء ولا تبدو منقطعة عنه، فليس هناك انفصال تام بين هذه الأغراض البديلة وغرض النداء الأصلي .

– **النداء مع والدته:** يدل تموقع الأم في الرتبة الثانية من المخاطبين في الروميات، على دقة العلاقة بينهما وعلى الإخلاص في الود للوالدين.

وفي نداءاته لوالدته ينحو النداء منحى خاصا يمتاز بالرقة الشديدة التي يحملها لها ، ويفتح لها باب مشاركته له همومه لأنه على وعي بأنها أكثر شخص يخلص له في أهله، وهي تمثل له المتنفس الأصدق، وقد حمل النداء معنى الندبة وهي درجة رقيقة من النداء وليس غرض أصليا، وخروج النداء للندبة يدل على ..... إذ تمثل له الملجأ والمتنفس الذي يرتاده كلما وقع ضيق نفسي، فيستعمل النداء دلالة على معنى الندبة الذي يعد في مرتبة أرقّ من النداء في الحالة العادية ، إذ نجد فيه نوعا من التعاطف مع المخاطب.ففي القصيدة التي يرسل بها إلى سيف الدولة عندما يرد أمه خائبة بعد أن طلبت إليه نداء ابنها.
و التي مطلعها: [من المنسرح]

[1]– ينظر : أبو فراس الحمداني: الديوان، ص:85.

يا حسرة لا أكاد أحملها أخرها مزعج وأولها [1]

فيظهر لأمه تفجعه بهذا الحدث الذي لم يكن متوقعا ؛ فيقول: [من المنسرح]

يا أمتا هذه منازلنا نتركها تارة وننزلها [2]

يا أمتا هذه مواردنا نعلّها تارة وننهلها

لكنه يذكّرها بأن الأسر متوقع للفرسان ، وقد تعوّد بحكم طبيعة حياته القتاليةعلى ترك الديار سواء للإغارة أوحتى للأسر في حالته هذه ، ويهمه كثيرا أن يظهر لأمه تجلّده ، واتّخاذ الأمر ببساطة ، لأن هدفه من الخطاب معها هو التخفيف من وطأة تخييب سيف الدولة لها، ومشاركته لها في شعور الإحباط الذي أعقب تصرّف سيف الدولة.

ويستعمل كذلك الندبة لمواساة أمه ومسناندتها: [من الكامل]

فيا أمتا لا تفقدي الصبر إنه إلى الخير والنجح القريب رسول[3]

ويا أمنا لا تحبطي الأجر إنه على قدر الصبر الجميل جزيـــل

ويا أمنا صبرا فكل ملمة تجلى على علاتـــــــــها وتزول

إن الندبة في هذه الأبيات تضيف شحنة من الرفق في النداء وتجعل المندوب قريبا شعوريا ممن يناديه. فهو يقاسمه مشاعره ويدرك ما به ويبحث عن مساعدته، ولا تبدو الندبة منقطعة عن النداء ،فليس هناك انفصال تام بين هذه الندبة بوصفهاغرضا بديلا وبين النداء بوصفه غرضا أصليا .

ويستعمل النداء في رثائه لأمه وقد بلغه نعيها وهم في الأسر؛ يقول: [من الكامل]

أيا أم الأسير، سقاك غيث بكره منك ، ما لقي الأسير[4]

أيا أم الأسير،سقاك غيث تحيّر لا يقيم ، ولا يســـــير

أيا أم الأسير،سقاك غيث إلى من بالفدا يأتي البشـــــير

أيا أم الأسير، لمن تربى وقد متّ، الذوائب والشعور؟

---

[1] -ينظر: المصدر السابق، ص: 241.

[2] --ينظر: المصدر نفسه،ص:242.

[3] - ينظر: : المصدر نفسه، ص: 232.

[4] - ينظر، المصدر نفسه ،ص: 162.

إنه نداء لا يرجو من خلفه إجابة من أمه ، بل ينتظر انتفاضة من الحمدانيين لحاله التي آل إليها وهو الوصول إلى درجة فقدان أمه من الحسرة عليه، ويصوّر معاناتها وانتظارها: في قوله: [من الكامل]

أيا أماه، كم همّ طويل مضى بك لم يكن منه نصيـــر[1]

أيا أماه، كم سرّ مصون بقلبك ، مات ليس له ظهـــور

أيا أماه، كم بشرى بقربي أتتك ودونها الأجل القـــصيـــر

إنه يعاني وحدة أمه قبل وفاتها، وقلة ناصرها والمهتمين لأمرها، لقد ماتت وهي تحمل الكثير من الأسرار، ودون أن تتحقّق لها بشرى افتداء ابنها، إنه نداء يحمل الحسرة الصادقة والتأثر المفجع، لقد أثار بني عمه بصوته المتعالي من الأسر ، والذي ليس له غيره في التعبير عن هذا الفقد ، ولعلّه الخطاب الأخير الذي يوجهه لأمه قبل أن تصبح ذكرى.

ج. **الأمر والنهي**:يعرّف السكاكي الأمر بقوله:" الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو لتزل- وانزل- ونزال وصه على سبيل الاستعلاء،وأما أن هذه الصور والتي هي من قبيلها هل هي موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء أم لا؟ فالأظهر أنها موضوعة لذلك، وهي حقيقة فيه، لتبادر الفهم عند الاستماع نحو:قم، وليقم زيد، إلى جانب الأمر، وتوقّف ماسواه من الدعاء، والالتماس والندب، والإباحة والتهديد، على اعتبار القرائن"[2].

من خلال هذا القول نلاحظ أن المتكلم هو المسؤول على أن يعبّر بما يقوله عن الأمر، حيث إذا فشل في أن يكون كلامه أمرا، لم يتعدّ أن يكون دعاء أو التماسا ...إلخ .

أما **النهي** فيعرّفه بأنه: "طلب الكف عن الفعل استعلاء"[3] ولا يختلف عن الأمر من حيث شروط جريانه على على الأصل وهي: شرط الاستعلاء و إلزام المخاطب به.

و يقول السكاكي في هذا :"والنهي محذوّ به حذو الأمر في أن أصل الاستعمال: لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك، أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب" أفاد مجرد طلب الترك ويكون بصيغة واحدة هي لا الجازمة التي تدخل على الفعل المضارع" [4].والشروط المعدة لإجراء النهي على أصله هي: شرط الاستعلاء و إلزام المخاطب به.

---

[1]- ينظر:المصدر السابق ، ص: 163.

[2]-ينظر: السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص: 428.

[3]-ينظر: التفتازاني :مختصر السعد ،شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم،ص:213.

[4]-ينظر: السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص:427.

و أكثر ما يدل عليه استعمال أسلوبي الأمر والنهي في الروميات ، هو التعبير عن أبعاد العلاقة بالآخر، وفي خروجهما عن الغرض الاصلي الذي يساقان لأجله؛ سواء أكان طلب الفعل على وجه الاستعلاء في الأمر، أو طلب الكف في النهي ، إلى أغراض أخرى تستفاد من السياق، إلا أنها لم تخرج على أن تكون طلبا أو دعاء .

ففي قوله: [من المتقارب]

أعانك الله بـــخير، أعـــــــــــن من ليس يشكو منك إلا إليك[1]

فتضمين الأمر في الدعاء يدل على عمق العلاقة بينه وبين سيف الدولة لكن فعل الأمر يتجاوز حد الدعاء إلى الالحاح في التذلل ، بجعل سيف الدولة الوحيد الذي يسبب له المتاعب ، والوحيد الذي يملك لها حلا.

ويقترب أكثر من مخاطبه ، ببقائه على عهده معه ، رغم تغيّر سيف الدولة، من خلال استعماله لجدلية الإنصاف والظلم ، وبقائه على العهد الذي لا يبلى سواء بذل الفداء أم لا.في قوله: وقوله: [من الوافر]

فقل ما شئت في فـــلي لـــــــــسان مليء بالثناء عليك رطب[2]

وعاملني بإنصـــــاف وظلم تجدني في الجميع كما تحب

وقوله [من الطويل]

تشبث بها أكرومة قبل قومها وقم في خلاصي صادق العزم واقعد[3]

وقوله: [من الطويل]

أقلني، أقلني عثرة الدهر إنه رماني بسهم صائب النصل مقصـــد[4]

إن هذا الالحاح يدل على وعي الشاعر بأن الضغط على سيف الدولة، يمثل حلا أكيدا لما يعانيه على أنه لم يخرج عن قوانين الخطاب فبقيت درجة المخاطب أعلى من المتكلم دائما وهو لم يحاول أن يكون آمرا، لأن كونه آمرا يستمد يؤثر على أبعاد العلاقة بينه وبين مخاطبه.

4-بنظر : أبو فراس الحمداني: الديوان ،ص:203.

[2]- ينظر: المصدر نفسه ، ص:32.

[3]-بنظر: المصدر نفسه ، ص84.

[4]-بنظر: المصدر نفسه ، ص: 85.

الأمر مع والدته: يتخذ أسلوب الامر مع والدته بعدا آخر فيه من الرقة والعطف الكثير لكنه صادق جدا في تعبيره فهو مخلص لأمه ، لا يريد من وراء التلطف والتأدب معها في الخطاب إلا ما يريده الابن البار، ففي قوله: [من الوافر]

ويا أمتا صبرا فكل ملمة تجلى على علاتها وتـــــــزول[1]

تأسي كفاك الله ما تحدرينه فقد خال هذا الناس قبلك غول

وكوني كما كانت بأحد صفية ولم يشتف منها بالبكاء غليـــل

في الخطاب مع الأم خاصة نلاحظ تنوع صيغ الأمر، من استعمال المصدر للأمر إلى استعمال صيغة فعل الأمر،لكنه لم يخرج على أن يكون طلبا.

النهي: يتخذ أسلوب النهي من الابتعاد عن المثالب هدفا في التعبير ، ولا يخرج بأن يعبّر عن النصح ، والتنبيه للخطأ الذي يوشك سيف الدولة على الوقوع فيه: ففي قوله: [من المتقارب]

فلا تعدلن ، فداك ابن عمك لا بل غلامك ، عما يجب[2]

نجده يطلب إلى سيف الدولة فعل ما يجب ، ويؤكد له في إلحاح لأن عدوله عن أمر الفداء أمر لا يليق به، ويتقرب إليه بعد هذين الأسلوبين بالدعاء، الذي يخفف من وطأة النهي المعضود بالتوكيد.

وفي قوله: [من الطويل]

فلا تخش سيف الدولة القرم أنني سواك إلى خلق من الله راغب[3]

يحاول كسب ثقة ابن عمه بالخطاب ، بإصراره على كونه إلى جانبه، رغم أنه لم يفده ، لأن سيف الدولة سيّد قرم ذو مسؤولية وشجاعة ، فهو يخفف عليه ضغط الطلب ، ليحمّل خطابه ما هو ضمنيا لا ينفكّ عن الطلب.

وفي قوله: [من الطويل]

فلا تترك الأعداء حولي ليفرحوا ولا تقطع التسآل عني، وتقعد[4]

ولا تقعدن عني ، وقد سيم فديتي فلست عن الفعل الكريم بمقعد

دعوة ورجاء بعدم تركه عند الأعداء ، لأن ذلك له صورة سلبية للحمدانيين ، تتمثل في التفريط في قادة الجيش، ودعوة إلى عدم إهماله ، من خلال العمل على السؤال عنه، ودعوة للإسراع في فدائه من خلال

---

[1]-ينظر: المصدر السابق ، ص:233.

[2]-ينظر : المصدر نفسه ، ص: 29.

[3]-ينظر: المصدر نفسه ،ص: 37.

[4]- ينظر: : المصدر نفسه ،ص: 83.

تقوية الأسلوب بالتوكيد، الذي يعبّر عن جدّية الشاعر في الطلب ، دون حدّة فيه لأنه يختمه بالمدح لأن سيف الدولة، من شيمه الفعل الكريم.

د.التمني:

إن التمني في الروميات نادر الوجود، على اعتبار أن الشاعر يرى أن خلاصه أمر ممكن، وليس أمرا مستحيل الحصول، نلاحظ في قوله: [من الطويل]

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب [1]

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خـــــراب

وفي هذا الكثير من المبالغة ، إذ هو يدرك أن هذه الأمور لا تتحقق لكنه يستغلها في توجيه فعل المخاطب إلى ما يريده .

وفي قوله في خطابه لأخيه: [من الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة تناقل بي فيها إليك الركائب [2]

يتمنى أن يأتي اليوم الذي ينال فيه حريته وينتقل على الركائب إلى أهله ، إنه يجمع بين أمنيته ، وبين أمنية أخيه، وهي نيل الحرية ، وهو يحاول التخفيف من جزع أخيه وقلقه بعد أسره، ويعمل على بعث الاطمئنان إلى نفس أخيه باستغلال طاقة أسلوب التمني.

هـــ. خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر:

ويظهر من خلال استعمال الخبر في موضع الطلب، و له وجوه متعددة، فرضتها السياقات التي منعت من إجراء الأسلوب الطلبي بصيغته الصريحة، وتجاوزها إلى صيغ ضمنية في قالب التقرير، يستفاد منها الطلب وهي كالآتي:

- **الإقبال والنداء:**

وذلك من خلال لفت انتباه سيف الدولة خاصة إلى الحالة النفسية السيئة التي يعيشها الشاعر في الأسر ،ففي قوله: [من الطويل]

---

[1]-ينظر: المصدر السابق ،ص:27.

[2]-ينظر : المصدر نفسه ، ص: 39.

دعوتك للجفن القريح المسهّد لديّ وللنوم القليل المشرّد[1]

دعوة للرأفة بحال الأسير الذي لا يفارقه الأرق ولا يداعب النوم أجفانه، من الجزع والبكاء على الحال التي آل إليها، فالسياق الذي أرسلت فيه هذه القصيدة ، هو أنه أرسلها في بداية نقله إلى القسطنطينية، وقد شحنها بكثير من الجزع ،ويقول فيها: [من الطويل]

دعوتك والأبواب ترتج دوننا فكن خير مدعو وأكرم منجد[2]

فهذا الإلحاح في ضرورة اهتمام سيف الدولة بما يقول ،يعبّر عن وعي بأهمية تمتين أواصر التواصل بين الأسر وخارجه، وهو يضع مخاطبته في درجة أعلى منه ،ليحاول من ذلك التقديم إلزام المخاطب ضمنيا ، حيث أن الفعل لم يأت بصيغة الأمر ، بل استعان بما يتيحه له استعمال الأسلوب التقريري، لإجراء الطلب، فهو لم يكتف بالطلب بأساليبه التي جرت عليها العادة ، بل زاد على ذلك باستثمار خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر، وما يفرضه المقام من عدم استدعاء الأساليب الطلبية الصريحة.

وفي قوله من نفس القصيدة: [من الطويل]

أناديك لا أني أخاف من الردى ولا أرتجي تأخير يوم إلى غـــــد[3]

ينفي خوفه من الموت، لأنه كان معرّضا له في المعارك الشرسة التي خاضها، ولكنه يأبى أن يموت بين أيدي الروم وهو عزيز المحلّ عند قومه. والأهمية التداولية لتنزيل الطلب في شكل الخبر، تطبيق سلطة بالخطاب على المتلقي وتمكين الفكرة من نفسه وتوجيهه للفعل حسب رغبة المتكلم رغم أنه أقل رتبة منه. فالنداء هنا يحمل المتلقي مسؤولية أن المتكلم كرّسه ووضع فيه ثقته وسلّمه زمام أمره.

وذلك بأن يناجي المتكلم نفسه ، فيخيل له بأن الأمر حاصل فيعبر عن الطلب بالخبر على اعتبار حصوله في الذهن .يقول السكاكي :"فالطالب من أن يبلغ حرصه فيما يطلب ربما انتنقشت في الخيال صورته ،لكثرة ما يناجي به نفسه فيخيل إليه غير الحاصل حاصلا حتى إذا حكم الحس بخلافه غلطة تارة، واستخرج له محملا آخر ."[4]

---

[1]-ينظر: : المصدر السابق ،ص: 82.

[2]-ينظر: : المصدر نفسه ،ص:83.

[3]-ينظر: المصدر نفسه ،ص: 83.

[4]-ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم ،ص:432.

- **الدعاء:** يتموقع هذا الشكل من الدعاء في ختام القصائد، وهو ما يخوّله للقيام بدور كبير للفعل في المتلقـــــــــــــــي، من خلال تمتين علاقة التواصل بينه وبين مخاطبه، و يأتي لإعلان المتكلم حصول الوفاق بينه وبين المخاطب، بغض النظر عن المعاني التي ضمّنتها القصيدة سواءا أكانت تقريعا أم عتابا، إلاّ أن الشاعر يسعى إلى قول ما يريد ،وفي نفس الوقت ليس من مصلحته أن يخسر إنصات المتلقي له، فيستغل قوّة فعل الدعاء، بوصفه "فعلا يتم عن طريق التلفظ به"[1] فقط.إذنمجرّد التلفظ بصيغة الدعاء يكون المتكلم قد أنجز الفعل ، وبالنسبة للمخاطب فإنه يحسّ بتقارب بينه وبين المتكلم ، لأن المتكلّم أنجز فعلا لصالح المخاطب تمثّل في الدعاء له، فيدفع المخاطب إلى التنازل بطريقة ما ، ويكسبه المرونة في الخطاب ، بتوجيهه لها.حيث يصبح الدعاء أداة السلطة الخطابية التي يمارسها مع الآخرين ، ويقرن محتواها بفائدة هي التلفظ بجلب المنفعة له، والدعاء يساهم في فرض شروط التخاطب، بتقديم منفعة للمخاطب من الخطاب، ومن ثم ضمان استمراره معه في العلاقة التواصلية،

وهذا من المباديء التي حرص عليها النقاد القدامى في ضوابط بناء القصيدة ، وضرورة مراعاة المخاطب بها،والعمل على استمراريته في التواصل مع الشاعر. من خلال حسن الاستهلال، وحسن التخلص ،وحسن الاختتام .[2]

ففي قوله:

بقيت ابن عبد الله تحمى من الردى ويفديك منا سيّد بعد سيّد [3]

فهذا البيت يأتي ختاما لتواصل ناجع بين الشاعر وسيف الدولة، يطلب فيه الاستبدال بأسير رومي عند سيف الدولة، فبعد طرح مسألته، يدعو بحياة سيف الدولة، بإبراز قرابته منه وهو"ابن عبد الله" ،وأن بني عمه مستعدون لفدائه الواحد تلـــــو الآخر. ،لتفاءل بلفظ الماضي بعدها من الأمور الحاصلة ،التي حقها أن يعبر عنها بأفعال ماضية "[4] فتحمل الصيغة قوتين موجهتان للمتلقي وتؤثران عليه وهما قوةالدعاء وذلك وذلك ما يفتح المجال لتواصل وتوافق مع المخاطب ، وقوة التفاؤل وهو ما يبعث المخاطب على الارتياح ،وأن يأتي المتكلم ويكسب ثقته ليعلن دوران فعل الدعاء كبنية تتدخل في تفعيل الدور الخطابي وتمكينه من نفس المخاطب، ومحاولة استحالته كما تعكس ضمنيا أن المتكلم ينشد الحظوة لدى المتلقي ونيل الاحترام من أجل إخضاعه للمعارف و القيم التي يحويها نصه.

---

[1]- ينظر: آمنة بلعلى : تحليل الخطاب الصوفي ،ص:96.

[2]- ينظر: المرجع السابق، ص: 101.

[3]- ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان ،ص:86.

[4]-ينظر: السكاكي : مفتاح العلوم ،ص:432.

وفي قوله –من نفس القصيدة–:

ولا يحرمنّي الله قربك إنه مرادي من الدنيا وحظي وسؤددي[1]

يذكّره بمسألته، إذ بدون الفداء المتمثّل في نظره في استبداله بالأسير الرومي، لا يمكن لأبي فراس أن يكون بقرب ابن عمه، فلا يهمه شيء آخر من الدنيا مادام يحظى بقرب سيف الدولة، الذي منحه طيلة حياته السؤدد على قومه والقيادة لهم.

– **المواساة:** كما نلاحظ استعمال خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر في مقام التعزية، حيث لا يغفل وهو في أسره عن حوادث الدهر التي تأتي على ابن عمه، وهو يقول عندما ورده خبر وفاة أبي المكارم ابن سيف الدولة، وهو ابن أخت أبي فراس يقول في مطلع القصيدة :

يا عمّر الله سيف الدين مغتبطا فكل حادثة يرمى بها جلل[2]

وهذا دعاء بطول عمر سيف الدولة، وسعادته في حياته، رغم أن الدهر يرميه بحوادث مفجعة، ومقام الرثاء والتعزية يتطلب الوقوف إلى جانب المفجوع، وهو عين ما قام به أبو فراس، حين أبدى تضامنه مع ابن عمه في مصابه الجلل، بيد أنه يعاني محنة الأسر، لكن لم يتأخر في مقاسمة سيف الدولة حزنه وجزعه.حين يحس نفسه حاضرا في حلب.

وفي تعزية سيف الدولة عن أخته والشاعر في القسطنطينية أنشأ يقول:[من البسيط]

يا مفردا بات يبكي لا معين له أعانك الله بالتسليم والجلد[3]

يسأل الله العون بالتسليم بقدره ويسأله الصبر لسيف الدولة. فهو يشعره بأنه مقدّر لمصابه وأنه يقضي الليالي بكاءا وحزنا على أخته، فقد استعمل اللغة بطريقة سمحت له بالتعبير وكأنه حاضر مع مخاطبه، ويقوم بواجب التعزية والتسليم لقضاء الله وقدره.

كما ارتبط خطاب التعزية بفعل الوصية، وإسداء النصح الذي لا يكون إلا لعزيز، ففي قوله:[من البسيط]

أوصيك بالحزن لا أوصيك بالجلد جلّ المصاب عن التعنيف والفند[4]

---

[1]–ينظر: المرجع نفسه ، ص :نفسها.

[2]–ينظر: المرجع نفسه،ص:205.

[3]–ينظر: أبو فراس الحمداني: الديوان ،ص: 76.

[4]–ينظر: : المصدر السابق ، ص: 75.

فهو يدعوه للاستجابة للحاجة النفسية للحزن وضرورة تلبيتها، لأن الإنسان في بداية الفاجعة يصعب عليه الصبر، ثم بمرور الزمن يتجلّد ويسلّم لقضاء الله وقدره.

و.التعبير الكنائي:

توجد في اللغة مستويات تعبيرية غير مباشرة ، يعتمد فيها على السياق للوصول إلى فكرة الشاعر ، وهي تختلف عن الأساليب الإنشائية من حيث أنها تتجاوزها دلاليا، حيث تقدم الكناية فكرة متطورة للمعنى الأصلي الجائز فهمه من التعبير ، وارتباطها بقصد الشاعر الذي لا يريد إيصال المعنى السطحي المباشر للكلام ، بل يريد إيصال فكرة أخرى لا يمكنه أن يوصلها عن طريق استعمال الأسلوب المباشر ، لأسباب تداولية تتمثل في حساسية الحديث في بعض المواضيع، التي يمكن أن تؤثر على أبعاد العلاقة مع المخاطب ، وهو باستعمال الكناية يحفّز مخاطبه على بذل طاقة إضافية، متمثلة في استثمار الكفاءة التأويلية للمخاطب لفهم قصد الشاعر الذي لا يريد التصريح به، بل يضمّنه في كلام يبدو عاديا وبسيط المأخذ إلى حد ما.وهو ما يطلق عليه غرايس اسم الاستلزام الحواري .

وعند التركيز على الأساليب الإنشائية غير المباشرة في الروميات ، نجد أن أبا فراس لجأ إلى استعمالهاعندما يصف قوته القتالية ، وفي سياق الحديث عن معاناته من حساده الذين يضغطون على قرارات سيف الدولة ، وعندما يتشوّق إلى أهله في أسلوب بالغ التأثير .

ففي جوابه على عتاب سيف الدولة له وهو في الأسر يقول :[من الوافر]

فلا تحمل على قلب جريح به لحوادث الأيام ندب [1]

وهي كناية عن التأثر البالغ لأبي فراس بما يحدث له ،وعدم رغبته في زيادة همّ أسره ، الذي يتجلى من خلال الحالة النفسية السيئة، وتماطل سيف الدولة في مفاداته ، وعتابه فوق ذلك كله.

وفي رده لسيف الدولة عندما ردأمه خائبة بعدما جاءت تطلب إليه المسارعة في فداء ابنها :[من المنسرح]

ليست تنال القيود من قدمي وفي اتباعي رضاك أحملـــــتـــهـــا [2]

يا سيدا ، ماتعد مكرمة إلا وفي راحتيه أكملـــــــــــهـــا

لا تتيمم ، والماء تدركه غيرك يرضى الصغرى ويقبـــلـــها

إن بني العم لست تخلفهم إن عادت الأسد عاد أشبـــلـــــها

[1]- ينظر: المصدر نفسه ، ص:31 .

[2]- ينظر: : المصدر نفسه ، ص:242.

فالشاعر لا يريد فعل الأمور الباطلة ، وهو ما أشار له بالتيمم للصلاة في وجود الماء وهو ما يعد باطلا في الشريعة الإسلامية، وقد استعمله لتبيان بطلان تخييب أمه ولتذكيره بدوام فضله عليه.

وأن أمر الفداء ليس صعبا على الأمير.

وفي قوله :[من المنسرح]

لا يفتح الناس باب مكرمة صاحبها المستغاث يهملهـــا[1]

أينبري، دونك ، الكرام لها وأنت قمقامها، وأجملـــها

وأنت ، إن عنّ حادث جلل قلّبها المرتجى، وحوّلـــها

منك تردّى بالفضل أفضلها منك أفاد النوال أنولـــها

فإن سألنا سواك عارفة فبعد قطع الرجاء نسألـــها

إذا رأينا أولى الكرام بها يضيعها، جاهدا، ويهملـــها

لم يبق، في الناس، أمة عرفت إلا وفضل الأمير يشملـــها

نحن أحق الورى برأفته فأين عنّا، وأين معدلـــها

يا منفق المال ، لايريد به إلا المعالي التي يؤثّلـــها

أصبحت تشري مكارما فضلا فداؤنا، قد علمت، أفضلـــها

لا يقبل الله، قبل فرضك ذا، نافلة عنده تنفّـــلها

فهو يرى استحالة أمر الفداء على أيّ حمداني آخر لأنه من صلاحيات الأمير ، من خلال أن الناس لا يستطيعون فتح مكرمة بذل الفداء ، لأن الأولى بها سيف الدولة الذي لم يقم بهذا الفعل، فهو المقصود دائما بالطلب وأداء المعروف ، ولا يمكن اللجوء إلى غيره إلا بعد قطع الرجاء من تلبية سيف الدولة لهذا الطلب ، وفي هذا شيء من التهديد ؛ لأنه لا يمكن للشاعر –وهو في حاله هذه– أن يهدد سيف الدولة بالاستعانة بحاكم آخر لدفع مال الفداء، لكن الأسلوب غير المباشر منحه إمكان التعبير عن ذلك دون إثارة حفيظة سيف الدولة ، بربط اليأس من رجاء سيف الدولة ، بنعمده إضاعة تسهيل الفداء وسعيه في ذلك وإهماله له بالتالي، في حين أنه يمدحه ضمنيافي قوله"أولى الكرام" بتفضيله عن الكرام قاطبة.ويختم كلامه بجعل الفداء فرضا والمكارم الأخرى نافلة ، ويستحيل في الشريعة الإسلامية الاكتفاء بأداء النافلة دون أداء الفرض، لأن الفرض واجب أساسي في الشريعة، وتبقى النافلة زيادة محببة لطلب مرضاة الله تعالى.

أما عن استعمال الأسلوب غير المباشر مع المخاطبين الآخرين ؛ فنلاحظ أنه يستعين به لوصف شوقه لوالدته، في قوله: [من المنسرح]

[1]–ينظر: أبو فراس الحمداني : الديوان ، ص: 244.

تمسك أحشاءها على حرق تطفئها والهموم تشعلها[1]

فهو يصف الهموم التي تحملها أم أبي فراس ، وسعيها في بذل الفداء لابنها، بالنار التي تحرق أحشاءها، وسيف الدولة كان ينتظر أن يكون ردّ أبي فراس عنيفا بعدما خيّب أمه- وإن كانت القصيدة موجهة أصلا إلى أمه- لكننا نرى أن الشاعر لم يحاول إغضاب سيف الدولة ، حيث آثر نقل أفكاره بطريقة غلب عليها التهرب من المصارحة والتقريع، وذلك للمحافظة على العلاقة التي يقيمها بالخطاب مع ابن عمه ، وإدراكه لحساسية الموقف الذي يجمعه بعزيزين؛ أمه ،والمتكفل بفدائه.

وفي خطابه لحساده يجدد الثقة في سيف الدولة، في قوله: [من الطويل]

فكم شالني من قعر ظلماء لم يكن لينقذني من قعرها حشد حاشد[2]

وفي أسفه عن تماهل قومه في بذل فدائه ، يقول : [من الطويل]

لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى ومن لم يجد إلا القنوع تقنّعا[3]

فكأنهم بترك أبي فراس أسيرا قد فقدوا معال كثيرة من فارس قوي ، وعوّضوا حاجتهم إلى الغيث والقطر عموما بالندى الذي لا يمثل إلا أدنى عطاء مبذول.

وفي كناية عن مكانته عند قومه، يقول : [من الكامل]

فقد الضيوف مكانه وبكاه أبناء السبيـــــــل [4]

واستوحشت لفراقه يوم الوغى سرب الخيـــول

وتعطلت سمر الرما ح وأغمدت بيض النصول

نستنتج أن أغلب استعماله للكناية أسلوبا غير مباشر كان عند إحساسه بأنه لو تكلّم بالصيغة الصريحة المفهوم ، سيثير متلقّييه وبذلك تدهور العلاقة معهم، لذلك فضّل الأسلوب غير المباشر واستغلّها للتعبير عن شغله الشاغل ، ألا وهو بذل مال الفداء.

---

[1]-ينظر: المصدر السابق ،ص :241.

[2]-ينظر: المصدر نفسه ، ص: 89.

[3]-ينظر: : المصدر نفسه ،ص:184.

[4]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 235.

فمن خلال استعمال الكتابة أسلوبا غير مباشر، للتعبير عن أمور تزعج المخاطب ، يفسح الشاعر المجال للمخاطب لاختبار كفاءته التأويلية و الاستنتاجية ،و ذلك من خلال اكتشافه للمتضمن في القول من خلال انطلاقه من السياق الذي ورد فيه النص.

وتميز استعمال الشاعر للكناية من خلال أربعة أوجه،

الأول: مع سيف الدولة الحمداني و هو الذي يتحاشى الاصطدام به، لكن لا مفرجئ التعريض به تلميحا لا صراحة. و الثاني: مع قومه إذ يثبت لهم أهميته في حياتهم و علو شأنه بينهم. و الثالث: مع نفسه فهو يتوجه للآخر بكثير من المبالغة. كتابة عن شجاعته في المعارك و شوقه لخوضها.

و الأخير مع الحساد الذين يشير لهم إشارة سيئة.

في نهاية هذا المبحث نصل إلى جملة من النتائج نوردها فيما يلي :

- نستنتج أن إستعمال الأفعال الكلامية غير المباشرة كان بصورة عامة و ذلك آخذ بعين الاعتبار المواقف التواصلية التي تفرض أفعالا متضمنة في القول تستمد قوتها الإنجازية من السياق الذي وردت فيه على اعتبار أنها لا تعني الغرض الأصلي و خروجها عنه هو ما يمثل حضور التوجيه في الأفعال. و ذلك من خلال خروج الأسلوب من المعنى الأصلي إلى المعنى الذي يفرضه السياق الذي يحسب الشاعر أنه مؤثر .
- تنوع الأفعال الكلامية في النص الواحد و هو أمر طبيعي لأن هذه الأفعال تعبير في كل مرة عن حال الذات المسؤولة عن إنتاج الخطاب .
- استغلاله للقوة المتضمنة في فعل الإستفهام للتعبير عن استيائه من إهمال سيف الدولة له و هو في الأمر و ذلك بخروجه من الاستخبار إلى التعجب و الإنكار.
- التقرب من الذوات التي يخاطبها باستغلال أسلوب النداء الذي يعمل على لفت الإنتباه من طرف المتلقي و كسب تعاطفه. و الإشتراك مع أمه خاصة على اعتبار أنها المخاطب الأكثر الذي استمل معه النداء، و ذلك للتقرب إليها و مساندتها و التعبير عن هذه المساندة و الحب للأم من خلال النداءات المتكررة لها.
- عبر الأمر و النهي في مختلف استعمالاتها على الطلب من الأدنى إلى الأعلى. و كان أهم أسلوب عبر عن تمكن أبي فراس من التعامل مع سيف الدولة حتى و هو يعاني الأسر ، و ذلك من خلال قرن الأمر بالطلب سواء أكان طلب فعل أو طلب ترك.
- على قلة أسلوب التمني إلا أنه لم يخرج من أصل استعماله و هو تمني المستحيل في نظر الشاعر و هو الحرية التي أصبحت هدفه المنشود.

-في خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر نستنتج أن هذا الأسلوب قرّب بين الشاعر ومخاطبيه ، من خلال فعل الدعاء الذي يتموقع في ختام القصائد ، ومن خلال كونه فعلا يتمّ إنجازه حال التلفظ به ، وهو ما يترك انطباعا حسنا عند المتلقي . و الإقبال والنداء الذي له أهمية تداولية من تنزيل الطلب في شكل الخبر، وهو تطبيق سلطة بالخطاب على المتلقي، وتمكين الفكرة من نفسه وتوجيهه للفعل حسب رغبة المتكلم رغم أنه أقل رتبة منه. فالنداء هنا يحمل المتلقي مسؤولية أن المتكلم كرّسه ووضع فيه ثقته وسلّمه زمام أمره.وكذلك خرج للمواساة في السياقات التي تتطلبها ، وتتمثل في سياقات التعزية ، واستغلال ما يمكن للأسلوب الخبري من رفق بالمخاطب ومساندة له، بتوجيهه لفعل التحمل والصبر.

- يهدف إلى استعمال مستوى تلميحي عن الأفعال غير المباشرة و ذلك من خلال حمل المتلقي على تأويل العبارة من خلال استعمال الكناية في التعابير خاصة الموجهة إلى سيف الدولة لأنه لا يستطيع على أية حال أن يعبر عن تلك الأوضاع بأسلوب مباشر لأن المباشرة قد تؤدي إلى سوء فهم المعنى المقصود.

في ختام هذه الدراسة نصل إلى جملة من النتائج على مستوى الدراسة التطبيقية ، نوردها فيما يلي :

يمنح الدرس التداولي دراسة متكاملة لنظرية التواصل التي شغلت بال الإنسان منذ وجوده، من خلال اهتمامها بكل عناصر العملية التواصلية ، وهي المتكلم وما يرتبط به من مفاهيم أصيلة للقصد في التراث اللغوي والأصولي العربي ، ومفاهيم معاصرة تتمثل في الكفاءة التداولية، ، والمخاطب وكفاءته التأويلية، والخطاب ، والمقام .

ونستنتج أن أبا فراس تمكّن في مدّة تجاوزت الأربع سنوات من التواصل والتفاعل مع مخاطبيه من خلال الروميات، التي مثلت أداة التواصل بين الأسر وخارجه، وتناول فيه المواضيع التي تؤرّقه ، ومنها تطاول مدة الأسر واعتماده على الصبر والجلد لتجاوز محنته، ومصير مكانته في الدولة الحمدانية،وتمكن أبو فراس من التعبير عنها في قصائده، وتناول مواضيع جعلته يتفاعل مع العالم الخارجي، خاصة من خلال خطابات الرد على عتاب سيف الدولة ،وخطابات التعزية الموجهة إليه ،والخطابات التي توجه بها وهو يعلم ما يكنّه له حساده والشاتمون به في فترة أسره ، إلا أنه و بعد افتدائه مع من فودي من الأسرى، ولاّه سيف الدولة حمص بدلا من منبج، فتموقعه كقائد عسكري وبقاء مكانته بصبغتها قبل الأسر وهي تولّيه حمص، دليل على أن الود بقي بينه وبين سيف الدولة. رغم حدّة القصائد التي بعث بها ليقرّعه فيها ويؤنبه على إهماله والتأخر بمفاداته. وهو ما نستنتج من خلاله أن تلك القصائد لم تتعدّ –في نظر سيف الدولة – السياق الذي قيلت فيه ، وارتباطها بأوضاع عرضية لم تمسّ جوهر العلاقة بين الشاعر وبين مخاطبيه.

ويتضح استغلاله للروميات في ضمان تواصل ناجع ، وذلك من خلال توظيف السياق بمختلف أبعاده كما يلي:

فمن خلال توظيفه للإشاريات نستنتج أن:

– منح استعمال الإشاريات بمختلف أنواعها الشاعر إمكان النعبير عن قصوده المختلفة ، وبيّن من خلال استقرائنا لاستعمالها ، أبعاد علاقاته بمخاطبيه وتطور تلك العلاقة ، وأثر الأمور الطارئة على استعمال الإشاريات في الخطاب.

–أن الإستراتيجية التضامنية التي تعمل على كسب المخاطب من خلال المرونة التي يمنحها استعمال الضمائر، وكيفية توزيعها وتنويع استعمالها ، ساعدت أبا فراس على التواصل الناجع مع مخاطبيه ، والتوفيق بين حالته النفسية، ومخاطبه، والسياق الذي يسوق فيه القصيدة، و الحرص على التعبيرعن قصده منها.

–ساعد احترام مبدأ التأدب واستعمال اللقب والكنية ، على التقريب بين أبي فراس ، ومخاطبه الأول سيف الدولة الحمداني ، فرغم الضغط الذي يعانيه جرّاء إهماله في الأسر —على حد ظنه–ورغم تطاول

مدة الأسر، وتزايد الظنون في إمكانية افتدائه، إلا أنه لم يخلّ في أي موضع بمبدأ التأدب وحافظ على توطيد علاقته معه بالخطاب في كل الروميات.

- استعمال ضمائر الحضور بنسبة تفوق بكثير استعمال ضمائر الغياب؛ فاستعماله لضمائر التكلم والخطاب

وأسماء الإشارة بمختلف فروعها، غلب على استعمال ضمائر الغياب المتمثلة في ضمائر الغائب .وهذا دليل على نتيجة تداولية هامة، توحي باستحضار الشاعر للذوات التي كان يخاطبها .

- ساعده استعمال ضمير المتكلم منفصلا كان أو متصلا ، على التعبير عن ذاته و بسط الحديث عنها.
- ساعده استعمال أسماء الإشارة على كسب تأييد المخاطب له. و ذلك من خلال استحضار الأمور التي أشار لها و تذكير المخاطب بضرورة فعل شيء حيالها.
- كان حريصا على مشاركة الآخر (الأنت) له في الخطاب و ذلك بغرض توصيل المعاناة التي يحس بها و دفعه إلى مواساته و الإحساس به.
- عبّر عن انتمائه – و هو في غربة- للحمدانيين من خلال استعماله في التعبير بـــضمير الجمع "نحن"منفصلا كان أو متصلا. و ذلك ما يحذو بهم إلى الإصغاء لما يقول و التعاطف معه ، على اعتبار أنه جزء لا يتجزأ منهم.
- حاول تغييب الذوات المعيقة له في حياته وفي إقامة علاقاته، .من خلال التعبير عنهم بضمير الغائب و هو ما أضفى عليهم إبهاما.
- استعماله لضمير الفصل كان في مقامات التعزية و المواساة و هذا ليبين لمخاطبه وجوده معه ووقوفه إلى جانبه ومساندته في العسر.
- تميز استعمال الإشاريات الزمانية بالإبهام والإطلاق، لأن هذا الزمن بطيء ويؤثر سلبا على الشاعر لأنه يفقده الثقة في أهله، الذين تماطلوا في فدائه.
- عبّرت الإشاريات المكانية عن عن أماكن عاش فيها الشاعر فترة معيّنة من حياته، وكان لها تأثير على نفسيته وعلى شعره.

ومن خلال توظيفه للحجاج في الروميات نستنتج ما يلي :

- قام أبو فراس باستغلال الإمكانات التي تمنحها الآليات اللغوية ،كالتكرار الذي يتجلى استعماله و كونه خاصية أسلوبية في الروميات. و من خلال تكراره لاسم الفاعل و اسم المفعول و صيغة المبالغة و أفعل التفضيل – و لو بقلة – نستنتج أنه استغلال للدلالات التي يضفيها استعمال تكرار هذه الصيغ و المتمثلة في دوام الحال، و الدلالة على الصفة و المبالغة فيها . وقرنها بقيم تداولية تتمثل في التأكيد للمتلقي على وجود هذه الأسماء التي تكون صفات يتحلى بها الشاعر في الخطاب الشعري، ومحاولة حمله على الاقتناع بها. عن

طريق إيرادها في السياقات التي تمس أمن المتلقي، وإيمان أبي فراس بضرورة تواجده في مكانه المنوط به في هذه الظروف، من خلال التأكيد على استعمال هذه الصيغ اللغوية من خلال تكرارها. و من جهة أخرى إثبات بقاء صفات الفارس الذي يذود عن حماه، من خلال صيغ اسم الفاعل خاصة و كونه ابتلي بسوء الحظ من خلال تحمله لاسم المفعول. ساعدت كل هذه الصيغ بطريقة أو بأخرى في إقناع المتلقي و حمله على الإذعان.

- ساعدت الآليات البلاغية في إثبات دعاوى قال بها أبو فراس، من خلال تتبعنا للطاقة الحجاجية التي تحملها مختلف الصور البيانية، ونستنتج أن استعمال الصورة البيانية في الحجاج مع مختلف المتلقين، من خلال دعوتهم للقيام بعمليات استنتاجيه تتراوح بين البساطة والتعقيد، ولكنها في نهاية الأمر تدفعه للاستنتاج مما يجعله يتأثر بما يسمع و يقبل على مساندة آراء أبي فراس على الأقل، أو على فعل ناتج عن التأثير الذي طبقه الشاعر على المتلقي من خلال استغلال السياق الذي ترد فيه الأقوال و الصور و العبارات الحجاجية،

- لعب التشخيص دورا كبيرا في الإقناع، وذلك لاستناده على استدعاء ذوات و العمل على محاورتها . و نستنتج أن أكثر الذوات المستدعاة في الروميات كانت ذواتا مجردة ،وجدنا أنها في أغلب الأحيان تمثلت في الدهر و الموت؛ الدهر الذي له صورة الخائن، الغدار، الذي يمثل شخصية معيقة لسير الأحداث بالنسبة لأبي فراس ، و الموت الذي يمثل حافزا للبقاء ،حيث لا وجود للموت إلا بوجود أبي فراس ندّا له. و هذا ما يجعل الروميات تدور في سجال بين الشاعر و حسرته من دهره و مقاومته للموت.

- يتوفر في روميات أبي فراس الحمداني التوجه الإقناعي؛ وذلك لأنه يروم من إنشاء روملياته وإرسالها للحمدانيين، وبالتالي ذيوعها وشيوعها بينهم، يهدف إلى إقناع المسؤول المباشر عن عملية الفداء وهو ابن عمه أمير الدولة الحمدانية سيف الدولة. بضرورة الإسراع بالفداء. لفوائد يعرضها أبو فراس من خلال استغلال غرض الفخر في ذلك. والذي يقوم أساسا على الانطلاق من ذات الشاعر بوصفها حالة مثالية، والدعوة إلى وضعه في سياقه الذي من المفترض أن يكون فيه، وغالبا ما يكون ساحات الحروب لمدافعه الأخطار التي تحدق بالدولة الحمدانية. ويستمد هذا النوع من الحجاج شرعيته من مطابقته للواقع. وذلك لأن ما يحدث في الواقع يؤيد ما يذهب له أبو فراس في قصائده، وهو دوام حالة التأهب في الدولة الحمدانية على صعيدين الصعيد الداخلي، أمام القبائل العربية الثائرة، وخارجيا أمام الخطر الأجنبي ،المتمثل في توقّع الحرب مع الروم ، والاستعداد لذلك من خلال التواجد في الثغور .

- الحجج المستمدة من المشترك، والمتمثلة في الأمثلة التاريخية كانت لها شرعيتها أي أنها تجمع بين الشاعر وبين قومه؛ من زاوية أنها تخص تاريخ الثقافة العربية، وهذه الحجج تلاءمت إلى حد كبير مع السياق الذي وردت فيه، وبالتالي تمّ فسح المجال لتأثيرها المرتقب على المتلقي، الذي يخاطب بأحداث مستمدة من ثقافته الأصيلة. مما يجعله يتأثر بتلك الأحداث التاريخية، ويوافق ضمنيا على قول الشاعر

وبالتالي التفاعل معه من خلال التواصل الذي يمثّله تقبل المتلقي للحجج التاريخية التي صادق على وجودها مسبقا، وكسب الشاعر تأييد المتلقي من باب أنه خاطبه بما هو متواتر عنده، ويمس أخلاقه العربية الكريمة خاصة ،كاستعمال الحجاج بأيام العرب في الجاهلية، والانتماء التغلبي للحمدانيين والاعتزاز بذلك الانتماء، والاحتجاج بأمثال تاريخية استمدها من التاريخ الإسلامي.

أما فيما يخص استعمال الأفعال الكلامية في الروميات ، فيمكننا استنتاج ما يلي:

-كان أبو فراس متعاونا مع مخاطبيه، حيث نجد صدى لتطبيق مبدأ التعاون ، واحترام قوانين الخطاب المنبثقة عنه، من خلال أنه كان صادقا في التعبير عن وجوه المعاناة التي يعيشها الأسير، فالشاعر بذل النفس رخيصة في سبيل الذود عن حصن منبج الذي ولاّه عليه سيف الدولة عليه، والصدق من أبرز مظاهر التعبير عن العواطف والتجارب النفسية كالأسر مثلا. فالشاعر شارك مخاطبه همومه بصدق، صدق لا يهم فيه إن كان مبالغة أم لا ، المهم أنه قدم صورة صادقة عن خوالج نفسه. وكذلك من خلال التزام الشاعربالإخبار باهتمامه بنقل الخبر، بالاستعانة بالتوسع والاسترسال،هدا ما نلمسه حين كان يعاتب أويشكو فإنه ينشئ قصائد طويلة. فهو يقصد إلى التفصيل في الإخبار؛ سواء أكان تعبيرا عن معاناته جرّاء الأسر، وإصراره على الإخبار عما يدور في نفسه.وكذلك التركيز على كون خطابه مفيدا ،بجعل كلامه مناسبا للمقام الذي يرد فيه، بتقديم نتائج يستفيد منها المتلقي، تتمثل فيما يسوقه من خبرة بالحياة وتجربة وباع في القتال والتدبير والقيادة، كل هذا يمنحه أبو فراس لمخاطبه في قالب حكمة تلخّص تجربة ثريّة، و كذلك فيما يخص التزامه بمناسبة القصائد؛ ففي خطابات التعزية —مثلا-لا يزيد بأن يساند المتلقي وهو سيف الدولة، لكنه لا يضيع فرصة تذكير ابن عمه بأنه أسير يطلب الفداء

- استعمال الأفعال الكلامية غير المباشرة كان بصورة عامة، و ذلك أخذا بعين الاعتبار المواقف التواصلية التي تفرض أفعالا متضمنة في القول تستمد قوتها الإنجازية من السياق الذي وردت فيه، على اعتبار أنها لا تعني الغرض الأصلي، و خروجها عنه هو ما يمثل حضور استراتيجية التوجيه في الأفعال. و ذلك من خلال خروج الأسلوب من المعنى الأصلي، إلى المعنى الذي يفرضه السياق الذي يحسب الشاعر أنه مؤثر .

- تنوع الأفعال الكلامية في النص الواحد- وهو أمر طبيعي- لأن هذه الأفعال تعبير في كل مرة عن حال الذات المسؤولة عن إنتاج الخطاب .
- استغلاله للقوة المتضمنة في فعل الاستفهام للتعبير عن استيائه من إهمال سيف الدولة له و هو في الأسر ، وذلك بخروجه من الاستخبار إلى التعجب و الإنكار.
- التقرب من الذوات التي يخاطبها باستغلال أسلوب النداء الذي يعمل على لفت الإنتباه من طرف المتلقي و كسب تعاطفه. و الإشتراك مع أمه خاصة على اعتبار أنها المخاطب الأكثر الذي

استعمل معه النداء، وذلك للتقرب إليها ومساندتها والتعبير عن هذه المساندة للأم من خلال النداءات المتكررة لها.

- عبّر الأمر و النهي في مختلف استعمالاتها على الطلب من الأدنى إلى الأعلى. وكان أهم أسلوب أوضح تمكّن أبي فراس من التعامل مع سيف الدولة، حتى و هو يعاني الأسر ، وذلك من خلال قرن الأمر بالطلب ،سواء أكان طلب فعل أو طلب ترك.
- على قلة أسلوب التمني إلا أنه لم يخرج من أصل استعماله و هو تمني المستحيل في نظر الشاعر، و هو الحرية التي أصبحت هدفه المنشود.

- في خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر نستنتج أن هذا الأسلوب قرّب بين الشاعر ومخاطبيه، من خلال فعل الدعاء الذي يتموقع في ختام القصائد، ومن خلال كونه فعلا يتمّ إنجازه حال التلفظ به، وهو ما يترك انطباعا حسنا عند المتلقي . والإقبال والنداء الذي له أهمية تداولية من تنزيل الطلب في شكل الخبر، وهو تطبيق سلطة بالخطاب على المتلقي، وتمكين الفكرة من نفسه وتوجيهه للفعل حسب رغبة المتكلم رغم أنه أقل رتبة منه. فالنداء هنا يحمل المتلقي مسؤولية أن المتكلم كرّسه ووضع فيه ثقته وسلّمه زمام أمره.وكذلك خرج للمواساة في السياقات التي تتطلبها، وتتمثل في سياقات التعزية، واستغلال ما يمكن للأسلوب الخبري من رفق بالمخاطب ومساندة له، بتوجيهه لفعل التحمل والصبر.

- يهدف إلى استعمال مستوى تلميحي عن الأفعال غير المباشرة و ذلك من خلال حمل المتلقي على تأويل العبارة من خلال استعمال الكناية في التعابير، لا يستطيع التعبير بأسلوب مباشر.

وفي نهاية هذا البحث لا يسعني إلا التقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف رئيس المشروع الذي ينتمي إليه بحثي الكتور أحمد بلخضر، وكذلك لتحمله مضنة الإشراف على هذا العمل، وفائق الشكر والامتنان للسادة الدكاترة أعضاء لجنة الناقشة على تفضّلهم بقراءة البحث والعمل على تصويب ما فيه من أخطاء ومثالب، ولكل من ساعد في إنجاز هذا البحث من قريب ومن بعيد.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أولا. المصـــادر :

1. القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع.

2. أبو فراس الحمدانـــي : ديوان أبي فراس، رواية : أبي عبد الله الحسين ابن خالويه، تحقيق وشرح : كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د.ط، 1992 .

ثانيا. المعاجم والموسوعات:

3. ابن فارس، **مقاييس اللغة**، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1997 . المجلد 4، 6

4. ابن منظور:**لسان العرب**، دار صادر بيروت، ط5 1992 المجلد 12.11.6.3.1

5. الزمخشري، **أساس البلاغة**، دار صادر بيروت، ط1 .1992

6. التهانوي: **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق علي دحروج وآخرون مكتبة لبنان ناشـــرون، ط1 ،1996،ج1،

ثالثا. المراجع باللغة العربية:

7- آمنة بلعلى : تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاخـــتلاف، الجزائـــر ، ط1، 2002 .

8- ابن جني، : الخصائص، تح : عبد الأمير هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنـــان، ط2 ،2003 . ج1.

9. ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر والتوزيع والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر د.ط، 1984.

10- ابن خلكان :وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان ،تحقيق :إحســـان عبـــاس المجلـــد الثـــاني، دار الثقافـــة ،بيروت،د.ط،د.ت

11- ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصّله وعلّق على حواشيه : محمد محي الدين عبـــد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، ط5. 1981،ج1.

12- ابن سينا : تلخيص كتاب أرسطاطاليس في الشعر-وقد ورد ضمن :كتاب أرسطاطاليس في الشعر، نقـــل أبي بشر متى بن يونس القنائي، تح : شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1967 .

13- ابن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، د.ط .1986.ج1.

14- ابن عقيل :شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،، تح : حنا الفاخوري، دار الجـــيل، بيروت، لبنـــان، ط 3، 1997 .ج1.

15- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق: أحمد حسن بســـبح، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1. 1997.

16- ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرســـالة ، عابـــدين ،مصـــر، د.ط.د.ت.

17- ابن يعيش: شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه:اميل بديع يعقوب ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،ط.1: 2001 ،ج2. ج3 .

18- أبو تمام :ديوان أبي تمام،تقديم وشرح محي الدين صبحي ،دار صادر بيروت لبنان ،ط1.المجلد 2.

19- أبو منصور الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، المجلد الأول، ط2، 1972.

20- أبو هلال العسكري الحسن، كتاب الصناعتين –الكتابة والشعر .تح.علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ط2، د.ت.ط ،

21- أبو هلال العسكري الحسن، كتاب الصناعتين –الكتابة والشعر.تح.علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي،.ط2، د.ت.ط ،

22- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة،علّق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط5. 2005

23- أحمد الشايب: الأسلوب –دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط:12، 2003.

24- أحمد مختار البزرة :الأسر والسجن في شعر العرب"تاريخ ودراسة"، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق، بيروت، ط1. 1985.

25- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983. ج2

26- التفتازاني : مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، صيدا بيروت، ط1. 2003.

27- جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي: المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط3. 1992.

28- الجاحظ، البيان والتبين،ج1، البيان و التبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل، بيروت ، لبنان، ج 1،4 ، د.ط، د.ت.ط

29- حازم القرطاجني، : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3 ، .1986

30- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع-العلمة-الجزئر، ط1، 2009،

31- الرماني: النكت في الإعجاز القرآني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف مصر، ط2. 1968.

32- الزركشي، بدر الدين : البرهان في علوم القرآن، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، د.ت.ط .

33- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 ، 1979م.

34- -، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1982.
35- جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال،، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ط، 2000.
36- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع-العلمة-الجزئر، ط1، 2009،
37- طالب سيد هاشم الطبطبائي نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ط1، الكويت، 1993.
38- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998.
39- -، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، د.ط، 1993.
40- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه حتى نهاية القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2008 .
41- سعد مصلوح: الأسلوب-دراسة لغوية إحصائية،عالم الكتب ،القاهرة، ط3 ،2002.
42- السكاكي: مفتاح العلوم ،تح :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
43- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي القاهرة، ط 3. 1988. ج3.
44- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط12، 1965،
45. صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، أدبيات مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط2، 1996.
46- - علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1 ، 1998.
47- - نظرية البنائية في النقد العربي الحديث، دار الشروق، القاهرة ،مصر، ط 1 ، 1998 .
48- عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف مصر، ط 3.د.ت، ج1.ج3.
49- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب-نحو بديل ألسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس ،د.ط، 1977.
50- - التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2. 1986،
51- عبد القاهر الجرجاني :دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح وتحقيق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ،د.ت.ط .
52- - : أسرار البلاغة في علم البيان، صححه وعلّق حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1988،1.
53- عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،دار الفارابي ،بيروت لبنان ،ط2.
54- عبد الهادي بن ظافر الشهري استراتيجيات الخطاب ، الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

55- عمر بلخير:تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة، ط1. 2003.

56- فاطمة الطيال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 1993.

57- كمال بشر : علم اللغة الاجتماعي – مدخل، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، ط3 ،1997 .

58- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، د. ط، 1999.

59- - : في بلاغة الخطاب الإقناعي-مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في الق دار الفكر، بيروت لبنان، ط2، 1972. رن الأول نموذجا، إفريقيا الشرق-المغرب، ط2. 2002

60- محمد خطابي ، لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1. 1991

61- محمد عبد الواحد حجازي: الأطلال في الشعر العربي –دراسة جمالية،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ، ط1. .2002

62- محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي،دار الجيل بيروت، ط1، 1992.

63- محمد محمد يونس علي:مقدمة في علم التخاطب الإسلامي -دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المنار الإسلامي، ط1. 2006.

64- محمد مفتاح:دينامية النص ، المركز الثقافي العربي المغرب ،ط3 ، .2006

65- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006.

66- مريم فرنسيس: في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية)، طبعة وزارة الثقافة، دمشق، .1998

67- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط1. .2005

68- نور الدين السد :الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، ج 2،1، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 1998.

69- هادي نهر: الكفايات التواصلية والاتصالية ، دراسات في اللغة والاعلام دار الفكر، عمان ، ط1.2003.

رابعا. المراجع المترجمة:

70- أرسطو طاليس: **الخطابة**، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمان بدوي، دط، دار القلم بيروت، 1976.

71- الجيلالي دلاش، **مدخل إلى اللسانيات التداولية**، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط،د ت.

72- إميل بنفيست، عن الذاتية في اللغة، ضمن: تلوين الخطاب – فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والحجاج- الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط:1 .2007

73- جون كوهن بناء لغة الشعر-اللغة العليا، ترجمة أحمد درويش، مكتبة الزهراء بالقاهرة، ط1985،1

74- خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس: **"نظرية اللغة الأدبية"**؛ ترجمة: حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، د.ط، د.ت.

75- فان ديك، **النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، د ت.

76- فرانسواز أرمينكو، **المقاربة التداولية**، ترجمة سعيد علوج، مركز الإنماء القومي، المغرب، د ط، 1986 .

77- هاليداي: **وظائف اللغة**، ترجمة: محمود أحمد نحلة، وقد ورد ضمن محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006.

خامسا. المقالات والدوريات:

78. تمام حسان، **مصطلح البلاغي القديم (في ضوء البلاغة الحديثة)**، ضمن مقالات في اللغة والأدب، ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006.

79. - ، **مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم- ضمن اجتهادات لغوية**، عالم الكتب القاهرة، ط1، 2007 .

80. حبيب أعراب: **الحجاج والاستدلال الحجاجي**، (عناصر استقصاء نظري)، مجلة عالم الفكر الكويت، ع1. سبتمبر.2001.

81. راضية خفيف بوبكري: **التداولية وتحليل الخطاب**، (مقاربة نظرية)، مجلة الموقف الأدبي، العدد399. تموز 2004.

82. محمد سالم ولد محمد الأمين: **مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة**، عالم الفكر، الكويت، ع2. يناير، مارس، 2000.

سادسا. المراجع باللغة الفرنسية:

83. Catherine kerbrat-orecchioni l énonciation de la subjectivité dans le langage Armand colin quatrième édition.

84. :Dominique maingueneau: pragmatique pour le discours littéraire ، bordas ، paris.

85. J.Dubois, Dictionnaire de linguistique Larousse 2002.